وقالوا عند اجتناب الكباير يجب غفران الصغاير ولا يحسن معه المواخذة بها وليس فى ظاهر الآية ما يدل عليه فان معناه على ما رواه
الكلبى عن ابن عباس ان تجتنبوا الذنوب التى اوجب الله فيها الحد وسمى فيها النار يكفر عنكم ما سوى ذلك من الصلوة الى الصلوة ومن
الجمعة الى الجمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان وقيل معنى ذلك ان تجتنبوا كباير ما نهيتم عنه فى هذه السورة من المناكح واكل الاموال
بالباطل من المحرمات من اول السورة الى هذا الموضع وتركتموها فى المستقبل كفرنا عنكم ما كان منكم من ارتكابها فيما سلف وكذا قال ابن مسعود
كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى رأس الثلثين فهو كباير ويعضد هذا القول من التنزيل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف وقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ويدخلكم مدخلا كريما اى مكانا حسنا طيبا حسنا لا ينغصه شئ وقد ذكرنا
المعنى فى القوانين قيل فاما تفصيل الموبقة على ما وردت به الروايات فذكر منه جملة مقنعة روى عبد العظيم بن عبد الله الحسينى
عن ابى جعفر بن محمد بن على عن ابيه على بن موسى الرضا عن ابيه موسى بن جعفر ع قال دخل عمرو بن عبيد البصرى على ابى عبد الله جعفر بن
محمد الصادق عليه السلم فلما سلم وجلس تلا هذه الآية الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش ثم امسك فقال ابو عبد الله ما لم اسكنت
قال احب ان اعرف الكباير من كتاب الله عز وجل قال نعم يا عمرو اكبر الكباير الشرك بالله لقول الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به
وقال من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وبعده الياس من روح الله لان الله يقول ولا تيأسوا من روح الله انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ثم الامن من مكر الله لان الله يقول ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومنها عقوق
الوالدين لان الله عز وجل جعل العاق جبارا شقيا فى قوله وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ومنها قتل النفس التى حرم الله الا بالحق
لانه سبحانه يقول ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وقذف المحصنات لان الله عز وجل يقول ان الذين يرمون
المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم واكل مال اليتيم ظلما لقوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما الاية لان الله عز وجل يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماويه جهنم وبئس المصير
واكل الربوا لان الله عز وجل يقول الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ويقول فان لم تفعلوا
فاذنوا بحرب من الله ورسوله والسحر لان الله عز وجل يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق والزنا لان الله تعالى يقول
ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا واليمين الغموس لان الله تعالى يقول ان الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة الآية والغلول قال الله سبحانه ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة
ويخلدونه ومنع الزكوة المفروضة لان الله عز وجل يقول يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الآية
وشهادة الزور وكتمان الشهادة لان الله عز وجل يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه وشرب الخمر لان الله عز وجل عدل بها عبادة الاوثان وترك
الصلوة متعمدا او شيئا مما فرض الله عز وجل لان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله
ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله تعالى يقول اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول
هلك من قال برأيه ونازعكم فى الفضل والعلم وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال الكباير سبع اعظمهن الاشراك بالله وقتل النفس
المؤمن واكل الربوا واكل مال اليتيم وقذف المحصنة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف فمن لقى الله سبحانه وهو برئ منهن كان
معى فى الجنة بحبوحة جنة مصاريعها من ذهب وروى سعيد بن جبير ان رجلا قال لابن عباس كم الكباير سبع هى قال هى سبعماية
اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار رواهما الواحدى فى تفسيره بالاسناد مرفوعا قوله تعالى ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليما
آية القراءة قرا ابن كثير والكسائي وسلوا بغير همز وكذلك كل ما كان امرا للمواجه فى كل القرآن الباقون بالهمز ولم يختلفوا فى وليسألوا
ما انفقوا انه مهموز الحجة قرا ابو على الهمز فى وترك الهمز حسنان فلو خففت الهمزة فى قوله وليسألوا لو كان ايضا حسنا اللغة التمنى هو قول
القايل لما لم يكن ليته كان كذا وليته لم يكن كذا لما كان وقال ابو هاشم فى بعض كلامه التمنى معنى فى القلب ومن قال بذلك قال ليس هو من قبيل الشهوة
ولا من قبيل الارادة لا يتعلق الا بما يصح حدوثه والشهوة لا يتعلق بما مضى كالارادة والتمنى قد يتعلق بالماضى واهل اللغة ذكروا التمنى فى اقسام الكلام

النزول قيل جاءت واحدة النساء الى رسول الله صلى الله عليه وآله اليس الله تعالى رب الرجال والنساء وانت رسول الله اليهم جميعا فما
بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكرنا نخشى ان لا يكون فينا خير ولا لله فينا حاجة فنزلت هذه الآية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا نغزوا وانما لنا نصف الميراث فليتنا رجال فنغزوا ونبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت الآية عن مجاهد وقيل لما نزلت آية المواريث قالت الرجال رجوا
ان يفضل على النساء بحسنات في الآخرة كما فضلنا عليهم في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجل النساء وقالت النساء انا نرجوا ان يكون الوزر
علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا فنزلت الآية عن قتادة والسدى المعنى لما بين سبحانه
حكم المواريث وفضل بعضهم على بعض في ذلك ذكر تحريم التمني الذي هو سبب التباغض فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
اى لا يقل احدكم ليت ما اعطى فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان لى فان ذلك يكون حسدا ولكن يجوز ان يقول اللهم اعطنى مثله
عن ابن عباس وهو المروى عن ابي عبد الله عليه السلم وقيل ان المعنى لا يجوز للرجل ان يتمنى ان لو كانت امرأة ولا المرأة ان تتمنى ان لو
كانت رجلا لان الله تعالى لا يفعل الا ما هو الاصلح فيكون قد تمنى ما ليس اصلح ان يكون مفسدة عن البلخي ويمكن ان يقال ما في ذلك
انه يجوز في ذلك بشرط ان لا يكون مفسدة يقول في حسن السؤال سواء للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن قيل فيه
وجوه احدها ان المعنى لكل حدا من الثواب على حسب ما كلفه الله سبحانه من الطاعات بحسن تدبيره فلا تتمنوا خلاف هذا التدبير لما فيه
جريان الحظ الجزيل عن قتادة وثانيها ان لكل فريق من الرجال والنساء نصيبا مما اكتسبن من نعيم الدنيا بالتجارات والزراعات وغير
ذلك من انواع المكاسب فينبغي ان يقنع كل منهم ويرضى بما قضى قسم الله له وثالثها ان لكل منهما نصيبا من الميراث على ما قسمه الله تعالى عن ابن
عباس فالاكتساب على هذا القول يعنى الاصابة والاحراز واسئلوا الله من فضله معناه ان احببتم ما لغيركم واحببتم ان يكون لكم مثل حاله فسئلوا
ان يعطيكم مثل ذلك من فضله بشرط ان لا يكون فيه مفسدة لكم ولا لغيركم لان المسئلة لا تحسن الا كذلك وجاء في الحديث عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وآله قال اسالوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وقال سفين بن عيينة لم يأمر
بالمسئلة الا ليعطى ان الله كان بكل شيء عليما معناه ان الله عليم بكل شيء ولم يزل كذلك فيعلم ما يظهرونه وما يضمرونه من الحسد وتقسيم الارزاق
بين العباد على ما يعلم فيه من الصلاح والرشاد فلا يتمنى احدكم ما قسم لغيره فانه ما يحصل من تمنيه الا على الغم والاثم قوله تعالى
ولِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوالِيَ مِمّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً آية القرآءة
قرا اهل الكوفة عقدت بغير الف الباقون عاقدت بالف الحجة قال ابو على الذكر الذى يعود من الصلة الى الموصول ينبغى ان يكون
ضميرا منصوبا فالتقدير فالذين عاقدتهم ايمانكم فجعل الايمان في اللفظ هي العاقدة والمعنى على الحالفين الذين هم اصحاب الايمان والمعنى
الذين عاقدت حلفهم ايمانكم فحذف الحلف واقام اليه مقامه واقيم المضاف اليه مقام المضاف للشبه بهذا المعنى لان لكل نفر من العاقدين منها
على المحالفة ومن قال عقدت ايمانكم كان المعنى عقدت حلفهم ايمانكم فحذف الحلف واقام اليه مقامه الذين قالوا عاقدت حملوا الكلام على المعنى
اذ كان من كل واحد من الفريقين يمين والذين قالوا عقدت حملوا الكلام على لفظ الايمان لان الفعل لم يسند الى اصحاب الايمان في اللفظ
انما اسند الى الايمان اللغة اصل الموالى من ولى الشيء يليه ولاية وهو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل والمولى يقع على وجوه العتق
والمعتق وابن العم والصهر والحليف والولى والسيد المطاع والاولى بالشيء اللاحق وهو الاتصال في الجميع فسمى المعتق المولى لانه اولى
بميراث المعتق والمعتق اولى بنصره والمعتق من غيره وابن العم اولى بنصره فسمى ابن عمه لقرابته الوارثة اولى بميراث الميت من غيرهم والحليف
اولى امر محالفه المحالفة التي جرت بينهما والولى اولى بنصرة من يواليه والسيد اولى بتدبير من يسوده من غيره ومنه الخبر ايما امرأة نكحت بغير اذن
مولاها اى من هو اولى بالعقد عليها وقال ابو عبيدة في قوله تعالى النار مولاكم معناه اولى بكم وانشد بيت لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب
انه مولى المخافة خلفها وامامها والايمان جمع اليمين وهو اسم يقع على القسم والجارحة والقوة والاصل فيه الجارحة وذلك انهم كانوا يضربون
الصفقة للبيع والبيعة بايمانهم فيأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد ثم يحالفون عليه فسمى القسم يمينا وقال اذا ما راية
رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اى بالقوة الاعراب قوله مما ترك الوالدان الجار والمجرور واقع موقع الصفة لقوله موالى اى موالى كائنين
مما ترك اى خلف الوالدان والاقربون والذين يحلفون ايمانكم معطوف على قوله الوالدان والاقربون ويكون والذين عقدت ايمانكم مبتدأ وقوله

فالف

فاتوهم نصيبهم حجزه المعنى ثم عاد سبحانه ذكر المواريث فقال ولكل اى ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالى اى ورثة هم
اولى بميراثه عن السدى وقيل عصبة عن ابن عباس والحسن والاول اصح لقوله سبحانه فهب لى من لدنك وليا يرثنى فجعله مولى لما يرث ودليله
لما كان اولى به من غيره ومالكا له كما يقال لمالك العبد هؤلاء مما ترك الوالدان والاقربون يرثون او يعطون مما ترك الوالدان والاقربون
الموروثون والذين عاقدت ايمانكم اى لا يرثون مما ترك الذين عقدت ايمانكم لان لهم ورثة هم اولى بهم بميراثهم فيكون قوله والذين
عقدت ايمانكم عطف على قوله الوالدان والاقربون فاتوهم نصيبهم اى فأتوا كلا نصيبه من الميراث وهذا اختيار الجبائى فقال الحليف لم
يؤمن له شئ اصلا وقال اكثر المفسرين ان قوله والذين عاقدت ايمانكم مقطوع من الاول فكانه قال والذين عاقدت ايمانكم ايضا فاتوهم
نصيبهم ثم اختلفوا فيه على اقوال احدها ان المراد بهم الحلفاء عن قتادة وسعيد بن جبير والضحاك وقالوا ان الرجل فى الجاهلية
كان يعاقد الرجل فيقول دمى دمك وحربى حربك وسلمى سلمك وترثنى وارثك وتعقل عنى واعقل عنك فيكون للحليف سدس من
ميراث الحليف وعاقد ابوبكر مولى فورثه فذلك قوله فاتوهم نصيبهم اى فاعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض قال مجاهد معناه فاعطوهم نصيبهم من النصر والولى والعدل والرفد ولا ميراث فعلى هذا تكون الآية
غير منسوخة ويؤيده قوله تعالى اوفوا بالعقود وقول النبى صلى الله عليه وآله فى خطبة يوم فتح مكة ما كان من حلف فى الجاهلية فتمسكوا به
فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا فى الاسلام وروى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال شهدت حلف
المطيبين وانا غلام مع عمومتى فما احب ان لى حمر النعم وانى انكثه وثانيها ان المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله
من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة ثم نسخ الله تعالى ذلك بالفرايض عن ابن عباس
وابن زيد وثالثها انهم الذين كانوا يتبنون ابناء غيرهم فى الجاهلية ومنهم زيد مولى رسول الله ص فامروا فى الاسلام ان يوصوا لهم
عند الموت بوصية فذلك قوله فاتوهم نصيبهم عن سعيد بن المسيب ان الله كان على كل شئ شهيدا اى لم يزل عالما بجميع الاشياء
مطلقا عليها جليها وخفيها قوله تعالى الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ
فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ
أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا آية القراءة قرا ابوجعفر وحده بما حفظ الله بالنصب والباقون
بالرفع وفى الشواذ فالصوالح قوانت حوافظ قراءة طلحة بن مصرف الحجة قوله حفظ الله يكون على حذف المضاف كانه قال حفظ
عهد الله او دين الله كقوله سبحانه ان تنصروا الله اى تنصروا دين الله وحذف المضاف كثير فى الكلام والوجه فى قراءة فالصالح
قوانت ان جمع التكسير يدل على الكثرة والالف والتاء موضوعتان للقلة فهما على التثنية بمنزلة الزيدين من الواحد فيكون
من الثلث الى العشرة والكثرة اليق بهذا الموضع غير ان الالف والتاء قد جاء ايضا على معنى الكثرة قوله تعالى ان المسلمين و
المسلمات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات والغرض فى الجميع الكثرة لا ما هو ما بين الثلثة الى العشرة قال ابن جنى كان ابو على
الفارسى ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره وانه لما صار الى قوله لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا
يقطرن من نجدة دما قال له النابغة لقد قللت جفانك وسيوفك قال وهذا خبر مجهول لا اصل له لان الله تعالى يقول وهم فى الغرفات
آمنون ولا يجوز ان يكون الغرف التى فى الجنة من الثلث الى العشرة اللغة يقال رجل قيم وقيام وقوام وهذا البناء للمبالغة
والتكثير واصل القنوت دوام الطاعة ومنه القنوت فى الوتر لطول القيام فيه واصل النشوز الترفع على الزوج بخلافه ماخوذ من قولهم
فلان على نشز من الارض اى يفاع يقال نشزت المرأة تنشز وتنشز والهجر الترك عن قلى يقال هجرت الرجل اذا تركت كلامه عن قلى
والهاجرة نصف النهار لانه وقت يهجر فيه العمل وهجر الرجل البعير اذا ربطه بالهجار والضجوع الاستلقاء يقال ضجع ضجوعا واضطجع
اضطجاعا اذا استلقى للنوم واضجعته انا وكل شئ املته فقد اضجعته والبغية الطلب يقال بغيت الضالة اذا طلبتها وقال الشاعر
يصف الموت بغاك وما تبغيه حتى وجدته كانك قد واعدته امس موعدا الاعراب الباء فى قوله بما فضل الله وبما انفقوا يتعلق
بقوله قوامون وما فى الموضعين مصدرية لا يحتاج الى عائد اليها من صلتها لانها حرف وقوله بما حفظ الله ايضا يكون ماضية مصدرية

فيكون تقديره بان يحفظهن الله ومن قرا بما حفظ الله نصبا يكون ما اسما موصولا فيكون التقدير بالشيء الذي يحفظ الله اي يحفظ امر الله

النزول قال مقاتل نزلت الآية في سعد بن الربيع بن عمرو وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير وهما من الانصار وذلك

انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى النبي صلى الله عليه وآله فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وآله لتقتص

من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وآله ارجعوا هذا جبرئيل اتاني وانزل الله هذه الآية فقال النبي صلى اردنا

امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص وقال الكلبي نزلت في سعد بن الربيع وامرأته خولة بنت محمد بن مسلمة وذكر القصة نحوها

وقال ابو روق نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس وذكر قريبا منه المعنى لما بين الله سبحانه فضل

الرجال على النساء ذكر عقيبه فضلهم في القيام بامر النساء فقال الرجال قوامون على النساء اي قيمون على النساء مسلطون عليهن في التدبير

والتاديب والرياضة والتعليم بما فضل الله بعضهم على بعض هذا بيان سبب تولية الرجال عليهن اي انما ولاهم الله امرهن لما لهم من

زيادة الفضل عليهن بالعلم والعقل وحسن الراي والعزم وبما انفقوا من اموالهم عليهن من المهر والنفقة كل ذلك بيان علة تقديمهم

عليهن وتوليتهم امرهن فالصالحات قانتات اي مطيعات لله تعالى ولازواجهن عن قتادة والثوري ويدل عليه قوله تعالى يا مريم

اقنتي لربك اي اقيمي على طاعته حافظات للغيب يعني لانفسهن وفروجهن في حال غيبة ازواجهن عن قتادة وعطا والثوري وقيل

حافظات لاموال ازواجهن في حال غيبتهم راعيات لحقوقهم وحرمتهم والاولى ان يحمل على الامرين لانه لا تنافي بينهما بما حفظ الله اي

بما حفظهن الله في مهورهن والزام ازواجهن النفقة عليهن عن الزجاج وقيل بحفظ الله لهن وعصمته ولولا ان حفظهن الله تعالى

وعصمهن لما حفظن ازواجهن بالغيب واللاتي تخافون نشوزهن معناه والنساء اللاتي تخافون نشوزهن بظهور اسبابه وامارته

والنشوز للمرأة عصيانها لزوجها واستيلاؤها عليه ومخالفتها اياه وقال الفراء معناه تعلمون نشوزهن قال وقد يكون الخوف بمعنى العلم

لان خوف الشيء العلم بموقعه فعظوهن واهجروهن في المضاجع معناه فعظوهن اولا بالقول والنصيحة فان لم ينجع الوعظ ولم يؤثر

النصح بالقول فاهجروهن في المضاجع عن سعيد بن جبير قال وعنى به الجماع الا انه ذكر المضاجع لاختصاص الجماع بها وقيل معناه

فاهجروهن في الفراش والمبيت وذلك انه يظهر بذلك حبها للزوج وبغضها فان كانت مائلة اليه لم تصبر على فراقه في المضاجع وان

كانت بخلاف ذلك صبرت عنه عن الحسن وقتادة وعطا والى هذا المعنى يؤول ما روي عن ابي جعفر ع قال يحول ظهره اليها وفي تفسير الكلبي

عن ابن عباس فعظوهن بكتاب الله تعالى اولا وذلك ان يقول اتقي الله وارجعي الى طاعتي فان رجعت والا اغلظ لها القول فان

رجعت والا اغلظ لها القول فان رجعت والا ضربها ضربا غير مبرح وقيل في معنى غير المبرح ان لا يقطع لحما ولا يكسر عظما وروي عن

ابي جعفر ع انه الضرب بالسواك فان اطعنكم اي رجعن الى طاعتكم في الائتمار لامركم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا عليهن علا

بالباطل وقيل سبيلا للضرب والهجران مما ابيح لكم فعله عند النشوز عن ابي مسلم وابي علي الجبائي وقيل معناه لا تكلفوهن الحب عن سفين

بن عيينة فيكون المعنى اذا استقام لكم ظاهرهن فلا تعللوا عليهن ما في باطنهن ان الله كان عليا كبيرا اي متعاليا عن ان يكلف

الا بالحق ومقدار الطاقة والعلو والكبرياء من صفات الله عز وجل وفائدة ذكرها هنا بيان انتصاره لهن وقوته على الانتصار لهن

ضعفهن عنه وقيل المراد به انه سبحانه مع علوه وكبريائه لم يكلفهم الا ما يطيقون فكذلك لا تكلفوهن الا ما يطقن قوله تعالى

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا آية

اللغة الشقاق الخلاف والعداوة واشتقاقه من الشق وهو الجزء البائن فالمشاقان كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه

بالعداوة اي في ناحية واصل التوفيق الموافقة وهي المساواة في امر من الامور فالتوفيق هو اللطف الذي يتفق عنده فعل الطاعة

لمساواته في الوقت والتوفيق بين نفسين هو الاصلاح بينهما والاتفاق في الجنس والمذهب المساواة بينهما والاتفاق في الوقوع

كرميه من غير رام لمساواتها نادرا الاعراب اصل بين ان يكون ظرفا ثم استعمل اسما هنا باضافة شقاق اليه كما قال سبحانه هذا فراق

بيني وبينك وقال ومن بيننا وبينك حجاب وكان في الاصل فان خفتم شقاقا بينهما المعنى لما قدم سبحانه الحكم عند مخالفة احد

الزوجين صاحبه عقبه بذكر الحكم عند التباس الامر في المخالفة فقال وان خفتم اي شقاق خشيتم وقيل علمتم والاول اصح لانه لو علم

نصف الحزب

الشقاق

الشقاق يقينا لما احتيج الى الحكمين شقاق بينهما اى مخالفة وعداوة بين الزوجين فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اى و
حكما من قوم الزوج وحكما من قوم المراة لينظرا فيما بينهما والحكم القيم بما يسند اليه واختلف فى المخاطب بانفاذ الحكمين من هو فقيل هو
السلطان الذى يترافع اليه عن سعيد بن جبير والضحاك واكثر الفقهاء وهو الظاهر فى الاخبار عن الصادقين ع وقيل انه الزوجان
او اهل الزوجين عن السدى واختلفوا فى ان الحكمين هل لهما ان يفرقا بالطلاق ان رايا ذلك فالذى رواه اصحابنا عنهم ع انه ليس لهما
ذلك الا بعد ان يستامراهما ويرضيا بذلك وقيل ان لهما ذلك عن سعيد بن جبير والشعبى والسدى وابراهيم ورفعه عن ع ومن
ذهب الى هذا القول قال ان الحكمين وكيلان ان يريدا اصلاحا يعنى الحكمين يوفق الله بينهما حتى يحكما بما فيه الصلاح والضمير فى بينهما
عايد الى الحكمين عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدى وقيل ان يريد الحكمين اصلاحا بين الزوجين يوفق الله بينهما بين الزوجين اى
يولف بينهما ويرفع ما بينهما من العداوة والشقاق ان الله كان عليما بما يريد الحكمان من الاصلاح بين الزوجين يوفق الله بين الزوجين
اى يولف بينهما ويرفع ما بينهما من العداوة والشقاق ان الله كان عليما بما يريد الحكمان من الاصلاح والافساد خبيرا بما فيه مصالحكم ومنافعكم
قوله تعالى وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا آية اللغة الجار اصله من العدول يقال جاوره
مجاورة وجوارا فهو مجاور له وجار له بعدوله الى ناحيته فى مسكنه من قولهم جار عن الطريق وجار السهم اذا عدل عن القصد واستجار
بالله لانه يسال العدول به عن النار والجار ذى القربى القريب والجار الجنب الغريب قال ابو على الجنب وصفة على فعل مثل ناقة اجل
ومشى سجح فالجنب المتباعد عن اهله يدل على ذلك صفة مقابلته بقوله والجار ذى القربى والقربى من القرب كاليسرى من اليسر واصل
المختال من التخيل وهو التصور لانه يتخيل بحاله مرح البطر والخال الصلف التياه ومنه الخيل لانها تختال فى مشيتها اى تتبختر والخول الحشم
والفخور الذى يعدد مناقبه كبرا وتطاولا واما الذى يعددها اعترافا بالنعمة فيها فهو شكور غير فخور الاعراب احسانا نصب على المصدر
كما يقول جزاء لزيد وتقديره احسنوا بالوالدين احسانا او يكون نصبا على تقدير استوصوا بالوالدين فيكون مفعولا به المعنى لما امر الله
سبحانه بمكارم الاخلاق فى امر اليتامى والازواج والعيال عطف على ذلك بهذه الخلال المشتملة على معانى الامور ومحاسن الافعال وبدأ بالامر
بعبادته فقال واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا اى وحدوه وعظموه ولا تشركوا فى عبادته غيره فان العبادة لا يجوز لغيره لانها لا تستحق الا بفعل
اصول النعم ولا يقدر عليها سواه عز اسمه وبالوالدين احسانا واستوصوا بهما برا وانعاما واحسانا واكراما وقيل ان فيه اضمار فعل اى
واوصاكم الله بالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين معناه احسنوا بالوالدين خاصة وبالقرابات عامة يقال احسنت اليه
واحسنت به واحسنوا الى اليتامى بحفظ اموالهم والقيام عليها وغيرها من وجوه الاحسان واحسنوا الى المساكين فلا تضيعوهم واعطوهم
ما يحتاجون اليه من الطعام والكسوة وساير ما لا بد منه لهم والجار ذى القربى والجار الجنب قيل معناه الجار القريب فى النسب والجار
الاجنبى الذى ليس بينك وبينه قرابة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل المراد به الجار ذو القربى منك بالاسلام
والجار الجنب المشرك البعيد فى الدين وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال الجيران ثلثة جار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة
وحق الاسلام وجار له حق الجوار المشرك من اهل الكتاب وقال الزجاج والجار ذى القربى الجار الذى يقاربك ويقاربه ويعرفك وتعرفه
والجار الجنب البعيد وروى ان حد الجوار الى اربعين دارا ويروى الى اربعين ذراعا قال ولا يجوز ان يكون المراد بذى القربى القريب
من القرابة لانه قد سبق ذكر القرابة والامر بالاحسان اليهم بقوله وبذى القربى ويمكن ان يجاب عنه بان يقال هذا جايز وان كان سبق
ذكر القرابة لان الجار اذا كان قريبا فله حق القرابة والجوار والقريب الذى ليس بجار له حق القرابة حسب فحسن افراد الجار القريب
بالذكر والصاحب بالجنب فى معناه اربعة اقوال احدها انه الرفيق فى السفر عن ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة والاحسان اليه
بالمواساة وحسن العشرة وثانيها انه الزوجة عن عبد الله بن مسعود وابن ابى ليلى والنخعى وثالثها انه المنقطع اليك يرجو نفعك
وروى ذلك عن ابن عباس فى احدى الروايتين وابن زيد ورابعها الخادم الذى يخدمك والاولى حمله على الجميع وابن السبيل معناه صاحب
الطريق وفيه قولان احدهما انه المسافر عن مجاهد والربيع وقيل هو الضيف عن ابن عباس قال والضيافة ثلثة ايام وما فوقها فهو معروف

وكل معروف صدقة وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تفرغ
عن دلوك فى اناء اخيك وما ملكت ايمانكم يعنى به المماليك من العبيد والاماء وذكر اليمين تاكيدا كما يقال مشت رجلك وبطشت يدك
موضع ما من قوله وما ملكت ايمانكم اجر بالعطف على ما تقدم اى واحسنوا الى عبيدكم واماتكم بالنفقه والسكنى ولا تحملوهم من الاعمال
ما لا يطيقونه امر الله سبحانه عباده بالاحسان الى هؤلاء اجمع ان الله لا يحب اى لا يرتضى من كان مختالا فى مشيته فخورا على الناس بكثرة
المال تكبرا عن ابن عباس انما ذكرهما سبحانه لانهما يانفان من اقاربهم وجيرانهم اذا كانوا فقراء ولا يحسنان عشرتهم وهذه آية
جامعة تضمنت بيان باركان الاسلام والتنبيه على مكارم الاخلاق ومن يدبرها حق التدبر وتذكر بها حق التذكر اغنته عن
كثير من مواعظة البلغاء وهدية الحجم غفير من معلوم العلماء قوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما
آتيهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا آية القراءة قراء اهل الكوفة غير عاصم بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك فى
سورة الحديد والباقون بالضم الحجة قال سيبويه هما لغتان احدها البخل اصله لمشقة الاعطاء وقيل فى معناه انه منع الواجب
لانه اسم ذم لا يطلق الا على مرتكب كبيرة وقيل هو منع ما لا ينبغى منعه ولا يضر بذله ومثله الشح وضده الجود والاول اليق بالاية لانه
سبحانه نفى محبته عمن كان بهذه الصفة وقال على بن عيسى معناه منع الاحسان لمشقة الطباع ونقيضه الجود ومعناه بذل
الاحسان لانتفاء مشقة الطباع الاعراب الذين يحتمل ان يكون موضعه نصبا من وجهين وان يكون رفعا من وجهين فاما النصب
فعلى ان يكون بدلا عن من فى قوله لا يحب من كان وعلى الذم ايضا واما الرفع فعلى الاستيناف بالذم على الابتداء ويكون الآية الثانية
عطفا عليها ويكون الخبر ان الله لا يظلم وعلى البدل من الضمير فى فخورا المعنى الذين يبخلون اى يمنعون ما اوجب الله عليهم من
الزكوات وغيرها واختاره الجبائى وابو مسلم وقيل معناه الذين يبخلون باظهار ما علموه من صفة النبي صلى الله عليه وآله عن ابن
عباس ومجاهد والسدى وابن زيد ويأمرون الناس بالبخل ويأمرون غيرهم بذلك وقيل يأمرون الانصار بترك الانفاق على
رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى اصحابه عن ابن عباس وقيل يأمرون بكتمان الحق ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اى يجحدون ما
آتاهم الله من اليسار والثروة اعتذارا لهم فى البخل وقيل يكتمون ما عندهم من العلم ببعث النبي صلى الله عليه وآله ونعته والاولى
ان يكون الآية عامة فى كل من يبخل باداء ما يجب عليه اداؤه ويأمر الناس به وعامة فى كل من كتم فضلا آتاه الله تعالى من العلم و
غيره من انواع النعم التى يجب اظهارها ويحرم كتمانها وقد ورد فى الحديث اذا انعم الله تعالى على عبد نعمة احب ان يرى اثرها
عليه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا معناه اعددنا للجاحدين ما انعم الله عليهم عذابا يهانون فيه ويذلون فاضاف الاهانة الى
العذاب اذ كان يحصل به قوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن
الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما آيتان اللغة
القرين اصله من الاقران ومنه القرن لاهل العصر لاقترانهم والقران المقادم فى الحرب والقرين الصاحب المالوف وقال عدى بن
زيد عن المرء لا تسال وابصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدى الاعراب الذين يحتمل ان يكون ما قلناه فى الآية المتقدمة
ويحتمل ان يكون عطفا على الكافرين فكانه قال واعتدنا للكافرين والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ورئاء مصدر وضع
موضع الحال فكانه قال ينفقون مرائين الناس وقرينا نصب على التمييز وموضع ذا من ماذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون مرفوعا
لانه فى موضع الذى تقديره وما الذى عليهم لو آمنوا والثانى ان يكون لا موضع له لانه مع ما بمنزلة اسم واحد وتقديره واى شىء
عليهم لو آمنوا المعنى ثم عطف على ما تقدم بذكر المنافقين فقال والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اى مراءاة الناس ولا يؤمنون
اى لا يصدقون بالله ولا باليوم الآخر الذى فيه الثواب والعقاب جمع الله سبحانه فى الذم والوعيد بين من ينفق ماله رياء وسمعة
ومن لم ينفق اصلا ومن يكن الشيطان له قرينا اى صاحبا او خليلا فى الدنيا يتبع امره ويوافقه على الكفر وقيل يعنى فى القيامة
وفى النار فساء قرينا اى بئس القرين الشيطان لانه يدعوه الى المعصية المؤدية الى النار فبئس القرين الشيطان حيث يتلاعنان
ويتباغضان فى النار وماذا عليهم اى اى شىء عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله قطع الله سبحانه بهذا عذر الكفار فى العدول

عن الايمان وابطل به قول من قال انهم لا يقدرون على الايمان لانه لا يحسن ان يقال للعاجز عن الشئ ماذا عليك لو فعلت كذا فلا يقال للقصير ماذا عليك لو كنت طويلا وللاعمى ماذا عليك لو كنت بصيرا وقيل معناه ماذا عليهم لو جمعوا الى انفاقهم الايمان بالله لينفعهم الانفاق وكان الله بهم عليما يجازيهم بما يسرون خيرا فخيرا وان شرا فلا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الرياء وفى الاية دلالة ايضا على ان الحرام لا يكون رزقا من حيث انه سبحانه حثهم على الانفاق مما رزقهم واجمعت الامة على ان الانفاق من الحرام محظور

قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما آية القراءة قرا ابن كثير ونافع وان تك حسنة بالرفع والباقون بالنصب وقرا ابن كثير وابن عامر يضعفها بالتشديد والباقون يضاعفها بالالف الحجة من نصب فمعناه وان تك زنة الذرة حسنة او ان تك فعلة حسنة ومن رفعها فمعناه وان يقع حسنة او ان يحدث حسنة فيكون كان تامة لا يحتاج الى خبر ويضاعف ويضعف بمعنى واحد قال سيبويه يجئ فاعلت ولا يراد به عمل الاثنين وذلك قولهم ناولته وعاقبته وعافاه الله قال ونحو ذلك ضاعفت وضعفت وناعمت ونعمت وهذا يدل على انهما لغتان اللغة الظلم هو الالم الذى لا نفع فيه يوفى عليه ولا دفع مضرة اعظم منه عاجلا ولا اجلا ولا يكون مستحقا ولا واقعا على وجه المدافعة واصله وضع الشئ غير موضعه وقيل اصله الانتقاص من قوله ولم يظلم منه شيئا فالظلم على هذا انتقاص الحق والظلمة انتقاص النور بذهابه وسمى مظلوم اذا انتقص منه قبل ان يدرك والظليم ذكر النعام لانه وضع الشئ عن موضعه من حيث تحضين غير بيضه واصل المثقال الثقل فالمثقال مقدار الشئ فى الثقل والثقل ما نقل من متاع السفر اصل تكون يكون فحذفت الضمة للجزم والواو لسكونهما او سكون النون فاما سقوط النون فلكثرة الاستعمال فكانهم ارادوا ان يجزموا الكلمة مرة اخرى فلم يجدوا حركة يسقطونها فاسقطوا الحرف وقد ورد القرآن بالحذف والاثبات قال سبحانه ان يكن غنيا او فقيرا ومثل يك قولهم لا ادر فلم ابل والاصل لا ادرى ولم ابال ولدن فى موضع جر وفيه لغات لدى ولدن ولد الدار والمعنى واحد ومعناه من قبله ولدن بما يسك وعند يكون لما يليك ولما بعد منك يقول عندي مال وان كان بينك وبينه بعد واذا اضفت الى نفسك زدت فيه نونا اخرى ليسلم سكون النون تقول لدنى وكذلك منى وعنى المعنى ان الله لا يظلم احدا قط مثقال ذرة اى زنة ذرة وهى النملة الحمراء الصغيرة التى لا تكاد ترى عن ابن عباس وابن زيد وهى اضعف النمل وقيل هى جزء من اجزاء الهباء فى الكوة من اثر الشمس وانما لا يختار الله تعالى الظلم ولا يجوز عليه الظلم لانه عالم بقبحه مستغنى عنه وعالم باستغنائه عنه وانما يختار القبيح من يختاره لجهله بقبحه او لحاجته اليه لدفع ضرر او جر نفع او لجهله باستغنائه عنه والله سبحانه منزه عن جميع ذلك وعن ساير النقص والعجز ولم يذكر سبحانه الذرة ليقصر الحكم عليها بل انما خصها بالذكر لانها اقل شئ مما يدخل فى وهم البشر وان يك حسنة يضاعفها معناه وان يكون زنة الذرة حسنة اقل شئ مما يدخل فى وهم البشر وان يك حسنة يضاعفها معناه وان يكن زنة حسنة يقبلها ويجعلها اضعافا كثيرة وقيل يجعلها ضعفين عن ابى عبيدة وقيل معناه يديمها ولا يقطعها ومثله قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وكلتا الايتين غاية فى الحث على الطاعة والنهى عن المعصية وقوله ويؤت من لدنه اى يعطه من عنده اجرا عظيما اى جزاء عظيما وهو ثواب الجنة وفى هذه الاية دلالة على ان منع الثواب والنقصان منه ظلم لانه لو لم يكن كذلك لما كان لهذا الترتيب فى الآية معنى وفيها ايضا دلالة على انه سبحانه قادر على الظلم لانه نزه نفسه عن فعل الظلم وتمدح بذلك فلو لم يكن قادرا عليه لم يكن فيه مدحة

قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا آيتان القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم تسوى مفتوحة التاء خفيفة السين وقرا يزيد ونافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين وقرا الباقون تسوى بضم التاء وتخفيف السين الحجة قال ابو على قرا نافع وابن عامر لو تسوى معناه لو تتسوى فادغم التاء فى السين لقربها منها وفى قراءة حمزة والكسائى حذف التاء فالتاء اعتلت بالحذف كما اعتلت بالادغام واما تسوى فهى تفعل من التسوية الاعراب كيف لفظها لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ وتقديره فكيف حال هؤلاء يوم القيامة وحذف لدلالة الكلام عليه والعامل فى كيف الابتداء المحذوف فهو فى موضع الرفع بانه خبر المبتداء ولا يجوز ان يكون العامل فى كيف جئنا لانه فى موضع جر باضافة اذا اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما

قبل المضاف كما لا يعمل الصلة فيما قبل الموصول لانه من تمام الاسم ومن كل امة فى موضع نصب على الحال لانه صفة شهيد فلما تقدمه انتصب على
الحال والعامل فى اذا جواب المحذوف لدلالة ما تقدمه عليه وشهيدا منصوب على الحال والعامل فى يومئذ يود وانما عمل فى يومئذ يود وانما عمل فى
يومئذ ما بعده ولم يجز ذلك فى اذا جئنا لانه لما اضيف يوم الى اذ بطلت اضافته الى الجملة ونون اذ ليدل على تمام الاسم المعنى لما ذكر سبحانه
اليوم الآخر وصف حال المنكرين له فقال فكيف اى فكيف حال الامم وكيف يصنعون اذا جئنا من كل امة من الامم بشهيد وجئنا بك يا محمد على
هؤلاء يعنى قومه شهيدا وهذا كما يقول العرب للرجل فى الامر الهائل بتوقيفه كيف بك اذا كان كذا يريد بذلك تعظيم الامر وتهويله وتحذير
الرجل عنه وانذاره به وحثه على الاستعداد له ومعنى الآية ان الله تعالى يستشهد يوم القيمة كل نبى على امته فيشهد لهم وعليهم ويستشهد
نبينا صلى الله عليه وآله على امته وفى الآية مبالغة على الحث على الطاعة واجتناب المعصية والزجر عن كل ما يستحق منه على رؤس الاشهاد لانه
يشهد الانسان وعليه يوم القيمة بشهود عدول لا يتوقف فى الحكم بشهادتهم ولا يتوقع القدح فيها وهم الانبياء والمعصومون والكرام
الكاتبون والجوارح والمكان والزمان كما قال سبحانه وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقال ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ويوم يشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وفى
بعض الاخبار ان المكان والزمان يشهدان على الرجل باعماله فليتذكر العاقل هذه الشهادة ويستعد لهذه الحالة فكان قد وقعت وكان
الشهادة قد اقيمت وروى ان عبد الله بن مسعود قرأ هذه الآية على النبى صلى الله عليه وآله ففاضت عيناه فاذا كان الشاهد تفيض
عيناه لهول هذه المقالة وعظم هذه الحالة فماذا يجرى ينبغى ان يصنع المشهود عليه يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
معناه لو يجعلون والارض سواء كما قال سبحانه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا ومن التسوية قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوى بنانه
اى يجعلها صفيحة واحدة لا يفصل بعضها على بعض فيكون كالكف ويعجز لذلك عما يستعان عليه من الاعمال بالبنان وروى عن ابن عباس
ان معناه يودون ان يمشى عليهم اهل الجمع يطؤنهم باقدامهم كما يطأون الارض وعلى القول الاول فالمراد به الكفار يوم القيمة يودون انهم
لم يبعثوا وانهم كانوا والارض بهم سواء لعلمهم بما يصيرون اليه من العذاب والخلود فى النار وروى ايضا ان البهائم يوم القيمة يصير ترابا
فيتمنى عند ذلك الكفار انهم صاروا كذلك ترابا وهذا لا يجوز الا من قال ان العوض منقطع وهو الصحيح ومن قال ان العوض دائم لم يصحح
هذا الخبر وقوله ولا يكتمون الله حديثا قيل فيه اقوال احدها انه عطف على قوله ولو تسوى اى ويودون ان لو لم يكتموا الله حديثا لانهم [illegible] اذا
سئلوا قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيشهد عليهم جوارحهم بما عملوا فيقولون يا ليتنا كانوا ترابا ويا ليتنا لم نكتم الله شيئا وليس ذلك بحقيقة
الكتمان فانه لا يكتم شئ عن الله تعالى لكنه فى صورة الكتمان وهذا قول ابن عباس وثانيها انه كلام مستانف والمراد به انهم لا يكتمون الله شيئا
من امور دنياهم وكفرهم بل يعترفون به فيدخلون النار باعترافهم وانما لا يكتمون لعلمهم بانه لا ينفعهم الكتمان وانما يقولون والله ربنا
ما كنا مشركين فى بعض الاحوال وان للقيامة مواطن واحوالا ففى موطن لا يسمع كلامهم الا همسا كما اخبر سبحانه عنهم وفى موطن ينكرون
ما فعلوه من الكفر والمعاصى ظنا منهم ان ذلك ينفعهم وفى موطن يعترفون بما فعلوه عن الحسن وثالثها ان المراد انهم لا يقدرون على كتمان
شئ من الله تعالى لان جوارحهم يشهد عليهم بما فعلوه فالتقدير لا يكتمه جوارحهم وان كتموه هم ورابعها ان المراد ودوا لو تسوى بهم الارض
وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وآله وبعثه عن عطا وخامسها ان الآية على ظاهرها فالمراد لا يكتمون الله لانهم ملجؤون الى ترك
القبائح والكذب وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اى ما كنا مشركين عند انفسنا لانهم كانوا يظنون فى الدنيا ان ذلك ليس بشرك
من حيث يقربهم الى الله تعالى عن ابى القسم البلخى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا آية القراءة قرا اهل الكوفة عن عاصم او لمستم بغير الف ههنا وفى المائدة وقرا الباقون
او لامستم بالالف الحجة حجة من قرا لمستم ان هذا المعنى جاء فى التنزيل على فعلتم فى غير موضع قال سبحانه لم يطمثهن انس ولم يمسسنى بشر
وحجة من قرا لامستم ان فاعل قد جاء فى معنى مفعول فعل نحو عاقبت اللص وطارقت النعل اللغة يقال قرب يقرب متعديا وقرب
يقرب لازما ومنه قرب الماء يقربه اذا ورده اصل السكر من السكر وهو سد مجرى الماء واسم الموضع السكر فالسكر ينسد طريق المعرفة وسكرة الموت

غشيه

غشيته ورجل سكران من قوم سكارى وسكرى والمراة سكرى ايضا ويقال رجل جنب اذا اجنب ويستوى فيه المذكر والمونث والواحد والجمع
يقال رجل جنب وقوم جنب وامراة جنب والعابر من العبور يقال عبرت النهر والطريق عبورا واقطعته من هذا الجانب الى الجانب الآخر والغائط
اصله المطمئن من الارض يقال غائط وغيطان وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث وكنوا به
لتغوط عن الحدث والغايط وقيل انهم كانوا يقال مورج الغايط قارة من الارض نحوها اكام سترها والفعل منه غاط يغوط مثل عاد
يعود واللمس يكون باليد ثم اتسع فيه فاوقع على غيره وقالوا التمس وهو افتعل من اللمس فاوقع على ما لا يقع عليه اللمس قال ابو الحسين
والملتمس ثلثه فانهم يلتمس ارادتهم يطلب ويلتمس المعروف طال ليس هناك مماسة ولا مباشرة والتيمم ومثله التامم وقال الاعشى تيممت
قيساوكم دونه من الارض من مهمه ذى بزن وقال آخر تيممت دارا يمن دارا وقد صار في الشرع اسماء القصد مخصوص وهو ان يقصد
الصعيد ويستعمل التراب في اعضاء مخصوصة والصعيد وجه الارض من غير نبات ولا شجر وقال ذو الرمة كانه بالضحى ترمي الصعيد به
دبابة في عظام الراس خرطوم وقال الزجاج الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ترابا او غيره انما سمى صعيدا لانها نهاية ما يصعد
اليه من باطن الارض الاعراب وانتم سكارى جملة منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه تقربوا وذو الحال الواو من تقربوا وقوله جنبا
انما انتصب لكونه عطفا عليه والمراد به الجمع وعابرى سبيل منصوب على الاستثناء وتغتسلوا منصوب باضمار ان وعلامة النصب سقوط
النون مع المضمر في موضع الجر بحتى والجار مع المجرور في موضع النصب بكونه مفعول فقوموا وكذلك قوله حتى تغتسلوا وقوله على سفر في
موضع نصب عطفا على قوله مرضى وتقديره او مسافرين المعنى لما امر الله سبحانه في الآية بالعبادة ذكر عقيبها ما هو اكبر من العبادات
وهو الصلوة فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة اى لا تصلوا وانتم سكارى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وقيل
معناه لا تقربوا مكان الصلوة اى المساجد للصلوة وغيرها كقوله وصلوات اى مواضع الصلوات عن عبد الله وسعيد بن المسيب والضحاك
وعكرمة والحسن ويويد هذا قوله الا عابرى سبيل فان العبور انما يكون في الموضع دون الصلوة وقوله وانتم سكارى اى نشاوى واختلف
فيه على قولين احدهما ان المراد سكر الشراب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا ثم نسخها تحريم الخمر وروى ذلك عن موسى بن جعفر عليه السلم
وقد يسال عن هذا فيقال كيف يجوز نهى السكران في حال السكر مع زوال العقل الى ما يحتمل الامر والنهى انما ورد عن التعريض للسكر
في حال وجوب اداء الصلوة عليهم واجاب ابو على الجبائى بجواب ثالث وهو ان النهى انما دل على ان اعادة الصلوة واجبة عليهم ان ادوها
في حال السكر وقد سئل ايضا فقيل اذا كان السكران مكلفا فكيف يجوز ان ينهى عن الصلوة في حال سكره مع ان عمل المسلمين على خلافه
واجيب عن ذلك ايضا بجوابين احدهما انه منسوخ والآخر انهم لم يؤمروا بتركها لكن امروا بان يصلوها في بيوتهم ونهوا عن الصلوة مع النبى
صلى الله عليه وآله في جماعة تعظيما له وتوقيرا والقول الثاني ان المراد بقوله وانتم سكارى سكر النوم خاصة عن الضحاك وروى ذلك
عن ابى جعفر ع ويعضد ذلك ما روته عايشه عن النبى صلى الله عليه وآله اذا نعس احدكم وهو يصلى فلينصرف لعله يدعو على نفسه
وهو لا يدرى حتى تعلموا ما تقولون اى حتى تميزوا ما تقولون من الكلام وقيل معناه حتى تحفظوا ما تتلون من القرآن وقوله ولا جنبا
الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا في معناه قولان احدهما ان المراد به ولا تقربوا الصلوة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين فيجوز لكم اداؤها
بالتيمم وان كان لا يرتفع حكم الجنابة فان التيمم وان كان يبيح الصلوة فانه لا يرتفع الحدث عن على ع وابن عباس وسعيد بن جبير و
مجاهد والآخر ان معناه لا تقربوا مواضع الصلوة من المساجد وانتم جنب الا مجتازين عن جابر والحسن وعطا والزهرى وابراهيم
وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وعابرى سبيل اى مارين في طريق الحق حتى تغتسلوا عن الجنابة وهذا القول الاخير اقوى لانه سبحانه
بين حكم الجنب في آخر الاية اذا عدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكرارا وانما اراد سبحانه ان يبين حكم الجنب في دخول المساجد
في اول الاية ويبين حكمه في الصلوة عند عدم الماء في آخر الآية وان كنتم مرضى قيل نزلت في رجل من الانصار كان مريضا ولم يستطع
ان يقوم فيتوضا فالمرض الذى يجوز معه التيمم مرض الجراح والكسر والقروح اذا خاف اصحابها من مس الماء عن ابن عباس وابن مسعود
والسدى والضحاك ومجاهد وقتادة وقيل هو المرض الذى لا يستطيع معه تناول الماء ولا يكون هناك من يناوله عن الحسن وابن زيد
وكان الحسن لا يرخص للجرح التيمم والمروى عن السيدين الصادق والباقر عليهما السلم جواز التيمم في جميع ذلك او على سفر معناه او كنتم

مسافرين او جاء احد منكم من الغايط من هو كناية عن قضاء الحاجة قيل ان او ههنا بمعنى الواو كقوله سبحانه ارسلناه الى ماية الف او يزيدون يعنى
جاء احد منكم من الغايط وذلك لان المجى من الغايط ليس من جنس المرض والسفر حتى يصح عطفه عليهما فانهما سبب الاباحة التيمم والرخصة والمجى
من الغايط سبب لايجاب الطهارة او لامستم النساء المراد به الجماع عن على عليه السلم وابن عباس ومجاهد وقتادة واختاره ابو حنيفه و
الجبائى وقيل المراد به لمس اليد وغيرها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود والشعبى وعطا واختاره الشافعى والصحيح الاول لان الله سبحانه بين حكم
الجنب فى حال وجود الماء بقوله ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ثم بين عند عدم الماء حكم المحدث بقوله او جاء احد منكم من الغايط فلا يجوز
ان يدع بيان حكم الجنب عند عدم الماء مع انه جرى له ذكر فى الاية ويبين حكم المحدث ولم يجر له ذكر فعلمنا ان المراد بقوله لامستم الجماع ليكون
بيانا لحكم الجنب عند عدم الماء واللمس والملامسة معناهما واحد لانه لا يلمسها الا وهى تلمسه ويروى ان العرب والموالى اختلفا فيه فقالت
الموالى المراد به الجماع وقالت العرب المراد به مس المراة فارتفعت اصواتهم الى ابن عباس وقال غلب الموالى المراد به الجماع وسمى الجماع لمسا
لان به يتوصل الى الجماع كما يسمى المطر سماء وقوله فلم تجدوا ماء راجع الى المرضى والمسافرين جميعا مسافر لا يجد الماء ومريض لا يجد من يصبه
او يخاف الضرر من استعمال الماء لان الاصل ان حال المرض يغلب فيها خوف الضرر من استعمال الماء وحال السفر يغلب فيها عدم الماء فتيمموا
اى تعمدوا او تحروا واقصدوا صعيدا قال الزجاج لا اعلم خلافا بين اهل اللغة فى ان الصعيد وجه الارض وهذا يوافق مذهب اصحابنا
فى ان التيمم يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب او لم يكن طيبا اى طاهرا وقيل حلالا عن سفيان وقيل منبتا دون السبخة التى لا تنبت كقوله
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فامسحوا بوجوهكم وايديكم هذا هو التيمم بالصعيد الطيب واختلف فى صفة التيمم على اقوال احدها انه
ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وهو قول اكثر الفقهاء ابى حنيفه والشافعى وغيرهما وبه قال قوم من اصحابنا وثانيها انه ضربة
للوجه وضربة لليدين من الزندين واليه ذهب عمار بن ياسر ومكحول واختاره الطبرى وهو مذهبنا فى التيمم اذا كان بدلا من الجنابة فاذا كان بدلا من
الوضوء كفاه ضربة واحدة يمسح بها وجهه من قصاص شعره الى طرف انفه ويديه من زنديه الى اطراف اصابعهما وهو المروى عن سعيد بن
المسيب وثالثها انه الى الابطين عن الزهرى ان الله كان عفوا يقبل منكم العفو لان فى قوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل الامر علينا وقيل
عفو كثير الستر لذنوب عباده فى الاية دلالة على ان السكران لا يصح صلوته وقد حصل الاجماع على انه يلزمه القضاء ولا يصح من السكران الصفح والتجاوز عفوا كثيرا
من العقود كالنكاح والبيع والشراء وغير ذلك ولا ردها كالطلاق والعتاق وفى الطلاق خلاف بين الفريقين فعند ابى حنيفه يقع
طلاقه وعند الشافعى لا يقع فى احد القولين فاما يلزم به الحدود والقصاص فعندنا انه يلزمه جميع ذلك فيقطع بالسرقة ويحد بالقذف
والزنا لعموم الايات المتناولة لذلك والاجماع المطابقه قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون
ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا آيتان فى الكوفى عد ان تضلوا السبيل آية وآية واحدة فى غيرهم اللغة
العداوة بالابعاد من حال النصرة وضدها الولاية وهى التقريب من حال النصرة واما البغض فهو ارادة الاستحقاق والاهانة وضده المحبة
وهى ارادة الاعظام والكراهة والكفاية بلوغ الغاية فى مقدار الحاجة كفى يكفى كفاية فهو كاف والاكتفاء الاجتزاء بالشى دون الشى ومثله
الاستغناء والنصرة الزيادة فى القوة للغلبة ومثلها المعونة وضدها الخذلان ولا يكون ذلك الا عقوبة لان منع المعونة من يحتاج
اليها عقوبة الاعراب دخول الباء فى قوله بالله قولان احدهما انه لتاكيد الاتصال والثانى لانه دخل معنى اكتفوا بالله ذكره الزجاج وموضعه
رفع بالاتفاق النزول نزلت فى رفاعة بن زيد بن السايب ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله لويا السنتهما وعاباه
عن ابن عباس المعنى لما ذكر سبحانه الاحكام التى اوجب العمل بها وصاحبها بالتهديد دعا الى خلافها فقال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب اى الم ينته علمك الى الذين اعطوا حظا من علم الكتاب يعنى التورية وهم اليهود عن ابن عباس يشترون الضلالة اى يستبدلون
الضلالة بالهدى ويكذبون النبى بدلا من التصديق وقيل كانت اليهود يعطى احبارها كثيرا من اموالهم على ما كانوا يصلونه لهم
فجعل ذلك اشتراهم عن ابى على الجبائى وقيل كانوا ياخذونه الرشوة عن الزجاج ويريدون ان تضلوا السبيل اى يريد هؤلاء اليهود
ان تزلوا ايها المؤمنين عن طريق الحق وهو الدين والاسلام فيكذبوا محمدا فيكونوا ضلالا وفى ذلك تحذير للمؤمنين ان يستنصحوا احدا
من اعداء الدين فى شى من امورهم الدينية والدنيوية ثم اخبر سبحانه بانه اعلم بعداوة اليهود فقال والله اعلم باعدائكم ايها المؤمنون

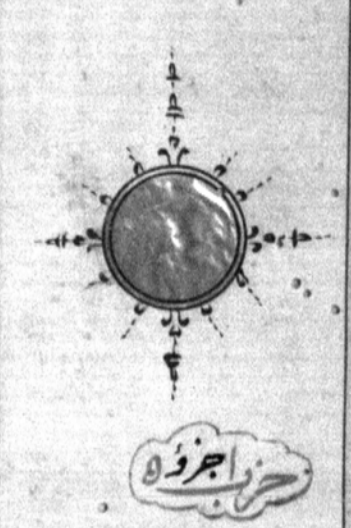
فاسهوا

فانتهوا الى طاعتي فيما بينكم عنه من استنصاحهم في دينكم فاني اعلم بباطنهم منكم وما هم عليه من الغش والحسد والعداوة لكم وكفى بالله وليا وكفى بالله
نصيرا معناه ان ولاية الله لكم ونصرته اياكم يغنيكم عن نصرة هؤلاء اليهود ومن جرى مجراهم ممن يطمعون في نصرته قوله تعالى من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا
واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا آية اللغة اصل اللي الفتل يقال
لويت العود لويا ولويت الغريم اذا مطلته واللوية ما تحف به المراة ضيفها لتلوي بقلبه اليها والوى بهم الدهر اذا افناهم ولوى العقل اذا صعق
ولم يتكلم منه والالسنة جمع اللسان وهو آلة الكلام واللسان اللغة ومنه قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ويقول السنه السنته
اذا اخذته بلسانك قال طرفة اذا تلسنني السنها انني لست بموهون فقر واهل الطعن بالرمح ونحوه الطعن باللسان الاعراب قيل في من هنا
واتصاله وجهان احدهما انه يتبين للذين اوتوا نصيبا من الكتاب ويكون العامل فيه اوتوا وهو في صلة الذين ويجوز له لا يكون في الصلة كما
يقول انظر الى الفرس من قومك ما صنعوا الثاني ان يكون على الاستيناف والتقدير من الذين هادوا فريق يحرفون الكلم فالقى الموصوف
لدلالة الصفة عليه كما قال ذو الرمة فظلوا ومنهم دمعه سابق له واخر يثني دمعة العين بالمهل وانشد سيبويه وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت
واخرى ابتغي العيش اكدح وقال الفراء المحذوف من الموصولة والتقدير من الذين هادوا من يحرفون الكلم كما يقولون منا ذاك منا لا يقوله قال والعرب
يضمرون في مبتداء الكلام بمن لان من بعض لما هي منه كما قال سبحانه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها وانكر المبرد والزجاج هذا القول
قالا لان من يحتاج الى صلة او صفة يقوم مقام الصلة فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا يحسن حذف بعض الكلمة وغير مسمع
نصب على الحال وراعنا من نونها جعلها كلمة الامر كقولك رويدا وهينا ومن لم ينون جعلها من المراعاة كما يقول عاطنا ليا مصدر وضع موضع
الحال وكذلك قوله وطعنا وتقديره يلوون السنتهم ليا ويطعنون في الدين طعنا الا قليلا تقديره وهم قليل يؤمنون وهم قليل فيكون
منتصبا على الحال ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف تقديره ايمانا قليلا كما قال الشاعر فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا الا ذكرا
قليلا وسقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين المعنى ثم بين سبحانه من تقدم ذكرهم فقال من الذين هادوا اي الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود فيكون قوله يحرفون الكلم في موضع الحال وان جعلنا كلاما مستانفا فمعناه من اليهود فيكون قوله
يحرفون الكلم عن مواضعه اي يبدلون كلمات الله واحكامه عن مواضعها وقال مجاهد يا مكلم التورية وذلك انهم كتموا ما في التورية
من صفة النبي صلى الله عليه وآله ويقولون سمعنا وعصينا معناه يقولون بالسنتهم سمعنا وفي قلوبهم عصينا وقيل معناه سمعنا قولك
وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي ويقول هؤلاء اليهود للنبي صلى الله عليه وآله اسمع منا غير مسمع كما يقول القائل لغيره اذا سبه بالقبيح اسمع
لا اسمعك الله عن ابن عباس وابن زيد وقيل بل تاويله اسمع غير مجاب لك ولا مقبول منك عن الحسن ومجاهد وهذا كله اخبار من
الله سبحانه عن اليهود الذين كانوا حوالي المدينة في عصر النبي صلى الله عليه وآله لانهم كانوا يسبونه ويؤذونه بالسيء من القول وراعنا قد
ذكرنا معناه في سورة البقرة وقيل انه كان سبا للنبي عليه السلام تواضعوا عليه ويقال كانوا يقولون استهزاء وسخرية ويقال انهم كانوا
يقولونه على وجه التحير كما يقول القائل لغيره انصت لكلامنا وتفهم عنا وانما يكون المراعاة التي هي المراقبة ليا بالسنتهم اي تحريكا منهم
السنتهم بتحريف منه لمعناه الى المكروه وطعنا في الدين اي وقيعة فيه ولو انهم قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك وقبلنا ما جئتنا به واسمع
منا وانظرنا اي انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا لكان خيرا لهم يعني انفع لهم عاجلا وآجلا واقوم اي اعدل واصوب في الكلام من الكفر و
الطعن في الدين ولكن لعنهم الله بكفرهم اي طردهم عن ثوابه ورحمته بسبب كفرهم ثم نعت عنهم فقال فلا يؤمنون في المستقبل الا قليلا
منهم فخرج مخبره سبحانه على وفق خبره فلا يؤمن منهم الا عبد الله بن سلام واصحابه وهم نفر قليل ويقال معناه لا ايمانا قليلا اي ضعيفا لا
اخلاص فيه ولكنهم غصبوا دماهم واموالهم له ويجوز ان يكون المعنى فلا يؤمنون الا بقليل مما يجب الايمان به قوله تعالى
يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت وكان امر الله مفعولا آية اللغة الطمس هو عفو الاثر والدائر والدارس بمعنى والادبار جمع دبر واصله من الدبر يقال دبره
يدبره دبرا فهو دابر اذا صار خلفه والدابر التابع ومنه قوله والليل اذا ادبر ومعناه تبع النهار والتدبير احكام ادبار الامور وهي عواقبها المعنى

ثم خاطب اهل الكتاب بالتخويف والتحذير فقال يا ايها الذين اوتوا الكتاب اى اعطوا علم الكتاب امنوا اى صدقوا بما نزلنا يعني بما انزلناه على
محمد صلى الله عليه وآله من القرآن وغيره من احكام الدين مصدقا لما معكم من التورية والانجيل الذين فيهما صفة نبينا وصحة ما جاء به من قبل
ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها اختلف في معناه على اقوال احدها ان معناه من قبل ان نمحو آثار وجوهكم حتى تصير كالاقفاء ونجعل
عيونها في اقفائها فتمشي القهقرى عن ابن عباس وعطية العوفي وثانيها ان معناه نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها في ضلالتها ذما لها بانها
لا تفلح ابدا عن الحسن ومجاهد والضحاك والسدي ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلم وثالثها ان معناه نجعل في وجوههم الشعر كوجوه
القرود عن الفراء وابي القسم البلخي والحسين بن علي المغربي ورابعها ان المراد حتى نمحو آثارهم من وجوههم اى نواحيهم التي هم بها وهي الحجاز الذي
هو مسكنهم ونردها على ادبارها حتى يعودوا الى حيث جاؤا وهو الشام وحمله على اجلاء بني النضير الى اريحا واذرعات من الشام عن ابن زيد
وهذا اضعف الوجوه لانه ترك الظاهر فان قيل على القول الاول كيف اوعد سبحانه ولم يفعل فجواب على وجوه احدها ان هذا الوعيد
كان متوجها اليهم لو لم يؤمن واحد منهم فلما آمن جماعة منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية واسد بن سعية واسعد بن عبيد ومخيريق
وغيرهم واسلم كعب في ايامهم رفع العذاب عن الباقين ويفعل بهم ذلك في الاخرة على انه سبحانه قال او نلعنهم انه يفعل احدهما وقد
لعنهم الله بذلك وثانيها ان الوعيد يقع بهم في الآخرة لانه سبحانه لم يذكر انه يفعل بهم ذلك في الدنيا تعجيلا للعقوبة ذكرها البلخي والجبائي
وثالثها ان هذا الوعيد باق منتظر لهم ولا بد من ان يطمس الله وجوها لليهود قبل قيام الساعة بان يمسخها عن المبرد او نلعنهم اى نخزيهم
ونعذبهم عاجلا عن ابي مسلم وقيل معناه نمسخهم قردة كما لعنا اصحاب السبت يعني الذين اعتدوا في السبت عن السدي وقتادة والحسن
وانما قال سبحانه نلعنهم بلفظ الغيبة وقد تقدم خطابهم لاحد امرين اما للتصرف في الكلام كقوله حتى اذا كنتم في الفلك مخاطبا ثم قال
وجرين بهم بريح طيبة فكنى عنهم واما لان الضمير عاد الى اصحاب الوجوه لانه في حكم المذكور وكان امر الله مفعولا فيه قولان احدهما ان
كل امر من امور الله سبحانه من وعد او وعيد او خبر فانه يكون ما اخبر به عن الجبائي والآخر ان معناه ان الذي يامر به بقوله كن كائن لا محالة
وفي قوله سبحانه قبل ان نطمس وجوها دلالة على ان لفظة قبل يستعمل في الشيء انه قبل غيره ولم يوجد ذلك الغير ولا خلاف في ان استعماله
يصح ولذلك يقال كان الله سبحانه قبل خلقه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
بالله فقد افترى اثما عظيما آية اللغة افترى اختلق وكذب واصله من خلق الاديم يقال فرى الاديم افريه فريا اذا قطعته على وجه
الاصلاح وافريته اذا قطعته على وجه الافساد الاعراب اثما عظيما منصوبا على المصدر لان افترى بمعنى اثم وهذا كما يقول حمدته شكرا
النزول قال الكلبي نزلت في المشركين وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما
قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله انا قد ندمنا على الذي صنعنا وليس يمنعنا على الاسلام الا
انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الايتان وقد دعونا
مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الايتان فبعث بهما رسول
الله صلى الله عليه وآله الى وحشي واصحابه فلما قراوها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه الآية
فنزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فقراوها فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته
فنزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فبعث بها اليهم فقراوها فبعثوا اليه انا نخاف
ان لا يكون دخل هو واصحابه في الاسلام ورجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره
قال ويحك غيب وجهك عني فلحق وحشي بعد ذلك بالشام وكان بها الى ان مات ابو مخلف عن ابن عمر قال نزلت في المؤمنين وذلك
انه لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية قام النبي صلى الله عليه وآله فتلاها على الناس فقام اليه رجل فقال والشرك بالله فسكت
ثم قام اليه مرتين او ثلثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية فاثبت هذه في الدين وهذه في النساء وروى مطرف بن الشخير عن
عمر بن الخطاب قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا بانه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية
فامسكنا عن الشهادات المعنى ثم انه سبحانه ايس الكفار من رحمته فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء معناه

ان الله لا يغفر ان يشرك به احد ولا يغفر ذنب الشرك لاحد ويغفر ما دون ذلك الشرك من الذنوب لمن يريد قال المحققون هذه الآية ارجى آية في القرآن لان فيه ادخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشية الغفران وقف الله سبحانه المؤمنين الموحدين بهذه الآية بين الخوف والرجاء وبين العدل والفضل وذلك صفة المؤمن ولذلك قال الصادق عليه السلم لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ويؤيده قوله سبحانه ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وروي عن ابن عباس انه قال ثمان آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت قوله سبحانه يريد الله ليبين لكم ويريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ان الله لا يغفر ان يشرك به في الموضعين ما يفعل الله بعذابكم وبيان وجه الاستدلال بهذه الآية على ان الله تعالى يغفر الذنوب من غير توبة انه نفى غفران الشرك ولم ينف غفرانه على كل حال بل نفى ان يغفره من غير توبة لان الامة اجمعت على ان الله سبحانه يغفره بالتوبة وان كان الغفران مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضل وعلى هذا يجب ان يكون المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء انه يغفر ما دون الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين وانما قلنا ذلك لان موضع الكلام الذي يدخل النفي والاثبات ويضم اليه الاعلى والادون ان يخالف الثاني الاول الا ترى انه لا يحسن ان يقول الرجل انا لا ادخل على الامير الا اذا دعاني وادخل على من دونه اذا دعاني وانما يكون الكلام مفيدا اذا قال وادخل على من دونه وان لم يدعني ولا معنى لقول من يقول من المعتزلة ان في حمل الآية على ظاهرها وادخال ما دون الشرك في المشية اغراء على المعصية لان الاغراء انما يحصل بالقطع على الغفران فاما اذا كان الغفران معلقا بالمشية فلا اغراء فيه بل يكون العبد به متعلقا بين الخوف والرجاء على الصفة التي وصف الله عز اسمه عادة المرتضين في قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا ويحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وبهذا وردت الاخبار الكثيرة من طريق الخاص والعام وانعقد عليه اجماع سلف اهل الاسلام ومن قال ان في غفران ذنوب البعض دون البعض ميلا ومحاباة ولا يجوز الميل والمحاباة على الله سبحانه فجوابه ان الله سبحانه متفضل بالغفران وللمتفضل ان يتفضل على قوم دون قوم وانسان دون انسان وهو عادل في تعذيب من يعذبه وليس يمنع العقل ولا الشرع عن الفضل والعدل ومن قال منهم ان لفظة ما دون ذلك وان كانت عامة في الذنوب التي هي دون الشرك فانما يخصها ويحملها على الصغائر او ما يقع منه التوبة لاجل عموم ظاهر آيات الوعيد فجوابه انا نعكس عليكم ذلك فيقول بل خصصوا ظاهر تلك الآيات لعموم ظاهر هذه الآية وهذا اولى لما روي عن بعض السلف انه قال هذه الآية استثناء على جميع القرآن يريد به والله اعلم جميع آيات الوعيد وايضا فان الصغائر تقع عندكم محبطة لا يجوز المؤاخذة بها وما هذا حكمه فكيف تعلق بالمشية فان احدا لا يقول اني افعل الواجب ان شئت وقوله ومن يشرك بالله فقد افترى فقد كذب بقوله ان العبادة يستحقها غير الله تعالى وأثم اثما عظيما اي غير مغفور وجاءت الرواية عن امير المؤمنين علي عم انه قال ما في القرآن آية ارجى عندي من هذه الآية قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا آيتان اللغة التزكية التطهير والتنزيه وقد يكون الوصف بالتطهير تزكية واصله من الزكاء وهو النمو يقال زكا الزرع يزكو زكاء وزكا الشيء اذا نمى في اصلاح واصل الفتيل ما يفتل وهو لي الشيء والفتيلة معروفة وناقة فتلاء اذا كان في ذراعها فتل عن الجنب والفتيل بمعنى المفتول وهو عبارة عن الشيء الحقير قال النابغة يجمع الجيش ذا الالوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلا والنظر هو الاقبال على الشيء بالبصر ومنه النظر بالقلب لانه اقبال على الشيء بالقلب وكذلك النظر بالرحمة والنظر الى الشيء التأمل له والانتظار الاقبال على الشيء بالتوقع له والمناظرة اقبال على الشيء كل واحد على الآخر بالمحاجة والنظر مثل الشيء لاقباله على نظيره بالمماثلة والفرق بين النظر والرؤية هي ادراك المرئي والنظر الاقبال بالبصر نحو المرئي ولذلك قد ينظر ولا يراه ولذلك يجوز ان يقال لله تعالى راء ولا يقال انه ناظر الاعراب فتيلا منصوب على انه مفعول ثان كقولك ظلمته حقه قال علي بن عيسى ويحتمل ان يكون نصبا على التمييز كقولك تصبب عرقا النزول قيل نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وآله وقالوا هل على هؤلاء من ذنب عظيم فقال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار وكذبهم الله عن الكلبي وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى عن الحسن والضحاك وقتادة والسدي وهو المروي عن

اى جعفر عليه السلم المعنى ثم ذكر سبحانه تزكية هؤلاء انفسهم مع كفرهم وتحريفهم الكتاب فقال الم تر معناه الم تعلم وقيل الم تخبر وهى
سؤال على وجه الاعلام وتأويله الم ينته علمك الى هؤلاء الذين يزكون انفسهم اى يمدحونها ويصفونها بالزكاء والطهارة بان يقولوا نحن
ازكياء وقيل هو تزكية بعضهم بعضا عن ابن مسعود وانما قال انفسهم لانهم على دين واحد فهم كنفس واحدة بل الله يزكى من يشاء رد الله سبحانه
ذلك عليهم وبين ان التزكية اليه يزكى من يشاء وقيل معناه يقبل عمله فيصير زكيا ولا يزكى اليهود بل يعذبهم ولا يظلمون فتيلا معناه قيل هو ما يكون
فى شق النواة عن ابن عباس وعطا ومجاهد وقتادة وقيل الفتيل ما فى بطن النواة والنقير على ظهرها والقطمر والسدى وفى هذه الاية دلالة
على تنزيه الله سبحانه عن الظلم وانما ذكر الفتيل ليعلم انه لا يظلم قليلا ولا كثيرا انظر يا محمد كيف يفترون على الله الكذب فى تحريفهم كتابه وقيل
فى تزكيتهم انفسهم وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى عن ابن جريج وكفى به اى كفى هو اثما
مبينا اى وزرا بينا واثما يقال كفى به فى العظم على جهة المدح او الذم فقال كفى بحال المؤمن نبلا وكفى بحال الكافر حوبا فكانه قيل ليس
يحتاج الى حال اعظم منه ويحتمل ان يكون معناه كفى هذا اثما اى ليس يقصر عن منزلة الاثم قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا آيتان اللغة الجبت لا تصريف له فى اللغة العربية وروى عن سعيد بن جبير انه قال هو السحر بلغة الحبشة وهذا يحمل
على موافقة اللغتين او على العرب ادخلوها فى لغتهم فصارت لغة لهم واللعنة الابعاد من رحمة الله عقابا على معصيته فلذلك لا يجوز
لعن البهايم ولا من ليس بعاقل من المجانين والاطفال لانه سؤال العقوبة لمن لا يستحقها فمن لعن بهيما وحشرة او نحو ذلك فقد اخطا
لانه سأل الله ما لا يجوز فى حكمته فان قصد بذلك الابعاد لا على وجه العقوبة جاز الاعراب سبيلا منصوب على التميز كما يقول هذا
احسن منك وجها اولئك لفظة جمع وواحده فى المعنى كما يقال نسوة فى جمع امراة وغلب على اولا ها التى للتنبيه ولين ذلك فى اولئك
لان فى حرف الخطاب تنبيها للمخاطب فصار الكاف معاقبا لها التى للتنبيه على كثرة الاستعمال النزول قيل كان ابو بردة كاهنا فى الجاهلية
فتنافر اليه ناس ممن اسلم فنزلت الاية عن عكرمة وقيل وهو قول اكثر المفسرين وقيل ان كعب بن الاشرف خرج فى سبعين راكبا من اليهود
الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وآله وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وآله فنزل كعب على ابى سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود فى دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نامن
ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فامنوا بهذين الصنمين واسجدوا لهما ففعلوا فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت
ثم قال كعب يا اهل مكة ليجئ منكم ثلثون ومنا ثلثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما
فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا واقرب الى الحق نحن ام محمد قال كعب اعرضوا
على دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحاج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن
اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال انتم اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله
عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب المعنى فالمعنى بذلك كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود الذين كانوا معه بين
سبحانه افعالهم القبيحة وضمها الى ما عدده فيما تقدم فقال يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى بها الصنمين اللذين كانا لقريش وسجد
لهما كعب بن الاشرف ويقولون للذين كفروا ابو سفيان واصحابه هؤلاء اهدى من الذين آمنوا محمد واصحابه سبيلا اى دينا عن عكرمة
وجماعة من المفسرين وقيل ان المعنى بالاية حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف وسلام بن ابى الحقيق وابو رافع وجماعة من اليهود
والجبت الاصنام والطاغوت تراجمة الاصنام الذين كانوا يكلمون بالتكذيب عنها عن ابن عباس وقيل الجبت الساحر والطاغوت الشيطان
عن ابن زيد وقيل الجبت السحر عن مجاهد والشعبى وقيل الجبت الساحر والطاغوت الكاهن عن ابى العالية وسعيد بن جبير وقيل
الجبت ابليس والطاغوت اولياؤه وقيل هما كل ما عبد من دون الله تعالى من حجر او صورة او شيطان عن ابى عبيدة وقيل الجبت هنا
حيى بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف عن الضحاك وبعض الروايات عن ابن عباس والمراد بالسبيل فى الاية الدين وانما سمى سبيلا
لانه كالطريق فى الاستمرار عليه ليؤدى الى المقصود اولئك اشارة الى الذين تقدم ذكرهم الذين لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته واخزاهم



و

وخذلهم واقصاهم ومن يلعن الله اى ومن يلعنه الله فلن تجد له نصيرا اى معينا يدفع عنه عقاب الله تعالى الذى اعده وقيل فلن
تجد له نصيرا فى الدنيا والآخرة لانه لا يعتد بنصرة من ينصره مع خذلان الله تعالى اياه قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن
به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ثلث آيات اللغة النقير من النقر وهو النكت ومنه المنقار لانه ينقر به والناقور الصور لانه ينقر فيه
بالنفخ المصوت والنقير خشبة ينقر وينبذ فيها وانتقر اختص كما يختص بالنقر واحدا قال طرفة نحن فى المشتاة ندعوا الجفلى لا ترى الآدب فينا
ينتقر والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة فى نيله لها وهو خلاف الغبطة لان الغبطة تمنى مثل تلك النعمة لاجل السرور بها لصاحبها
ولهذا صار الحسد مذموما والغبطة غير مذمومة وقيل ان الحسد من افراط البخل لان البخل منع النعمة لمشقة بذلها والحسد تمنى زوالها لمشقة نيل صاحبها
والعمل فيها على المشقة بنيل النعمة واصل السعير من السعر وهو ايقاد النار واستعرت نار الحرب والشر وسعرتها واسعرتها والسعر سعر المتاع و
سعره تسعيرا وذلك لاستعار السوق بحاها فى البيع والساعور كالتنور الاعراب ام هذه هى المنقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام
التى تسمى المتصلة وتقديره بل الهم نصيب من الملك وقال بعضهم ان همزة الاستفهام محذوفة من الكلام لان ام لا تجئ مبتدأة وتقديره اهم
اولى بالنبوة ام لهم نصيب من الملك فيلزم الناس طاعتهم وهذا ضعيف لان حذف الهمزة انما يجوز فى ضرورة الشعر ولا ضرورة فى
القرآن واذن لم تعمل فى يؤتون فانها اذا وقعت بين الفاء والفعل او بين الواو والفعل جاز ان تقدر متوسطة فتلغى كما تلغى ظننت واخواتها
او توسطت او تاخرت لان البنية به التاخير فالتقدير فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ولا يلبثون خلفك الا قليلا اذن ويجوز ان تقدر مستانفة
فتعمل مع حرف العطف فلو قرئ فاذا لا يؤتوا الناس لجاز لكن القراءة سنة متبعة واذا لا تعمل فى النصب الا بشروط اربعة ان تكون
جوابا للكلام وان يكون مبتدأة فى اللفظ وان لا يكون ما بعدها متعلقا بما قبلها ويكون الفعل بعدها مستقبلا المعنى لما حكم اليهود
بان المشركين اهدى من النبى واصحابه بين الله سبحانه ان الحكم ليس اليهم اذ الملك ليس لهم فقال ام لهم نصيب من الملك وهذا استفهام
ومعناه الانكار اى ليس لهم ذلك وقيل المراد بالملك ما كانت اليهود تدعيه من ان الملك يعود اليهم فى آخر الزمان حتى انه يخرج منهم من يجدد
ملتهم ويدعوا الى دينه فكذبهم الله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اى واعطوا الدنيا وملكها لما اعطوا الناس من الحقوق قليلا ولا
كثيرا وفى تفسير ابن عباس لو كان لهم نصيب من الملك لما اعطوا محمدا صلى الله عليه وآله شيئا وقيل انهم كانوا اصحاب بساتين واموال
وكانوا لا يعطون الفقراء شيئا ام يحسدون الناس معناه بل يحسدون الناس واختلف فى معنى الناس هنا فقيل اراد به النبى صلى الله عليه وآله
حسدوه على ما آتاه الله تعالى من فضله من النبوة واباحته تسع نسوة وميله اليهن وقالوا لو كان نبيا لشغلته النبوة عن ذلك فبين سبحانه
ان النبوة ليست ببدعة فى آل ابراهيم فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة يعنى النبوة قد آتينا داود وسليمن المملكة وكان لداود تسع وتسعون
امراة ولسليمن مائة امراة وقال بعضهم كان لسليمن الف امراة سبعمائة سرية وثلثمائة امراة وكان لداود مائة امراة فلا معنى لحسدكم محمدا
صلى الله عليه وآله على هذا وهو من اولاد ابراهيم عليه السلم وهم كانوا اكثر تزويجا واوسع مملكة منه عن ابن عباس والضحاك والسدى
وقيل لما كان قوام الدين به صار حسدهم له لجميع الناس وثانيها ان المراد بالناس النبى صلى الله عليه وآله عن ابى جعفر ع والمراد بالفضل فيه
النبوة وفى آله الامامة وفى تفسير العياشى باسناده عن ابى الصباح الكنانى قال قال ابو عبد الله عليه السلم يا ابا الصباح نحن قوم فرض الله
طاعتنا لنا الانفال ولنا صفو المال ونحن الراسخون فى العلم ونحن المحسودون الذى قال الله فى كتابه ام يحسدون الناس الاية قال والمراد
بالكتاب النبوة وبالحكمة الفهم والقضاء وبالملك العظيم افتراض الطاعة وثالثها ان المراد بالناس محمد واصحابه لانه تقدم ذكرهم فى قوله
هؤلاء من الذين آمنوا سبيلا ومن فضله ومن نعته عن ابى على الجبائى ورابعها ان المراد بالناس العرب اى يحسدون العرب لما صارت
النبوة فيهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وقيل المراد بالكتاب التورية والزبور والانجيل والحكمة ما اوتوا من العلم قوله وآتيناهم ملكا عظيما
المراد بالملك العظيم النبوة عن مجاهد والحسن وقتادة وقيل الملك العظيم ملك سليمان عن ابن عباس وقيل ما احل لداود وسليمن من
النساء عن السدى وقيل الجمع بين سياسة الدنيا وشرع الدين فمنهم من آمن به فيه قولان احدها ان المراد فمن اهل الكتاب من آمن بمحمد ومنهم
من صد عنه اى اعرض عنه ولم يؤمن به عن مجاهد والزجاج والجبائى ووجه اتصال هذا المعنى بالآية انهم مع هذا الحسد وغيره من افعالهم

القبيح فقد آمن بعضهم به والآخران المراد فمن امة ابراهيم من آمن به ومنهم من اعرض عنه كما انكم فى امر محمد كذلك وليس ذلك بموهن امره
كما لم يكن اعراضهم عن ابراهيم موهنا امر ابراهيم وكفى بجهنم سعيرا اى كفى هؤلاء المعرضين عنه فى العذاب النازل بهم عذاب جهنم نارا موقدة
ايقادا شديدا يريد بذلك انه صرف عنهم بعض العذاب فى الدنيا فقد اعد لهم عذاب جهنم فى العقبى قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ
نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا آيتان اللغة يقال اصليته النار اذا القيته
فيها وصليته صليا اذا شويته وشاة مصلية مشوية والصلاء الشواء وصلى فلان بشر فلان والتبديل التغيير يقال ابدلت الشئ بالشئ اذا ازلت
عينا بعين كما قال الشاعر عزل الامير بالامير المبدل وبدلت بالتشديد اذا غيرت هيئته والعين واحد يقولون بدلت جبتى قميصا ذكره المغربي
وقد يكون التبديل بان يوضع غيره موضعه قال الله عز اسمه يوم تبدل الارض غير الارض والظل اصله الستر من الشمس قال رؤبة كل موضع
تكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظل وفئ وما سوى ذلك فظل ولا يقال فيه فئ والظل الليل كانه الستر من الشمس والظلة السترة والظليل
الكنين المعنى لما تقدم ذكر المؤمن والكافر عقبه بذكر الوعد والوعيد على الايمان والكفر فقال ان الذين كفروا بآياتنا اى جحدوا حججنا
وكذبوا انبياءنا ودفعوا الآيات الدالة على توحيدنا وصدق نبينا سوف نصليهم نارا اى نلزمهم نارا نحرقهم فيها ونعذبهم بها ودخلت سوف
لتدل على انه يفعل ذلك بهم فى المستقبل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قيل فيه اقوال احدها ان الله سبحانه يجدد لهم جلودا
غير الجلود التى احرقت على ظاهر القرآن فى انها غيرها عن قتادة وجماعة من المفسرين واختاره على بن عيسى ومن قال على هذا ان الجلد المجدد
لم يذنب فكيف يعذب من لا يستحق العذاب فجوابه ان المعذب الحى ولا اعتبار بالاطراف والجلود وقال على بن عيسى ان ما يراد للالم ولا هو بعض
لما يألم وانما هو شئ يصل به الالم الى المستحق له وثانيها ان الله سبحانه يجددها بان يردها الى الحالة التى كانت عليها غير محترقة كما يقال جئتنى بغير
ذلك الوجه اذا كان قد تغير وجهه من الحالة الاولى كما اذا انكسر الخاتم فاتخذت منه خاتما آخر يقال هذا غير الخاتم الاول وان كان اصلهما واحدا
فعلى هذا يكون الجلد واحدا وانما تتغير الاحوال عليه وهو اختيار الزجاج والبلخى وابى على الجبائى وثالثها ان التبديل انما هو للسرابيل التى
ذكرها الله سبحانه سرابيلهم من قطران وسميت السرابيل جلودا على المجاورة للزومها الجلود وهذا ترك للظاهر بغير دليل وعلى القولين
الاخيرين لا يلزم سؤال التعذيب لغير العاصى فاما من قال ان الانسان غير هذه الجملة المشاهدة وانه المعذب فى الحقيقة فقد تخلص من هذا
السؤال وقوله ليذوقوا العذاب معناه ليجدوا الم العذاب وانما قال ذلك ليبين انهم كالمبتدأ عليهم العذاب فى كل حال فيحسون فى كل حالة الما
لكن ليستمر به الشئ فانه يصير اخف عليه ان الله كان عزيزا اى لم يزل منيعا لا يدافع ولا يمانع وقيل معناه انه قادر لا يمتنع عليه انجاز ما توعد به
او وعده حكيما فى تدبيره وفى تعذيب من يعذبه وروى الكلبى عن الحسن قال بلغنا ان جلودهم تنضج كل يوم سبعين الف مرة والذين آمنوا
بكل ما يجب الايمان به وعملوا الصالحات اى الطاعات الصالحة الخالصة سندخلهم جنات تجرى من تحتها اى من تحت اشجارها وقصورها
اى ماء الانهار خالدين فيها دائمين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة طهرن من الحيض والنفاس ومن جميع المعايب والادناس والاخلاق
الدنية والطباع الردية لا يفعلن ما يوحش ازواجهن ولا يوجد فيهن ما ينفر عنهن وندخلهم مع ذلك ظلا ظليلا اى كنينا ليس فيه حر
ولا برد بخلاف ظل الدنيا وقيل ظلا دائما لا تنسخه الشمس كما فى الدنيا وقيل ظلا متمكنا قويا كما يقال يوم ايوم وليل اليل وداهية دهياء
يصفون الشئ بمثل لفظه اذا ارادوا المبالغة قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا آية القراءة قد ذكرنا الاختلاف بين القراء فى نعما ووجوه قراآتهم وحججهم
فى سورة البقرة اللغة يقال اديت الشئ تأدية وقد يوضع الاداء موضع التأدية فيقام الاسم مقام المصدر والسميع هو من كان على
صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت والبصير من كان على صفة يجب لاجلها ان يبصر المبصرات اذا وجدت والسامع
هو المدرك للمسموعات والمبصر المدرك للمبصرات ولهذا يوصف القديم سبحانه فيما لم يزل بانه سميع بصير ولا يوصف فى القدم بانه
سامع مبصر الاعراب قوله تعالى نعما يعظكم به تقديره نعم شيئا يعظكم به فيكون شيئا تفسيرا للاسم الجنس المضمر الذي هو فاعل نعم
والمخصوص بالمدح قد حذف واقيمت صفته مقامه وقوله نعما يعظكم به جملة فى موضع رفع بانها خبر ان المعنى ثم امر سبحانه باداء الامانة

فقال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قيل في المعنى بهذه الآية اقوال احدها انه في كل من اؤتمن امانة من الامانات امانات الله
اوامره ونواهيه وامانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضا من المال وغيره عن ابن عباس وابي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي
عن ابي جعفر عليه السلم وابي عبد الله ع وثانيها ان المراد به ولاة الامراء امرهم الله سبحانه ان يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين
والشريعة عن زيد بن اسلم ومكحول وشهر بن حوشب ورواه اصحابنا عن ابي جعفر الباقر وابي عبد الله الصادق عليهما السلم قالا امر الله سبحانه
كل واحد من الائمة ان يسلم الامر الى من بعده ويعضده انه سبحانه امر الرعية بعد هذا بطاعة ولاة الامر وروي عنهم ع انهم قالوا آيتان احدهما
لنا والاخرى لكم قال الله سبحانه ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الاية ثم قال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
الاية وهذا القول داخل في القول الاول لانه من جملة ما ائتمن الله سبحانه عليه الائمة الصادقين ولذلك قال ابو جعفر ع ان اداء الصلوة
والزكوة والصوم والحج من الامانات ويكون من جملتها الامر لولاة الامر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية وقد
عظم الله سبحانه امر الامانة بقوله يعلم خائنة الاعين وقوله لا تخونوا الله والرسول وقوله ومن اهل الكتاب من ان تأمنه الاية وثالثها
انه خطاب للنبي صلى الله عليه وآله برد مفتاح الكعبة الى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح مكة واراد ان يدفعه الى
العباس ليكون له الحجابة والسقاية عن ابن جريج والمعول على ما تقدم وان صح القول الاخير والرواية فيه فقد دل الدليل على ان الامر
اذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه بل يكون على عمومه واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر الله الولاة والحكام ان يحكموا بالعدل
والنصفة ونظيره قوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وروى ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي ع
سو بين الخصمين في لحظك ولفظك وورد في الآثار ان صبيين ارتفعا الى الحسن بن علي ع في خط كتباه وحكماه في ذلك ليحكم اي الخطين
اجود فبصر به علي ع فقال يا بني انظر كيف تحكم فان هذا حكم والله سائلك عنه يوم القيمة ان الله نعما يعظكم به اي نعم الشيء ما يعظكم به
من الامر برد الامانة والنهي عن الخيانة والحكم بالعدل ومعنى الوعظ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل هو الامر بالخير والنهي عن
الشر ان الله كان سميعا بجميع المسموعات بصيرا بجميع المبصرات وقيل معناه عالم باقوالكم وافعالكم تنبيها على ان هذه الصفة واجبة
له فيما لم يزل **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا آية المعنى لما بدأ سبحانه في الآية المتقدمة بحث الولاة على تأدية حقوق
الرعية والنصفة والتسوية بين البرية ثناه في هذه الآية بحث الرعية على طاعتهم والاقتداء بهم والرد اليهم فقال يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله اي الزموا طاعة الله سبحانه فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعوا الرسول اي والزموا طاعة رسوله ايضا وانما افرد الامر
بطاعة الرسول وان كانت طاعته مقترنة بطاعة الله سبحانه مبالغة في البيان وقطعا لتوهم من توهم انه لا يجب لزوم ما ليس
في القرآن من الاوامر ونظيره قوله سبحانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما ينطق عن
الهوى وقيل معناه اطيعوا الله في الفرايض والرسول في السنن عن الكلبي والاول اصح لان طاعة الرسول هي طاعة الله تعالى وامتثال
اوامره امتثال اوامر الله واما معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله فهي معرفة برسالته ولا يتم ذلك الا بمعرفة الله وليست احديهما هي
الاخرى وطاعته واجبة في حيوته وبعد وفاته لان اتباع شريعته لازم بعد وفاته لجميع المكلفين ومعلوم ضرورة انه دعا اليها جميع
العالمين الى يوم القيمة اعلم انه رسول الله اليهم اجمعين وقوله واولي الامر منكم للمفسرين فيه قولان احدهما انهم الامراء عن ابي هريرة
وابن عباس في احدى الروايتين وميمون بن مهران والسدي واختاره الجبائي والبلخي والطبري والآخر انهم العلماء عن جابر بن
عبد الله وابن عباس في الرواية الاخرى ومجاهد وعطا والحسن وجماعة قال بعضهم لانهم الذين يرجع الامر اليهم في الاحكام ويجب
الرجوع اليهم عند التنازع دون الولاة واما اصحابنا فانهم رووا عن الباقر والصادق ان اولي الامر هم الائمة من آل محمد اوجب
الله طاعتهم بالاطلاق كما اوجب طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله ولا يجوز ان يوجب الله سبحانه طاعة احد على الاطلاق
الا من ثبتت عصمته وعلم ان باطنه كظاهره وامن منه الغلط والامر بالقبيح وليس ذلك بحاصل في الامراء ولا العلماء سواهم جل الله
سبحانه عن ان يأمر بطاعة من يعصيه او بالانقياد للمختلفين في القول والفعل لانه محال ان يطاع المختلفون كما انه محال ان يجتمع

ما اختلفوا فيه ومما يدل على ذلك ايضا ان الله سبحانه لم يقرن طاعة اولى الامر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته الا واولو الامر
فوق الخلق جميعا كما ان الرسول فوق اولى الامر وفوق ساير الخلق وهذه صفة ائمة الهدى من آل محمد عم الذين ثبتت امامتهم وعصمتهم
واتفقت الامة على علو رتبتهم وعدالتهم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والى الرسول فان اختلفتم فى شىء من امور دينكم فردوا المتنازع
فيه الى كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وهو قول قتادة ومجاهد والسدى ونحن نقول الرد الى طاعة الائمة القائمين مقام
الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته هو مثل الرد الى الرسول ص فى حياته لانهم الحافظون لشريعته وخلفاؤه فى امته فجرى
فيه ثم اكد سبحانه ذلك وعظمه بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فما ابين هذا واوضحه ذلك اشارة الى طاعة الله وطاعة رسوله
واولى الامر والرد الى الله والى الرسول خير لكم واحسن تاويلا اى احمد عاقبة عن قتادة والسدى وابن زيد قالوا لان التاويل من آل يؤول
اذا رجع والمآل المرجع والعاقبة سمى تاويلا لانه مآل الامر وقيل معناه احسن جزاء عن مجاهد وقيل معناه خير لكم فى الدنيا واحسن
عاقبة فى الآخرة وقيل معناه احسن من تاويلكم انتم اياه من غير رد الى اصل من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عن الزجاج وهو الاقوى
لان الرد الى الله ورسوله ومن يقوم مقامه من المعصومين احسن لا محالة واحسن من تاويل بغير حجة واستدل بعضهم بقوله فان
تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول على ان اجماع الامة حجة بان قالوا انما اوجب الله الرد الى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع
فدل على انه اذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ولا يكون كذلك الا والاجماع حجة وهذا الاستدلال انما يصح لو فرض ان فى الامة
معصوما حافظا للشرع فاما اذا لم يفرض ذلك فلا يصح لان تعليق الحكم بشرط او صفة لا يدل على ان ما عداه بخلافه عند اكثر العلماء
فكيف اعتمدوا عليه ههنا على ان الامة لا تجتمع على شىء الا عن كتاب او سنة وكيف يقال انها اذا اجتمعت على شىء لا يجب عليها الرد الى
الكتاب والسنة وقد ردت اليهما قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى
الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين
يصدون عنك صدودا ٥ آيتان اللغة الطاغوت ذو الطغيان على جهة المبالغة فى الصفة فكل من يعبد من دون الله فهو طاغوت
وقد يسمى به الاوثان كما تسمى بانها رجس من عمل الشيطان ويوصف به ايضا كل من يطغى بان حكم بخلاف حكم الله تعالى واصل الضلال
العدول عن الطريق المؤدى الى البغية لانه ضد الهدى الذى هو الدلالة على الطريق المؤدى الى البغية وله تصرف يرجع الجميع الى هذه
النكتة ذكرناه فى سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين وتعالوا اصله من العلو اذا قلت لغيرك تعال فمعناه ارتفع الي
وصددت الاصل فيه ان لا يتعدى تقول صددت عن فلان اصد بمعنى اعرضت عنه ويجوز صددت فلانا عن فلان بالتعدي
لانه دخله معنى منعته عنه ومثله رجعت انا ورجعت غيري لانه دخله معنى رددته الاعراب صدودا انتصب على المصدر على وجه
التاكيد للفعل كقوله وكلم الله موسى تكليما والمعنى انه ليس ذلك على بيان مثل الكلام بل حكمه فى الحقيقة وقيل فى معنى تكليما انه كلمه
تكليما شريفا عظيما ويمكن تقديره مثل ذلك فى الآية اى يصدون عنك صدودا عظيما النزول كان بين رجل من اليهود ورجل
من المنافقين خصومة فقال اليهودى احاكمك الى محمد لانه علم انه لا يقبل الرشوة ولا يجور فى الحكم فقال المنافق لا بل بينى وبينك كعب
بن الاشرف لانه علم انه يأخذ الرشوة فنزلت الآية عن اكثر المفسرين المعنى لما امر الله سبحانه اولى الامر بالحكم وامر المسلمين بطاعتهم
وصل ذلك بذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله ورسوله فقال الم تر اى الم تعلم وقيل انه تعجيب منه سبحانه اى الم تتعجب من
صنيع هؤلاء وقيل الم ينته علمك الى هؤلاء الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك من القرآن وما انزل اليك من قبلك من التورية
والانجيل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعنى كعب بن الاشرف عن ابن عباس ومجاهد والربيع والضحاك وقيل انه كاهن من
جهينة اراد المنافق ان يتحاكم اليه عن الشعبى وقتادة وقيل اراد ما كانوا يتحاكمون فيه الى الاوثان بضرب القداح عن الحسن وروى
اصحابنا عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلم ان المعنى به كل من يتحاكم اليه ممن يحكم بغير الحق وقد امروا ان يكفروا به يعنى قوله
سبحانه فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا عن الحق نسب اضلالهم الى الشيطان فلو كان الله سبحانه قد اضلهم بخلق الضلال فيهم على ما تقول المجبرة لنسب اضلالهم

إليك

الى

الى نفسه دون الشيطان عما زين لهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا واذا قيل لهم اى للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله فى القرآن من الاحكام والى الرسول فى حكمه رايت يا محمد المنافقين يصدون عنك صدودا اى يعرضون عنك اى عن المصير اليك الى غيرك اعراضا قوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا آيتان اللغة الحلف القسم ومنه حلف لتحالفهم فيه على الامر واصل البلاغة البلوغ يقال بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة فهو بليغ اذا كان يبلغ بعبارته كنه ما فى قلبه ويقال احمق بليغ اذا كان مع حماقته يبلغ ما يريد وقيل معناه قد بلغ بالحماقة الاعراب موضع كيف رفع بانه خبر مبتدا محذوف والتقدير فكيف صنيعهم اذا اصابتهم مصيبة فكانه قال الاساءة صنيعهم بالجراة على كذبهم ام الاحسان صنيعهم بالجراة على كذبهم ام الاحسان صنيعهم بالتوبة من جرمهم ويجوز ان يكون موضع كيف نصبا وتقديره كيف يكونون امصرين ام تائبين يكونون ولو قلت انه رفع على معنى كيف بك كانه قال صلاح بك ام فساد بك فيكون مبتدا محذوف الخبر ويحلفون فى موضع نصب على الحال وان اردنا الا احسانا جواب القسم واحسانا مفعول به اى اردنا احسانا المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله فكيف صنع هؤلاء اذا اصابتهم اى نالتهم مصيبة اى نكبة وعقوبة من الله سبحانه عقوبة بما قدمت ايديهم اى بما كسبت ايديهم من النفاق واظهار السخط بحكم النبى صلى الله عليه وآله ثم جاؤك يا محمد يحلفون اى يقسمون بالله ان اردنا الا احسانا اى ما اردنا بالتحاكم الى غيرك الا التخفيف عنك فانا نحتشمك برفع الصوت فى مجلسك ونقتصر على من يتوسط لنا برضاء الخصمين دون الحكم المورث للضغاين فقوله الا احسانا اى احسانا الى الخصوم وتوفيقا بينهم بالتماس التوسط دون الحمل على مر الحكم واراد بالتوفيق الجمع والتاليف وقيل توفيقا اى طلبا لما يوافق الحق وقيل ان المعنى بالآية عبد الله بن ابى والمصيبة ما اصابهم من الذل برجوعهم من غزوة بنى المصطلق وهى غزوة المريسيع حين نزلت سورة المنافقين فاضطروا الى الخشوع والاعتذار وسنذكر ذلك ان شاء الله فى سورة المنافقين او مصيبة الموت لما تضرع الى رسول الله صلى الله عليه وآله فى الاقالة والاستغفار واستوهب توبة ليبقى به يقولون ما اردنا بالكلام بين الفريقين المتنازعين فى غزوة بنى المصطلق ذكره الحسين بن على المغربى وفى الآية دلالة على انه قد تصيب المصيبة بما يكسبه العبد من الذنوب ثم اختلف فى ذلك فقال ابو على الجبائى لا يكون ذلك الا عقوبة الا فى التائب وقال ابو هاشم يكون ذلك لطفا وقال القاضى عبد الجبار قد يكون ذلك لطفا وقد يكون جزاء وهو موقوف على الدليل اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من الشرك والنفاق والخيانة فاعرض عنهم اى لا تعاقبهم وعظهم بلسانك وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا اى قل لهم ان اظهرتم ما فى قلوبكم من النفاق قتلتم فهذا هو القول البليغ لانه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ عن الحسن وقيل معناه فاعرض عن قبول الاعتذار منهم وعظهم مع ذلك وخوفهم بمكاره تنزل بهم فى انفسهم ان عادوا لمثل ما فعلوه عن ابى على الجبائى وفى قوله سبحانه وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا دلالة على فضل البلاغة وحث على اعتماده بافصح بيان لكونها احد اقسام الحكمة لما فيها من بلوغ المعنى الذى يحتاج الى التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما آية الاعراب ما فى قوله وما ارسلناك نافية ولذلك قال من رسول لان من لا تزاد فى الايجاب وزيادتها توذن فى استغراق الكلام كقولك ما جاءنى من احد ولو موضوعة للفعل لما فيه من معنى الجزاء تقول لو كان كذا لكان كذا ولا ياتى بعدها الا ان خاصة وانما اجيز فى ان خاصة ان تقع بعدها لانها كالفعل فى افادة التاكيد فموضع ان بعد لو مع اسمها وخبرها رفع بكونه فاعل الفعل المضمر بعد لو وتقديره لو وقع انهم جاؤك وقد ظلموا انفسهم اى لو وقع مجيئهم المعنى ثم لامهم سبحانه على ردهم امره وذكر ان غرضه من البعثة الطاعة فقال وما ارسلنا من رسول اى لم نرسل رسولا من رسلنا الا ليطاع عنى به ان الغرض من الارسال ان يطاع الرسول ويمتثل ما يامر به وانما اقتضى ذكر طاعة الرسول هنا ان هؤلاء المنافقين الذين تحاكموا الى الطاغوت زعموا انهم يؤمنون به واعرضوا عن طاعته فبين الله سبحانه انه لم يرسل رسولا الا ليطاع وقوله باذن الله اى بامر الله الذى دل به على وجوب طاعتهم والاذن على وجوه احدها ان يكون بمعنى اللطف كقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وثانيها بمعنى التخلية كقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وثالثها بمعنى الامر كما فى الآية ولو انهم اذ ظلموا

انفسهم اى بخسوها حقها بادخال الضرر عليها بفعل المعصية من استحقاق العقاب وتفويت الثواب بفعل الطاعة وقيل ظلموا
انفسهم بالكفر والنفاق جاؤك تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك فاستغفروا الله لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه واستغفر لهم الرسول رجع من
لفظ الخطاب فى قوله جاؤك الى لفظ الغيبة جريا على عادة العرب المألوفة واستغفرت لهم يا محمد ذنوبهم اى سألت الله ان يغفر لهم ذنوبهم
لوجدوا الله هذا يحتمل معنيين احدهما لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم ورحمته اياهم لعلموا الله توابا رحيما والوجدان يكون بمعنى العلم وبمعنى
الادراك فلا يجوز ان يكون على ظاهره هنا بمعنى الادراك لانه سبحانه غير مدرك فى نفسه توابا اى قابلا لتوبتهم رحيما بهم فى التجاوز عنهم لما
قد سلف منهم وفى قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع اوكد دلالة لبطلان مذهب المجبرة القائلين بان الله سبحانه يريد ان يعصى
انبياؤه ويطيعهم آخرون وذكر الحسن فى هذه الآية ان اثنى عشر رجلا من المنافقين ايتمروا فيما بينهم واجتمعوا على امر مكيدة رسول الله صلعم
فاتاه جبرئيل عليه السلم فاخبره بها فقال عليه السلم ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله تعالى وليعترفوا بذلك
حتى اشفع لهم فلم يقوموا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله مرارا الا يقومون فقال ع قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثنى عشر رجلا فقاموا
وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا فاشفع لنا فقال الان اخرجوا عنى انا كنت فى اول امركم اطيب نفسا بالشفاعة
وكان الله سبحانه اسرع الى الاجابة فاخرجوا عنه حتى لم يرهم وفى الآية دلالة على ان مرتكب الكبيرة يجب عليه الاستغفار فان الله سبحانه
سيتوب عليه بان يقبل توبته وتدل ايضا على ان مجرد الاستغفار لا يكفى مع كونه مصرا على المعصية لانه لم يكن استغفر لهم الرسول ما لم
يتوبوا بل ينبغى ان يتوب ويندم على ما فعله ويعزم فى القلب على ان لا يعود الى مثله ثم يستغفر الله باللسان ليتوب الله عليه قوله تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ٥ اية اللغة شجر الامر يشجر
شجورا اختلط وشاجره فى الامر اذا نازعه وتشاجروا فيه وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم فى بعض كتداخل الشجر بالتفافه واصل الحرج الضيق
وفى الحديث حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج اى لا ضيق وقيل لا اثم الاعراب لا دخلت فى اول الكلام لانها رد الكلام فكانه قيل فليس الامر
كما تزعمون انهم امنوا وهم يخالفون حكمك ثم استانف القسم فقال وربك لا يؤمنون وقيل ان لا ههنا توطية النفى الذى ياتى فيما بعد لان
فى اول الكلام والجزم اوكد فان النفى يقتضى ان يكون له صدر الكلام وقد اقتضى القسم ان يكون النفى فى الجواب وتسليما مصدر مؤكد
والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكرك الفعل ثانيا ومن حق التوكيد ان يكون محققا لما تذكره فى صدر كلامك فاذا قلت ضربت ضربا فمعناه احدثت
ضربا احقه حقا النزول قيل نزلت فى الزبير ورجل من الانصار خاصمه الى النبي صلى الله عليه وآله فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل
كليهما فقال النبى صلى الله عليه وآله للزبير اسق ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى وقال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وآله ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الى جارك وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
اشار الى الزبير برأى فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وآله استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ويقال ان الرجل
كان حاطب بن ابى بلتعة قال الراوى ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا ابا بلتعة قال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن
لذلك يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد اذنبنا مرة واحدة
فى حيوة موسى فدعانا موسى الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن
الشماس اما والله ان الله ليعلم منى الصدق ولو امرنى محمد ان اقتل نفسى لفعلت فانزل الله فى شان حاطب بن بلتعة ولية شدقه هذه الآية
وقال الشعبى نزلت فى قصة بشر المنافق واليهودى اللذين اختصما الى عمر وقد مضى ذكرها المعنى ثم بين سبحانه ان الايمان انما هو بالتزام
حكم رسول الله والرضا به فقال فلا اى ليس كما تزعمون انهم يؤمنون مع محاكمتهم الى الطاغوت وربك لا يؤمنون اقسم بالله سبحانه ان
هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون فى الايمان حتى يحكموك اى حتى يجعلوك حكما او حاكما فيما شجر بينهم اى فيما وقع بينهم من
الخصومة والتبس عليهم من احكام الشريعة ثم لا يجدوا فى انفسهم اى فى قلوبهم حرجا اى شكا فى ان ما قلته حق عن مجاهد وقيل اثما اى
لا ياثمون بانكار ذلك عن الضحاك وقيل ضيقا بشك او باثم عن ابى على الجبائى وهو الوجه مما قضيت اى حكمت ويسلموا تسليما اى ينقادوا
لحكمك اذعانا لك وخضوعا لامرك وروى عن الصادق ع انه قال لو ان قوما عبدوا الله واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاموا رمضان وحجوا

البيت

البيت ثم قالوا الشيء صفة رسول الله صلى الله عليه وآله الا صنع خلاف ما صنع او وجدوا في ذلك حرجا في انفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية

قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم
واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي ان اقتلوا
بضم النون او اخرجوا بضم الواو وقرا عاصم وحمزة بكسرهما وقرا ابو عمرو بكسر النون وضم الواو وقرا ابن عامر وحده الا قليلا بالنصب وكذلك
هو في مصاحف الشام الحجة قال ابو علي اما فصل ابي عمرو بين الواو والنون فلان الضم بالواو احسن لانها تشبه واو الضمير
والجمهور في واو الضمير على الضم نحو ولا تنسوا الفضل بينكم قال وانما ضمت النون لانها مكان الهمزة التي ضمت بضم الحرف الثالث فجعلت
بمنزلتها وان كانت منفصلة وفي الواو وهذا المعنى والمعنى الذي اشرنا اليه من مشابهة واو الضمير والضمة في سائر هذه احسن لانها في
موضع الهمزة قال ابو الحسن وهي لغة حسنة وهي اكثر في الكلام واقيس وجه قول من كسر ان هذه الحروف منفصلة من الفعل المضموم
الثالث والهمزة متصلة بها فلم يجروا المنفصل مجرى المتصل قال والوجه في قوله الا قليل الرفع على البدل فكانه قال ما فعله الا قليل
فان معنى ما اتاني احد الا زيد ما اتاني الا زيد ومن نصب فانه جعل النفي بمنزلة الايجاب فان قولك ما اتاني احد كلام تام كما ان جاءني
القوم كذلك فنصب مع النفي كما نصب مع الايجاب الاعراب لو يمتنع بها الشيء لامتناع غيره تقول لو اتاني زيد لاكرمته فالمعنى ان اكرامي امتنع
لامتناع اتيان زيد وحقها ان يليها الفعل فالتقدير هنا لو وقع كتبنا عليهم ويجوز ان يكون ان الشديدة كما نابت عن الاسم والخبر في قولك
حسبت ان زيدا عالم نابت هنا عن الفعل فيكون المعنى في قوله ولو انا كتبنا عليهم كالمعنى في لو كتبنا عليهم واذن دخلت هنا لتدل على معنى
الجزاء والمعنى اذن جواب وجزاء وهي تقع متقدمة ومتوسطة ومتأخرة وانما تعمل متقدمة خاصة الا ان يكون الفعل بعدها للحال
نحو اذن اظنك خارجا واللام في قوله لآتيناهم ولهديناهم اللام التي تقع في جواب لو تقع في جواب القسم في نحو قول امرئ القيس حلفت لها
بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال والفرق بين لام الجواب ولام الابتداء لا تدخل على الاسم المبتدأ الا في باب ان خاصة
فانها تدخل على يفعل لمضارعة الاسم وتقول علمت ان زيدا ليقومن فتكون ان الاولى لان علمت صارت متعلقة باللام في ليقومن لانها لام
الابتداء اخرت الى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وتفتح ان الثانية لانها لام الجواب فاعرفه فانه من دقائق النحو واسراره
وصراطا مفعول ثان لهديناهم المعنى ثم اخبر الله سبحانه عن سرائر القوم فقال ولو انا كتبنا اي اوجبنا عليهم اي على هؤلاء الذين تقدم
ذكرهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم كما اوجبنا على قوم موسى والزمناهم فقتلوا انفسهم وخرجوا الى التيه ما فعلوه اي ما فعله
هؤلاء للمشقة التي فيه الا قليل منهم قيل ان القليل الذي استثنى الله تعالى هو ثابت بن قيس بن شماس وقيل هم جماعة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا والله لو امرنا لفعلنا فالحمد لله الذي عافانا ومنهم عبد الله بن مسعود وعمار فقال النبي صلى الله عليه وآله
ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا اي بصيرة
في امر الدين كني عن البصيرة بهذا اللفظ من كان على بصيرة من امر دينه كان ذلك ادعى له الى الثبات عليه وكان هو اقوى في اعتقاد الحق و
ادوم عليه من لم يكن على بصيرة منه وقيل معناه ان قبولهم وعظ الله تعالى ووعظ رسوله في امور الدين والدنيا اشد تثبيتا لهم على
الحق والصواب وامنع لهم من الضلال وابعد من الشبهات كما قال سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل ان معناه واكثر انتفاعا
بالحق لان الانتفاع بالحق يدوم ولا يبطل لانه يتصل بثواب الآخرة والانتفاع بالباطل يبطل او يضمحل ويتصل بعقاب الآخرة قال البلخي معنى
الاية لو فرض عليهم القتل او الخروج من الديار لم يفعلوا فاذا لم يفرض عليهم ذلك فليفعلوا ما امروا به مما هو اسهل عليهم فان ذلك خير لهم واشد
تثبيتا على الايمان في الدعاء اللهم ثبتنا على دينك ومعناه الطف لنا ما نثبت معه عليه واذا لآتيناهم هذا متصل بما قبله اي ولو انهم
فعلوا ذلك لآتيناهم اي لاعطيناهم من لدنا اي من عندنا اجرا عظيما لا يبلغ احد مداه ولا يعرف منتهاه ولا يدري قصواه وانما ذكر
من لدنا تاكيدا بانه لا يقدر عليه غيره وليدل على الاختصاص فان الاجر يجوز ان يتصل الى المثاب على يد بعض العباد فاذا تفضل الثواب اليه
بنفسه كان اشرف للعبد وابلغ في النعمة ولهديناهم صراطا مستقيما اي وثبتناهم مع ذلك على الطريق المستقيم بما نفعله بهم من
الالطاف التي يثبتون معها على الطاعة ويلزمون الاستقامة وتقديره ووفقناهم للثبات على الطريق المستقيم وقيل معناه ولهديناهم

الى طريق الجنة عن ابي علي الجبائي قال ولا يجوز ان تكون الهداية هنا الارشاد الى الدين لانه سبحانه وعدها المؤمن المطيع ولا يكون كذلك الا وقد اهتدى
قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما آيتان اللغة الصديق المداوم على التصديق بما يوجبه الحق وقيل الذي
عادته الصدق وهذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل يقال لملازم السكر سكير ولملازم الشرب شريب والشهداء جمع شهيد وهو المقتول
في سبيل الله وليست الشهادة من القتل الذي هو معصية للها في اخلاص القيام بالحق لله مقرا داعيا اليه وهي من اسماء المدح ويجوز
للمرء ان يتمناها ولا يجوز ان يتمنى قتل الكافر اياه لانه معصية وقيل الشهادة هي الصبر على ما امر الله به من قتال عدوه فاما الصبر على الالم
بترك الانين فليس بواجب وليس بممنوع عنه بل هو مباح اذا لم يقل ما يكرهه الله تعالى والصالح من استقامة نفسه بحسن عمله والرفيق
الصاحب وهو مشتق من الرفق في العمل وهو الارتفاق فيه ومن المرافقة والمرفق من اليد بكسر الميم لانه يرتفق به وقوله ويهيئ لكم من امركم مرفقا
اي رفقا يصلح به امركم الفضل في اصل اللغة هو الزيادة على المقدار وقد استعمل في النفع ايضا وافعال الله تعالى كلها فضل وتفضل وافضال
لانه لا يقتضي بالعبد الى مقدار ما يستحق بمثل عمله فيما بين الناس بل يزيد عليه زيادة كثيرة ولا يجري ذلك على طريق المساواة الاعراب
رفيقا نصب على التمييز ولذلك لم يجمع فكانه قال حسن اولئك رفيقا وقيل انه لم يجمع لان المعنى حسن كل واحد منهم رفيقا كقوله سبحانه
ثم يخرجكم طفلا وقال الشاعر نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا باعين اعداء وهن صديق وقيل انه نصب على الحال فانه قد يدخل من في مثله
فاذا سقطت من فالحال هو الاختيار لانه من الصفات الداخلة في اسماء الاجناس ويكون للتوحيد لما دخله من معنى حسن كل واحد
منهم رفيقا ونظيره لله درهم فارسا في حال الفروسية النزول قيل نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان شديد
الحب لرسول الله صلى الله عليه وآله قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال عليه السلم يا ثوبان ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف اني لا اراك هناك لاني عرفت
انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت الآية ثم قال
صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لا يؤمنن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وقيل ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا ما ينبغي لنا ان نفارقك فانا لا نراك الا في الدنيا فاما في الآخرة فانك ترفع فوقنا بفضلك فلا نراك
فنزلت الآية عن قتادة ومسروق بن الاجدع المعنى ثم بين سبحانه حال المطيعين فقال ومن يطع الله بالانقياد لامره ونهيه و
الرسول باتباع شريعته ونعته والرضا بحكمه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم فقال من النبيين والصديقين يريد انه يستمتع برؤية
النبيين والصديقين وزيارتهم والحضور معهم فلا ينبغي ان يتوهم من اجل انهم في اعلى عليين انه لا يراهم وقيل في معنى الصدق ان المصدق
بكل ما امر الله به وبانبيائه لا يدخله في ذلك شك ويؤيده قوله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء يعني المقتولين
في الجهاد وانما سمي الشهيد شهيدا لقيامه بشهادة الحق على جهة الاخلاص واقراره به ودعائه اليه حتى قتل وقيل انما سمي شهيدا لانه من
شهداء الآخرة على الناس وانما يستشهدهم الله لفضلهم وشرفهم عدول الآخرة عن الجبائي وقال الشيخ ابو جعفر رحمه الله هذا لا يصح على مذهبه
لانه لا يجوز ان يدخل الجنة الا من هو عدل والله سبحانه وعد من يطيعه بانه يحشره مع هؤلاء وينبغي ان يكون الموعود به غير الموعود
بالكون معه والا فيصير التقدير انهم مع نفوسهم والصالحين ومعناه صلحاء المؤمنين الذين لم تبلغ درجتهم درجة النبيين والصديقين
والشهداء والصالح الفاعل للصلاح الملازم المتمسك به وقيل هو الذي صلحت حالته واستقامت طريقته والمصلح الفاعل لما فيه
الصلاح ولذلك يجوز المصلح في صفات الله تعالى ولا يجوز الصالح او مصلح لانه يصلح نفسه وعمله وحسن اولئك رفيقا معناه من
كان هؤلاء رفقاءه حسن بهم من رفيق او فما احسنهم من رفيق وقد مر معناه في الاعراب وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلم انه قال يا ابا محمد
لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا هذه الآية وقال فالنبي رسول الله ونحن الصديقون والشهداء وانتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله تعالى
ذلك اشارة الى الكون مع النبيين والصديقين الفضل من الله تفضل به على من اطاعه وكفى بالله عليما بالعصاة والمطيعين والمنافقين والمخلصين
ومن يصلح لمرافقة هؤلاء ومن لا يصلح لانه يعلم خائنة الاعين وقيل معناه حسبك به عليما لكنه جزاء المطيعين على حقه وتوفر الحظ فيه

نصف الحزب

عشر

قوله تعالى

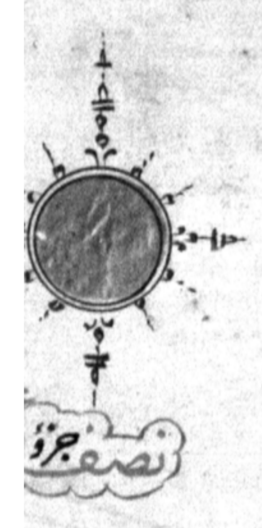
قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا • آية اللغة الحذر لغتان مثل الاذن و
الاذان والمثل والمثل والنفر الخروج الى الغزو واصله الفزع نفر ينفر نفورا فزع ونفر اليه فزع من امر اليه والنفر جماعة يفزع الى مثلها و
المنافرة والمحاكمة للفزع اليها فيما يختلف فيه وقيل انما سميت بذلك لانهم يسالون الحاكم عند التنافر ايّنا اعز نفرا والثبات جماعات فى
تفرقة وواحدها ثبة قال ابو ذويب فلما اجتلاها بالايام تحيزت ثبات عليها ذلها واكتيابها والايام الدخان يصف العاسل وتدخينه
على النحل وقد يجمع الثبة ثبون وانما جمع على الواو وان كان هذا الجمع مختصا بما يعقل للتعويض عن النقص الذى لحقه لان اصله ثبية
ومثله عضون وسنون وعزون فان صغرت قلت ثبيات وسنيات لان النقص قد زال الاعراب ثبات منصوبة على الحال
من انفروا وذو الحال الواو وجميعا ايضا منصوب على الحال المعنى ثم امر سبحانه المؤمنين بمجاهدة الكفار والتاهب لقتالهم فقال يا ايها الذين
امنوا خذوا حذركم قيل فيه قولان احدهما ان معناه احذروا عدوكم باخذ السلاح كما يقال للانسان خذ حذرك اى احذر والثانى ان معناه
خذوا اسلحتكم سمى الاسلحة حذرا لانها الآلة التى بها يتقى الحذر وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وغيره واقول ان هذا القول اصح لانه وافق
لمقاييس كلام العرب ويكون من باب حذف المضاف وتقديره خذوا آلات حذركم واهبة حذركم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار
خذوا حذركم فانفروا الى قتال عدوكم اى اخرجوا الى الجهاد ثبات اى جماعات فى تفرقة ومعناه اخرجوا فرقة بعد فرقة فرقة فى جهة وفرقة فى جهة اخرى
او انفروا جميعا اى مجتمعين فى جهة واحدة اذا اوجب الراى ذلك وروى عن ابى جعفر ع ان المراد بالثبات السرايا وبالجميع العسكر قوله تعالى
وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا • وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ
كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا آيتان القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص ونافع وابو عمرو وابن عامر غير هشام
كان لم يكن بالياء الباقون كان لم تكن بالتاء وروى فى الشواذ عن الحسن ليقولن بضم اللام وروى عن يزيد النحوى والحسن فافوز بالرفع
الاعراب من قرا بالياء فلان التانيث غير حقيقى وحسن التذكير الفصل الواقع بين الفاعل والفعل ومثل التذكير واخذ الذين ظلموا
الصيحة فمن جاءه موعظة من ربه وفى موضع آخر قد جاءتكم موعظة من ربكم فكلا الامرين قد جاء التنزيل به ومن قرا ليقولن بالضم فانه
اعاد الضمير الى معنى من مثل قوله ومنهم من يستمعون اليك فان قوله لمن ليبطئن لا يعنى به رجل واحد وانما معناه ان هناك جماعة هذه
صفتهم واما من قرا فافوز على ان يتمنى الفوز فكانه قال يا ليتنى افوز ولو جعله جوابا لنصبه اى ان اكن معهم افز اللغة البطئة التأخر
عن الامر يقال ما ابطا بك عنا اى ما اخرك عنا ومثله الابطاء وهو ابطاء التردد العمل لعلة الاستثقال وضده الاسراع وهو قصر مدة العمل
للتبدير فيه ويقال بطؤ فى مشيته يبطؤ بطا اذا ثقل الحجة اللام الاولى التى فى قوله لمن لام ان التى هى لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم
والثانية التى فى ليبطئن لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التاكيد ومن موصوله بالجالب القسم وتقديره وان منكم لمن حلف
بالله ليبطئن وانما جاز صلة من بالقسم ولم يجز بالامر والنهى لان القسم خبر يوضح الموصول كما يوضح الموصوف فى قولك مررت برجل
لنكرمنه لانك خصصته بوقوع الاكرام فى المستقبل من كل رجل غيره وليس كذلك الامر فى قولك مررت برجل اضربه لانه لا يتخصص
بالضرب فى الامر كما تخصص بالخبر كان خففت النون لانك اردت كانه فحذفت الهاء وصارت لم عوضا مما حذفت منه وقوله كان لم تكن
بينكم وبينه مودة جملة اعترضت بين المفعول وفعله فان قوله يا ليتنى كنت معهم موضع نصب بكونه مفعول يقولن كما ان قوله قد انعم الله
على اذ لم اكن معهم شهيدا فى موضع نصب بكونه مفعول قال وقوله منصوب على جواب التمنى بالفاء وانتصابه باضمار ان فتكون عطف اسما
على اسم وتقديره يا ليتنى كان لى حضور معهم ففوز ولو كان العطف على ظاهره لكان يا ليتنى كنت معهم ففزت النزول قيل انها نزلت
فى المؤمنين لانه سبحانه خاطبهم بقوله فان منكم وقد فرق بين المؤمنين والمنافقين بقوله ماهم منكم ولا منهم وقال اكثر المفسرين نزلت فى
المنافقين وانما جمع بينهم فى الخطاب من جهة الجنس والنسب لا من جهة الايمان وهو اختيار الجبائى المعنى لما حث الله سبحانه على
الجهاد بين حال المتخلفين عنه فقال وان منكم خاطب المؤمنين ثم اضاف المنافقين اليهم فقال لمن ليبطئن اى هو منكم فى الحال الظاهر
او فى حكم الشريعة من حقن الدم والمناكحة والموارثة وقيل منكم اى من عدادكم ودخلائكم يبطئ بالتشديد والتخفيف معناهما واحد
اى من يتاخر عن الخروج مع النبى صلى الله عليه وآله فان اصابتكم مصيبة الموت فيه من قتل او هزيمة قال قد انعم الله على بتخلفه

قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا اى شاهدا حاضرا فى القتال وكانه يصيبنى ما اصابهم وقال ضم لو ان اهل السماء والارض قالوا قد انعم الله
علينا اذ لم نكن مع رسول الله لكانوا مع ذلك مشركين ولئن اصابكم فضل من الله اى فتح اى غنيمة ليقولن يحسر وليقول يا ليتنى كنت معهم وقوله
كان لم تكن بينكم وبينه مودة اى لا يعاضدكم على قتال عدوكم ولا يرعا الذمام الذى بينكم عن ابى على الفارسى وقيل انه اعتراض بين القول والتمنى وتقديره
ليقولن يا ليتنى كنت معهم فافوز من الغنيمة فوزا عظيما كانكم ليس بينكم وبينه مودة اى يتمنى الحضور لا لنصرتكم وانما يتمنى لنفع نفسه وقيل ان الكلام
فى موضعه من غير تقديم وتأخير ومعناه ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن هذا المبطئ قول من لا يكن بينه وبين المسلمين مودة اى كانه لم
يعاقدكم على الايمان ولم يظهر لكم مودة على حال يا ليتنى كنت معهم اى يتمنى الغنيمة دون شهود الحرب وليس هذا من قول المخلصين فقد عدوا
التخلف فى احدى الحالتين نعمة من الله تعالى وتمنوا الخروج معهم فى احدى الحالتين لاجل الغنيمة وليس ذلك من امارات المودة وعلى هذا
فيكون قوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة فى موضع النصب على الحال وقال ابو على الجبائى انه حكاية عن المنافقين قالوا للذين اقعدوهم عن
الجهاد كان لم تكن بينكم وبينه اى بين محمد مودة فيخرجكم معه لتأخذوا من الغنيمة وانما قالوا ذلك لتبغضوا اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله
يا ليتنى كنت معهم وهذا التمنى من قول المبطئين القاعدين تمنوا ان يكونوا معهم فى تلك الغزوة فافوز فوزا عظيما اى اصيب غنيمة عظيمة
وآخذ حظا وافرا منها قوله تعالى فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ فَيُقْتَلْ اَوْ
يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ اَجْرًا عَظِيمًا آية اللغة يقال شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت ويشترون ويبيعون قال يزيد بن
مفرغ وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامه وبرد اسم غلامه الاعراب فيقتل او يغلب عطف على يقاتل وجواب الشرط فسوف نؤتيه
المعنى لما اخبر سبحانه فى الآية الاولى ان قوما يتأخرون عن القتال او يبطئون المؤمنين عنه حث فى هذه الآية كلا منهم على القتال فقال
فليقاتل فى سبيل الله هذا امر من الله سبحانه وظاهر امره يقتضى الوجوب اى فليجاهد فى سبيل الله اى فى طريق دين الله الذين يشترون
الحيوة الدنيا بالآخرة اى الذين يبيعون الحيوة الفانية بالحيوة الباقية ويحتمل يبتغون الحيوة الدنيا بنعيم الآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله اى
يبذلون انفسهم واموالهم فى سبيل الله يوطنون انفسهم على الجهاد فى طاعة الله وبيعهم اياها بالآخرة واستبدالها اياها بالآخرة ومن يقاتل
فى سبيل الله اى يجاهدون فى طريق دين الله فيقتل فى طاعة ربه بان يبذل ماله ونفسه ابتغاء مرضاته فيقتل اى يستشهد او يغلب او يظفر
بالعدو وفيه حث على الجهاد كانه قال هو فائز باحدى الحسنيين ان غلب او غلبا فسوف نؤتيه اجرا عظيما اى نعطيه على ايمان العمل وقيل
ثوابا دائما لا تنغيص فيه قوله تعالى وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
اَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ اَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا آية اللغة الولدان جمع ولد والولدان مثل خرب وخربان
وبرق وبرقان وورل وورلان والاغلب على باب فعال نحو جبال وجمال وقد ذكرنا القرية فى سورة البقرة الاعراب ما للاستفهام فى موضع رفع
بالابتداء ولا يقاتلون فى موضع نصب على الحال وتقديره اى شئ لكم تاركين للقتال والمستضعفين جر بالعطف على ما عملت فيه فى اى وفى
المستضعفين وقال المبرد هو عطف على اسم الله تعالى وانما جاز ان يجرى الظالم صفة على القرية وهو فى المعنى للاهل لانها قد جرت على العمل الذى بها
من الفعل ولكنها فى الوصفية باهالة وتذكر وتثنى وتجمع بخلاف باب افعل منك فلذلك جاز مررت برجل ظالم ابوه ولم يجز مررت
برجل خير منه ابوه فتكون الجملة فى موضع الجر المعنى ثم حث سبحانه على تخليص المستضعفين فقال وما لكم ايها المؤمنون لا تقاتلون اى
عدوا لكم فى ترك القتال مع اجتماع الاسباب الموجبة للقتال فى سبيل الله اى فى طاعة الله ويقال فى دين الله ويقال فى نصرة دين الله عن
المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قيل يريد بذلك قوما من المسلمين بقوا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة منهم سلمة بن هشام والوليد
بن الوليد وعياش بن ابى ربيعة وابو جندل بن سهيل وكانوا جماعة يدعون الله ان يخلصهم من ايدى المشركين ويخرجهم من مكة وهم الذين
يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها اى يقولون فى دعائهم ربنا سهل لنا الخروج من هذه القرية يعنى مكة وعن ابن عباس والحسن
والسدى وغيرهم الظالم اهلها اى التى ظلم اهلها بافتنان المؤمنين عن دينهم ومنعهم عن الهجرة واجعل لنا بالطافك وتأييدك من لدنك
اى من عندك وليا يلى امرنا بالكفاية حتى ينقذنا من ايدى الظلمة واجعل لنا من لدنك نصيرا ينصرنا على من ظلمنا فاستجاب الله سبحانه
دعاءهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة جعل الله سبحانه النبى ص لهم وليا فاستعمل على مكة عتاب بن اسيد فجعلهم الله لهم نصيرا فكان

ينصف الضعيف من الشديد فاغاثهم الله تعالى فكانوا اعز بها من الظلمة قبل ذلك وفى هذه الآية دلالة على عظم موقع الدعاء من الله تعالى
وابطال قول من زعم ان العبد لا يستفيد بالدعاء شيئا لان الله سبحانه حكى عنهم انهم دعوا فاجابهم الله واتاهم سؤلهم ولولا انه تعالى دعاهم
لما كان لذكر دعائهم معنى قوله تعالى الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ
إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا آية اللغة الطاغوت قد مر ذكره والكيد السعى فى فساد الحال على وجه الاحتيال تقول كاده يكيده فهو كائد اذا
عمل فى ايقاع الضرر به على وجه الحيلة فيه المعنى ثم شجع المجاهدين ورغبهم فى الجهاد بقوله الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله اى فى طاعة الله
وفى نصرة دينه واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته بلا عجب ولا صلف ولا طمع فى غنيمة والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت وطاعته فقاتلوا
اولياء الشيطان يعنى جميع الكفار وهذا يقوى قول من قال ان الطاغوت الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا دخلت كان هنا
مؤكدة لتدل على ان الضعف لكيد الشيطان لازم فى جميع الاحوال والاوقات ما مضى منها وما يستقبل وليس هو عارضا فى حال دون
حال وانما وصف سبحانه كيد الشيطان بالضعف بالاضافة الى نصرة دين الله المؤمنين عن الجبائى وقيل لانه اخبر بانه سيظهر عليهم المؤمنين
عن الحسن وقيل الضعف دواعى اولياء الشيطان الى القتال اذ لا بصيرة لهم وانما يقاتلون بما تدعوا اليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما
تدعوا اليه الحجة قوله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ
مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا • آية القراءة لا يظلمون بالياء مكى كوفى غير عاصم والباقون بالتاء الحجة
من قرا فلما تقدم من ذكر الغيبة من قوله الم تر الى الذين قيل لهم ومن قرا بالتاء فلانه ضم اليهم فى الخطاب المسلمين فغلب الخطاب على الغيبة الاعراب
اذا فريق منهم اذا هذه ظرف مكان وهى بمنزلة الفاء فى تعليقه الجملة بالشرط ويسمى ظرف المكان كما فى قول الشاعر وكنت ارى زيدا كما قيل
سيدا اذا انه عبد القفا واللهازم فهى فى محل النصب بيخشون والكاف فى كخشية الله فى محل النصب للمصدر واشد معطوف عليه وخشية
منصوب على التمييز وهو مما انتصب بعد تمام الاسم للمصدر ولولا معناها التحضيض ولا تدخل الا على الفعل النزول قال الكلبى نزلت
فى عبد الرحمن بن عوف الزهرى والمقداد بن الاسود الكندى وقدامة بن مظعون الجمحى وسعد بن ابى وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى
شديدا وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة فيشكون الى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون يا رسول الله ائذن لنا فى قتال هؤلاء فانهم
قد آذونا فلما امروا بالقتال وبالمسير الى بدر شق على بعضهم فنزلت الآية المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر القتال ومن كرهه فقال الم تر الى
الذين قيل لهم كفوا وهم بمكة ايديكم اى امسكوا عن قتال الكفار فانى لم اومر بقتالهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب اى فرض عليهم
القتال وهم بالمدينة اذا فريق منهم اى جماعة منهم يخشون الناس كخشية الله اى يخافون القتل من الناس كما يخافون الموت من الله وقيل
يخافون الناس ان يقتلوهم كما يخافون الله ان يتوفاهم وقيل يخافون عقوبة الناس بالقتل كما يخافون عقوبة الله او اشد خشية قيل
ههنا بمعنى الواو اى واشد خشية وقيل ان او هنا لابهام الامر على المخاطب وقد ذكرنا الوجوه فى مثل هذا عند ذكر قوله سبحانه او اشد قسوة
فى سورة البقرة وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال قال الحسن لم يقولوا ذلك كراهية كراهية لامر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك على ما
يكون من طبع البشر ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك استعفاء لا انكارا وقال انما قالوا ذلك لانهم ركنوا الى الدنيا وآثروا نعيمها وعلى الاقوال
كلها فلو لم يقولوا ذلك لكان خيرا لهم لولا اخرتنا اى هلا اخرتنا الى اجل قريب وهو الى ان نموت باجالنا ثم اعلم الله تعالى ان الدنيا
بما فيها من وجوه المنافع قليل فقال قل يا محمد هؤلاء متاع الدنيا قليل اى ما يستمتع بها من منافع الدنيا قليل لا يبقى والآخرة خير لمن اتقى
ولا يظلمون فتيلا اى لا ينقصون هذا القدر فكيف ما زاد عليه والفتيل ما تفتله بيدك من الوسخ ثم تلقيه وقيل ما فى شق النواة لانه كالخيط
المفتول قوله تعالى أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ
سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا • آية القراءة روى فى
الشواذ ان طلحة بن سليمان قرا يدرككم الموت برفع الكاف الاعراب هذه القراءة ضعيفة على ان لها وجها وهو ان يكون على حذف
الفاء فكانه قال فيدرككم الموت ومثله بيت الكتاب من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان اى فالله يشكرها اللغة

البروج وهو جمع برج واصله من الظهور يقال تبرجت المراة اذا ظهرت محاسنها والبرج اتساع فى العين لظهور العين بالاتساع والمشيدة المزينة
بالشيد وهو الجص والشيد رفع البناء يقال شاد بناه يشيده اذا رفعه فاما فى الذكر فانه يقال اشاد تذكيره لا غير والفقه الفهم يقال فقه
الرجل يفقه فقها والاسم الفقيه وصار بعرف الاستعمال علما على علم الفقهاء من علوم الدين وفقه الرجل يفقه فقاهة اذا صار فقيها
والتفقه تعلم الفقه [illegible] اين من الظروف التى يجازى بها يتضمنها معنى ان ولا يلزمه ما تقول اين تكن اكن وهى تستغرق الازمنة وكتبت
اينما هنا موصولة وفى قوله اينما كنتم توعدون مفصولة لان ما هنا مزيدة وهناك بمعنى الذى فوصلت هذه كما توصل الحروف وفصلت
تلك كما تفصل الاسماء وما لهؤلاء كثرة فى الكلام حتى توهموا ان اللام متصلة بما وانها حرف واحد ففصلوا اللام مما بعده فى بعض المواضع
ووصلوها فى بعضها ولا يجوز الوقف على اللام لانها لام الجارة المعنى ثم خاطبهم سبحانه فقال اينما تكونوا يدرككم الموت اى اينما كنتم
من المواضع والاماكن ينزل بكم الموت ويلحقكم ولو كنتم فى بروج مشيدة قيل يعنى بالبروج القصور عن مجاهد وقتادة وابن جريج وقيل
قصور فى السماء باعيانها عن السدى والربيع وقيل المراد به بروج السماء وقيل البيوت التى فوق الحصون عن الجبائى وقيل
الحصون والقلاع عن ابن عباس فهذه خمسة اقوال والمشيدة المجصصة عن عكرمة وقيل المزينة عن ابى عبيدة وقيل المطولة فى ارتفاع
عن الزجاج وغيره وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله اختلف فيمن حكى عنهم هذه المقالة فقيل هم اليهود قالوا ما زلنا
نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل عن الزجاج والفراء فعلى هذا يكون معناه وان اصابهم خصب ومطر قالوا
هذه من عند الله وان اصابهم جدب وقحط قالوا هذا من شوم محمد كما حكى عن قوم موسى عليه السلام وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه ذكره البلخي والجبائى وهو المروى عن الحسن وابن زيد وقيل هم المنافقون عبد الله بن ابى واصحابه الذين تخلفوا
عن القتال يوم احد وقالوا للذين قتلوا فى الجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فعلى هذا يكون معناه ان يصبهم ظفر وغنيمة قالوا
هذه من عند الله وان يصبهم مكروه وهزيمة قالوا هذه من عندك يا محمد وبسوء تدبيرك وهو المروى عن ابن عباس وقتادة و
قيل هو عام فى اليهود والمنافقين وهو الاصح وقيل هو حكاية عمن سبق ذكره قبل الاية وهم الذين يقولون ربنا لم كتبت علينا القتال
وتقديره وان تصب هؤلاء حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قال ابن عباس وقتادة الحسنة
والسيئة السراء والضراء والبؤس والرخاء والنعم والمصيبة والخصب والجدب وقال الحسن وابن زيد هو القتل والهزيمة والظفر
والغنيمه قل يا محمد كل من عند الله اى جميع ما مضى ذكره من الموت والحيوة والخصب والجدب من عند الله وبقضائه وقدره ولا يقدر
احد على رده ودفعه ابتلى بذلك عباده ليعرضهم لثوابه بالشكر عند العطية والصبر على البلية فما لهؤلاء القوم اى من شان
هؤلاء المنافقين لا يكادون يفقهون حديثا اى لا يعلمون حقيقة ما يخبرهم انه من عند الله من السراء والضراء على ما وصفنا
قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا آية
الاعراب رسولا منصوب بارسلناك وانما ذكر تاكيدا لان ارسلناك دل على انه رسول وشهيدا نصب على التمييز ومعنى من فى قوله
من حسنة ومن سيئة التبيين ولو قال ان اصابك من حسنة كانت من زائدة لا معنى لها المعنى ما اصابك من حسنة فمن الله
وقيل هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وآله والمراد به الامة عن الزجاج وقيل خطاب للانسان ما اصابك ايها الانسان عن قتادة
والجبائي قال وعنى بقوله من حسنة من نعمة فى الدين والدنيا فانها من الله وما اصابك من سيئة اى من المعاصي فمن نفسك
وقيل عنى بالحسنة ما اصابهم يوم بدر من الغنيمة وبالسيئة ما اصابهم يوم احد من الهزيمة عن ابن عباس قال ابو مسلم معناه لما
جدوا فى القتال واطاعوا الله اتاهم النصر ولما خالفوا يوم احد خلى بينهم فهزموا وقيل الحسنة الطاعة والسيئة المعصية عن ابى
العالية قال ابو القاسم وهذا كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها وقيل الحسنة الغنيمة والرخاء والسيئة القحط والمرض والبلاء والمكاره
والاذاء الشديد التى تصيبهم فى الدنيا بسبب المعاصى التى يفعلونها وربما كان لطفا وربما يكون على سبيل العقوبة وانما سيئة
مجازا لان الطبع ينفر عنها وان كانت افعالا حسنة غير قبيحه فيكون المعنى على هذا ما اصابك من الصحة والسلامة وسعة الرزق
وجميع نعم الدين فمن الله وما اصابك من المحن والشدايد والالام والمصائب فبسبب ما تكسبه من الذنوب كما قال سبحانه

وما



وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله فمن نفسك معناه فبذنبك عن الحسن وجماعة من المفسرين وفسره ابو القسم البلخي
فقال ما اصاب الكلف من مصيبة فهى كفارة ذنب صغير او عقوبة ذنب كبير او تاديب وقع لاجل تفريط وقد قال النبى صلى الله عليه وآله
ما من خدش بعود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفوا الله عنه اكثر وقيل فمن نفسك اى من فعلك وقال على بن
عيسى وفى الآية دلالة على ان الله تعالى لا يفعل الالم الا على وجه اللطف او العقاب دون مجرد العوض لان المصايب اذا كانت كلها من
قبل ذنب العبد فهى اما ان تكون عقوبة واما ان تكون من قبل تاديب المصلحة وقوله وارسلناك للناس رسولا معناه ومن الحسنة
ارسلناك يا محمد ومن السيئة خلافك يا محمد وكفى بالله شهيدا لك وعليك وقيل فى معنى اتصاله بما قبلها انما اصابهم فبشوم ذنبهم
وانما انت رسول طاعتك طاعته ومعصيتك معصية الله لا يطير بك بل الخير كله فيك وكفى بالله شهيدا اى كفى الله ومعناه حسبك
الله شاهدا لك على رسالتك وقيل معناه كفى بالله شهيدا على عباده بما يعملون من خير وشر فعلى هذا يكون متضمنا للترغيب
فى الخير والتحذير عن الشر قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة
فاذا برزوا من عندك بيت طايفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا آيتان القراءة قرا ابو عمرو بادغام
التاء فى الطاء من بيت طايفة وبه قرا حمزة والباقون بالاظهار الاعراب انما حسن ادغام الطاء فى التاء للتقارب الذى
بينهما بانهما من حيز واحد ولم يحسن ادغام الطاء فى التاء لان الطاء يزيد على التاء بالاطباق فحسن ادغام الانقص صوتا من
الحروف فى الازيد صوتا بحسب قبح ادغام الازيد فى الانقص ومن بين فلم يدغم فلانفصال الحرفين واختلاف المخرجين اللغة
قال المبرد التبييت كل شئ دبر ليلا قال عبيد بن هشام اتونى فلم ارض ما بيتوا وكانوا اتونى لامر نكر والثبوت الامر يثبت
عليه صاحبه مقيما والبيات والتبييت ان تاتى العدو ليلا فاصل التبييت احكام الامر واصل الوكيل القايم بما فوض اليه
من التدبير الحجة جواب الجزاء فى قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا تقديره ومن تولى فليس عليك باس لانك لم ترسل حفيظا
عليهم وطاعة مبتداء اى عندنا طاعة او خبر مبتداء محذوف اى امرنا طاعة ولو نصبت على تطيع طاعة جاز المعنى ثم رغب
سبحانه فى طاعة الرسول فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بين ان طاعته طاعة الله وانما كان كذلك لانها وان كانت طاعة للنبى
صلى الله عليه وآله من حيث وافقت ارادته المستدعية للفعل فانها طاعة الله ايضا على الحقيقة اذ كانت بامره وارادته فاما الامر الواحد
فلا يكون على الحقيقة من امرين كما ان الفعل الواحد لا يكون من فاعلين ومن تولى اى من اعرض ولم يطع فما ارسلناك عليهم
حفيظا اى حافظا لهم من التولى حتى يسلموا عن ابن زيد قال فكان هذا ما بعث كما قال فى موضع آخر ان عليك الا البلاغ ثم امر
فيما بعد بالجهاد وقيل معناه ما ارسلناك عليهم حافظا لاعمالهم التى يقع الجزاء عليها فتخاف ان لا تقوم بها لانا نجازيهم عليها
وقيل حافظا لهم من المعاصى حتى لا تقع عن الجبائى وفى هذه الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وآله فى تولى الناس عنه مع ما فيه
من تعظيم شانه طاعته طاعة الله ثم بين سبحانه ان المنافقين اظهروا الطاعة واضمروا خلافه ويقولون طاعة يعنى به المنافقين
عن الحسن والسدى والضحاك وقيل المراد به المسلمون الذين حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية يقولون
امرك طاعة كانهم قالوا قابلنا امرك بالطاعة فاذا برزوا اى خرجوا من عندك بيت طايفة منهم اى من قدر جماعة منهم ليلا غير الذى
تقول على جهة التكذيب عن الحسن وقيل معناه غيروا بالليل وبدلوا ما قالوه بان اضمروا الخلاف عليك فيما امرتهم به او نهيتهم
عنه عن ابن عباس وقتادة والسدى وقيل دبروا ليلا غير ما اعطوك نهارا عن ابى عبيدة والقتيبى والله يكتب ما يبيتون فى اللوح
المحفوظ ليجازيهم به وقيل يكتبه بان ينزله اليك فى الكتاب عن الزجاج فاعرض عنهم امر الله سبحانه نبيه صه بالاعراض عنهم وان لا
يسميهم باعيانهم ابقاء عليهم وسترا لامورهم الى ان يستقر امر المسلمين الاسلام وتوكل على الله اى فوض امرك اليه وثق به وكفى بالله
وكيلا اى حفيظا لما تفوضه اليه من التدبير قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا آية اللغة التدبر النظر فى عواقب الامور والتدابر التقاطع لان كل واحد

يولي الاخر دبره بعداوته لهم ودبر القوم يدبرون دبارا هلكوا لانهم يذهبون في جهة الادبار عن الغرض والفرق بين التدبر والتفكر
ان التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل والاختلاف هو امتناع احد الشيئين
ان يسد مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد الذي لا يسد مسد البياض وكذلك الذهاب في الجهات المختلفة واصل الاذاعة
التفريق قال تبع لما ورد المدينة ولقد شربت على براجم شربة كادت بباقية الحيوة تذيع اي تفرق وبراجم ماء بالمدينة كان يشرب
منه فنشبت بحلقه علقة وذاع الخبر ويقال رجل مذياع لا يستطيع كتمان خبره واذاع الناس بما في الحوض اذا شربوه واذاعوا بالمتاع
ذهبوا به والاذاعة والاشاعة والافشاء والاظهار نظاير وضده الكتمان والاسرار والاخفاء واصل الاستنباط الاستخراج يقال
لكل ما استخرج حتى تقع عليه رؤية العين او معرفة القلب قد استنبط والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر ولنبط فلان
اي استنبط الماء من طين حر ومنه اشتقاق النبط لاستنباطهم العيون المعنى افلا يتدبرون القرآن افلا يتفكر اليهود والمنافقون
في القرآن اذ ليس فيه خلل ولا تناقض ليعلموا انه حجة وقيل ليعلموا انهم لا يقدرون على مثله فيعرفوا انه ليس بكلام احد من الخلق
وقيل ليعرفوا اتساق معانيه وايتلاف احكامه وشهادة بعضه لبعض وحسن عباراته وقيل ليعلموا كيف اشتمل على انواع الحكم من
امر ونهي عن قبيح وخبر عن مخبر صدق ودعاء الى مكارم الاخلاق وحث على الخير والزهد مع فصاحة اللفظ وجودة النظم وصحة
المعنى فيعرفوا انه خلاف كلام البشر والاولى ان يحمل على الجميع لان من تدبر فيه علم جميع ذلك ولو كان من عند غير الله اي لو كان
من عند النبي صلى الله عليه وآله او كان يعلمه بشر كما زعموا لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قيل فيه اقوال احدها ان معناه لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا تناقضا من جهة حق وباطل عن قتادة وابن عباس والثاني اختلافا في الاخبار عما يسرون عن الزجاج والثالث من جهة بليغ
ومرذول عن ابي علي والرابع تناقضا كثيرا عن ابن عباس وذلك ان الكلام البشر اذا طال وتضمن المعاني ما تضمن القرآن لم يخل من
التناقض في المعاني والاختلاف في اللفظ وكل هذه المعاني منفي عن كتاب الله تعالى كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه وهذه الآية تضمنت الدلالة على معان كثيرة منها بطلان التقليد وصحة الاستدلال في اصول الدين لانه سبحانه دعى الى
التفكر والتدبر وحث على ذلك ومنها فساد قول من زعم ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول عليه السلم من الحشوية وغيرهم
لانه حث على تدبره ليعرفوه ويتبينوه ومنها انه لو كان من عند غيره لكان على وزن كلام عباده ولوجد الاختلاف فيه ومنها ان
المتناقض من الكلام لا يكون من فعل الله سبحانه لانه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره والاختلاف في الكلام يكون
على ثلثة اضرب اختلاف تناقض واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة واختلاف التفاوت يكون في الحسن والقبح والخطا والثواب والصواب
ونحو ذلك مما تدعوا اليه الحكمة وتصرف عنه وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن البتة كما لا يوجد اختلاف التناقض
واما اختلاف التلاوة فهو ما يتلائم في الجنس كاختلاف وجوه القرآن واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الاحكام في الناسخ
والمنسوخ فذلك موجود في القرآن وكله حق وكله صواب واستدل بعضهم بانتفاء التناقض عن القرآن على انه فعل الله تعالى بان
قال لو لم يكن ذلك دلالة لما اخبرنا الله تعالى به ولو لم يخبر بذلك لكان القايل ان يقول انه يمكن ان يتحفظ في الكلام ويهذب تهذيبا
لا يوجد كذلك فيه شيء من التناقض وعلى هذا فلا يمكن ان يجعل انتفاء التناقض جهة اعجاز القرآن الا بعد معرفة صحة السمع و
صدق النبي صلى الله عليه وآله ثم عاد سبحانه الى ذكر حالهم فقال واذا جاءهم يعني هؤلاء الذين سبق ذكرهم من المنافقين وقيل هؤلاء
الذين ذكرهم الله من ضعفة المسلمين امر من الامن والخوف يريد ما كان يرجف به من الاخبار في المدينة اما من قبل عدو بقصدهم
او من ظهور المؤمنين على عدوهم وهو الامن اذاعوا به اي تحدثوا به وافشوه من غير ان يعلموا صحته كره الله تعالى ذلك لان من فعل
هذا فلا يخلو كلامه من كذب ولما يدخل على المؤمنين به من الخوف ثم قال ولو ردوه الى الرسول المعنى ولو سكتوا الى ان يظهره
الرسول والى اولي الامر منهم قال ابو جعفر عليه السلم هم الائمة المعصومون وقال السدي وابن زيد وابو علي الجبائي هم امراء السرايا
والولاة وقال الحسن وقتادة وغيرهم انهم اهل العلم والفقه الملازمون للنبي صلى الله عليه وآله لانهم لو سألوه عن حقيقة ما
ارجفوا به لعلموه واختاره الزجاج وانكر ابو علي الجبائي هذا الوجه وقال انما يطلق اولي الامر على من له الامر على الناس لعلمه الذين

يستنبطونه

يستنبطونه اى يعلم ذلك الخبر الذين يستخرجونه عن الزجاج وقيل يتجسسونه عن ابن عباس وابى العاليه وقيل يتبعونه ويطلبونه علم ذلك
عن الضحاك وقيل يسالونه عن عكرمة قال استنباطهم سؤالهم الرسول عنه وجميع هذه الاقوال متقاربة المعنى منهم قيل ان الضمير فى منهم
يعود الى اولى الامر وهو الاظهر وقيل يعود الى الفرقة المذكورة من المنافقين او الضعفة ولولا فضل الله عليكم ورحمته اى ولولا فضل
اتصال مواد الالطاف من جهة الله تعالى وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن ابن عباس وقيل فضل الله ورحمته النبى والقرآن
عن الضحاك وهو اختيار الجبائى وروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم فضل الله ورحمته النبى وعلى عليه السلم لاتبعتم الشيطان
الا قليلا فيه اقوال احدها ان فى الكلام تقديما وتاخيرا والاستثناء من قوله اذاعوا به عن ابن عباس فيكون معناه اذاعوا به الا قليلا
وهو اختيار المبرد والكسائى والفراء والبلخى والطبرى قالوا وهذا اولى لانه لاذاعة اكثر الاستنباط من قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه
منهم الا قليلا وهو اختيار المبرد والكسائى ويكون تقديره لو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه الا قليلا
عن اكثر اللغة وثالثها ان المراد ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم على الظاهر من غير تقديم ولا تاخير وهذا
كما اتبع الشيطان من كان قبل بعثة النبى صلى الله عليه وآله الا قليلا منهم لم يتبعوه واهتدوا بعقولهم لترك عبادة الاوثان بغير
رسول ولا كتاب وآمنوا بالله ووحدوه مثل قيس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء السنى وابى ذر الغفاري
وطلاب الدين وبه قال الانبارى ورابعها ان معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالنصرة والفتح مرة بعد اخرى لاتبعتم الشيطان
فيما يلقى اليكم من الوساوس والخواطر الفاسدة المؤدية الى الجبن والفشل الموجبة لضعف النية والبصيرة الا قليلا من افضال
اصحاب رسول الله صـ الذين هم اهل البصائر النافذة والعزائم الثابتة والنيات الخالصة لا ييئسون من رحمة الله تعـ ولا يشكون
فى نصرة وانجاز وعده وان ابطاء بعض الابطاء والله اعلم النظم اختلف فى وجه اتصال قوله افلا يتدبرون لما قبله فقيل انه
يتصل بقوله ويقولون طاعة الايه فان الله اطلع على سرائر المنافقين ثم بين هنا انه من جهة علام الغيوب ولو كان من جهة غيره
لكان المخبر بخلاف الخبر وقيل انه يتصل بقوله وارسلناك لما بين ارساله امر بتدبر معجزه قوله تعالى فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ
إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا آية اللغة نكل به وندد به وشرد به نظائر
اصله النكول وهو الامتناع للخوف يقال نكل عن اليمين وغيرها والنكال ما يمتنع به من الفساد خوفا من فضله من العذاب والنكل
القيد المعنى ثم عاد سبحانه الى الامر بالقتال فقال فقاتل فى سبيل الله قيل فى الفاء قولان احدهما انه جواب لقوله ومن يقاتل فى
سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل فى سبيل الله فيكون المعنى ان اردت الاجر العظيم فقاتل والاخر ان
يكون متصلا بقوله وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله عن الزجاج ووجهه انه لاحظ لك فى ترك القتال فتتركه والخطاب للنبى صـ خاصة
امره الله سبحانه ان يقاتل فى سبيل الله وحده بنفسه وقوله ولا تكلف الا نفسك معناه لا تكلف الا فعل نفسك لانه لا ضرر
عليك فى فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فان ضرر ذلك عليهم وحرض المؤمنين على القتال اى حث لهم عليه
عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا اى يمنع شدة الكفار قال الحسن عسى من الله واجبة ووجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز
وانما الاطماع تقوية احد الامرين على الاخر دون قيام الدليل على التكليف فى الجواز وخرج عسى فى هذا من معنى الشك كخروجها
فى قول القايل اطع امرك فى كل ما امرك به وتهاك عنه عسى ان تفلح بطاعتك والله اشد بأسا اى اشد نكاية فى الاعداء منكم واشد
تنكيلا اى عقوبة عن الحسن وقتادة وقيل التنكيل الشهرة بالامور الفاضحة عن ابى على الجبائى وقيل هو ما ينالهم على ايدى المسلمين
من الاذلال والسبى والقتل وتخريب الديار وقيل هو الانتقام والاهلاك النزول قال الكلبى ان ابا سفيان لما رجع الى مكة
يوم احد واعد رسول الله صلى الله عليه وآله موسم بدر الصغرى وهو سوق يقوم فى ذى القعده فلما بلغ الميعاد قال للناس اخرجوا
الى الميعاد فتثاقلوا وكرهوا ذلك كراهة شديدة او بعضهم فانزل الله عز وجل هذه الآية فحرض النبى صلى الله عليه وآله المؤمنون
فتثاقلوا عنه ولم يخرجوا فخرج رسول الله صـ فى سبعين راكبا حتى اتى موسم بدر فكفاهم الله سبحانه بأس العدو ولم يوافهم ابو سفيان
ولم يكن قتال يومئذ وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله بمن معه سالمين قوله تعالى مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا

وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴿﴾ آية اللغة اصل الشفاعة من الشفع الذي
هو ضد الوتر فان الرجل اذا شفع بصاحبه فقد شفعه اى صار ثانيه ومنه الشفيع فى الملك لانه يضم ملك غيره الى ملك نفسه واختلفت
الامة فى كيفية شفاعة النبى صلى الله عليه وآله يوم القيمة فقالت المعتزلة ومن تابعهم يشفع لاهل الجنة ليزيد الله درجاتهم وقال
غيرهم من فرق الامة بل يشفع لمذنبى امته لمن ارتضى دينهم ليسقط عقابهم بشفاعته والكفل فى اللغة النصيب اخذ من قولهم اكفلت
البعير اذا ادرت على سنامه كساء فركبت عليه وانما يقال ذلك لانه لم يستعمل الظهر كله انما استعمل نصيب من الظهر وقال الازهري
الكفل الذى لا يحسن ركوب الفرس واصله الكفل وهو ردف العجز ومنه الكفالة بالنفس والمال والكفيل المثل والمقيت اصله من
القوت فانه يقوته قوتا اذا اعطاه ما يمسك به رمقه والمقيت المقتدر لاقتداره على ذلك واقاة يقيت اقاتة وينشد الزبير بن عبد
المطلب وذى ظغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا فهذه لغة قريش المعنى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب
منها قيل فيه اقوال ثلثه احدها ان معناه من يصلح بين اثنين يكن له اجر منها ومن يشفع شفاعة سيئة اى يمش بالنميمة يكن له كفل
منها اى اثم منها عن الكلبى عن ابن عباس وثانيها ان الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة شفاعة الناس بعضهم لبعض عن مجاهد
والحسن قال ما يجوز فى الدين ان يشفع فهو شفاعة حسنة وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعة سيئة قال ومن يشفع شفاعة
حسنة كان له فيها اجر وثواب وان لم يشفع لان الله سبحانه قال من يشفع ولم يقل ومن يشفع ويؤيد هذا قوله عليه السلم اشفعوا تؤجروا
وقوله صلى الله عليه وآله من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى ملكه ومن اعان على خصومة بغير علم كان فى سخط
الله حتى ينزع وثالثها ان المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم عن ابى على الجبائى قال لان اليهود
كانت تفعل ذلك فتوعدهم الله عليه ورابعها ما قاله بعضهم ان المراد بالشفاعة هنا ان يصير الانسان شفيع صاحبه فى جهاد عدوه
فيحصل له من هذه الشفاعة نصيب فى العاجل من الغنيمة والظفر وفى الآجل من الثواب المنتظر وان صار شفيعا له فى معصية
او شر حصل له نصيب من المذمة والعقوبة فى الآجل والكفل الوزر عن الحسن وقتادة والحظ النصيب عن السدى والربيع وجميع
اهل اللغة فكانه النصيب من الشر وكان الله على كل شيء مقيتا قيل فى معنى المقيت اقوال احدها انه المقتدر عن السدى وابن زيد
وثانيها الحفيظ الذى يعطى الشيء قدر الحاجة من الحفظ عن ابن عباس وثالثها الشهيد عن مجاهد ورابعها الحسيب عنه ايضا وخامسها
المجازى عن الجبائى يجازى على كل شيء من الحسنات والسيئات النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه سبحانه لما قال لا تكلف
الا نفسك عقب ذلك بان لك مع هذا فى دعاء المؤمنين الى الحق ما للانسان فى شفاعة صاحبه لخير يصل الى المشفوع له لئلا يتوهم ان
القعود من اجل انه لا يؤخذ بعمل غيره عن على بن عيسى وقيل الوجه فيه ان كل من طلب لغيره خيرا فوصل اليه حصل له نصيب منه وانت
قد طلبت لهم الخير حيث دعوتهم الى الجهاد وحرضتهم عليه قال القاضى هذا احسن ما قيل فيه قوله تعالى وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿﴾ آية اللغة التحية السلام يقال حيى يحيى تحية اذا سلم قال الشاعر انا محيوك يا سلمى
فحيينا وان سقيت كرام الناس فاسقينا والتحية البقاء قال من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية يعنى الملك وانما سمى بذلك لان
الملك يحيى بالسلام والثناء الحسن والحسيب الحفيظ لكل شيء لا يشذ منه الشيء والحسيب فعيل بمعنى الحساب الذى هو الاحصاء
يقال حاسب فلان فلانا على كذا فهو حسيبه اذا كان صاحب حسابه ومن قال الحسيب الكافى فهو من قولهم احسبنى فلان الشيء
احسابا اذا كفانى وحسبى كذا اى كفانى وقال الزجاج الحسيب انه معطى كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه اى يكفيه
ومنه قوله عطاء حسابا اى كافيا المعنى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها امر الله تعالى المسلمين برد السلام على المسلم باحسن مما
سلم ان كان مؤمنا والا فليقل وعليكم لا يزيد على ذلك فقوله باحسن منها للمسلمين خاصة وقوله او ردوها لاهل الكتاب عن ابن
عباس فاذا قال المسلم عليكم السلم ورحمة الله وبركاته فقد حييته باحسن منها وهذا منتهى السلام وغيره من البر وذكر الحسن ان رجلا
دخل على النبى صلى الله عليه وآله فقال السلام عليك فقال النبى صلى وعليك السلم ورحمة الله فجاءه آخر فقال السلام عليك ورحمة الله
فقال صلى الله عليه وآله وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فجاءه آخر فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال النبى صلم

وعليك فقيل يا رسول الله زدت للاول والثاني فى التحية ولم تزد للثالث فقال انه لم يبق لى من التحية شيئا فرددت عليه مثله
وروى الواحدى باسناده عن ابى امامة عن مالك بن البيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال السلام عليكم كتبت له
عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتبت له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتبت له ثلثون
حسنة ان الله كان على كل شيء حسيبا اى حفيظا عن مجاهد وقيل كافيا وقيل مجازيا عن ابن عباس وفى هذه الآية دلالة على وجوب رد
السلام لان ظاهر الامر يقتضى الوجوب وقال الحسن وجماعة من المفسرين ان السلام تطوع والرد فريضة ثم الرد ربما كان من فروض
الكفاية وقد يتعين بان يخصه بالسلام ولا احد عنده فيتعين عليه الرد النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان المراد بالسلام
المسالمة التى هى عند الحرب فلما امر سبحانه بقتال المشركين عقبه بان قال من مال الى السلم واعطى ذلك من قبل نفسه وحيى المؤمن بتحية
فاقبلوا منه قوله تعالى اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا آية الاعراب اللام فى ليجمعنكم لام القسم
وحديثا نصب على التمييز كما تقول من احسن من زيد فهما فهو استفهام فى اللفظ وتقدير فى المعنى المعنى الله لا اله الا هو قد مر
تفسيره ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليجمعنكم من بعد مماتكم ويحشرنكم جميعا الى موقف الحساب الذي يقضى فيه بين اهل الطاعة والمعصية
وقال الزجاج معناه ليجمعنكم فى الموت وفى قبوركم لا ريب فيه اى لا شك فى هذا القول وانما سمى يوم القيمة لان الناس يقومون
فيه من قبورهم وفى التنزيل يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا اى موعدا لا خلف لوعده وقيل معناه لا احد
اصدق من الله فى الخبر الذى يخبر به النظم لما امر سبحانه ونهى فيما قبل بين الله بعده انه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه اي ما عملوا
على حسب ما اوجبه عليكم فانه يجازيكم به ثم بين وقت الجزاء وقيل انما اتصل بقوله حسيبا اى انما الحسيب هو الله قوله تعالى
فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا آية
القراءة الاركاس الرد ومنه قول امية بن ابى الصلت فاركسوا فى حميم النار انهم كانوا عصاة وقالوا الافك والزور قال الفراء اركسهم
وركسهم وقد ذكر ان عبد الله وابى بن كعب قرءا ركسهم بغير الف الاعراب فئتين نصب على الحال كما تقول ما لك قائما والعامل فى الحال
معنى الفعل الذى فى الظرف اعنى قوله لك النزول اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فيه فقيل نزلت فى قوم قدموا المدينة من مكة فاظهروا
للمسلمين الاسلام ثم رجعوا الى مكة لانهم استوخموا المدينة فاظهروا الشرك ثم سافروا ببضايع المشركين الى اليمامة فاراد المسلمون
ان يغزوهم فاختلفوا فقال بعضهم لا نفعل فانهم مؤمنون وقال آخرون انهم مشركون فانزل الله فيهم الآية عن مجاهد والحسن
وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام وقيل نزلت فى الذين تخلفوا عن احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم الآية فاختلف اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله فقال فريق منهم نقتلهم وقال آخرون لا نقتلهم عن زيد بن ثابت المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر
المنافقين فقال سبحانه فما لكم ايها المؤمنون صرتم فى امر هؤلاء المنافقين فئتين فرقتين مختلفتين فمنكم من يكفرهم والله اركسهم
بما كسبوا اى ردهم الى حكم الكفار بما اظهروا من الكفر عن ابن عباس وقيل معناه اهلكهم بكفرهم عن قتادة وقيل خذلهم فاقاموا على
كفرهم وترددوا فيه فاخبر عن خذلانه اياهم بانه اركسهم عن ابى مسلم اتريدون ان تهدوا اى تحكموا بهداية من اضل الله اى حكم الله بضلاله
وسماه ضالا وقيل معنى اضله الله خذله الله ولم يوفقه كما وفق المؤمنين لانهم لما عصوا وخالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم
على معصيتهم اى اتريدون الدفاع عن قتالهم مع ان الله تعالى حكم بضلالهم وخذلهم ووكلهم الى انفسهم وقال ابو على الجبائى
معناه اتريدون ان تهدوا الى طريق الجنة والثواب وطعن على القول الاول بانه لو اراد التسمية والحكم لقال من ضلل الله وهذا
لا يصح لان العرب تقول اكفرته وكفرته قال الكميت وطايفة قد اكفرونى بحبكم وطايفة قالوا مسيء ومذنب وايضا فانه سبحانه انما
وصف المؤمنين بهدايتهم بان سماهم مهتدين لانهم كانوا يقولون انهم مؤمنون فقال سبحانه لا تختلفوا فيهم وقولوا باجمعكم انهم
منافقون ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا معناه ومن نسبه الله الى الضلال فلن ينفعه ان يحكم غيره بهدايته كما يقال جرحه الحاكم
فلا ينفعه تعديل غيره وقيل معناه من يجعله الله فى حكم ضالا فلن تجد له فى ضلالته حجة عن جعفر بن حرب قال ويدل على انهم
هم الذين اكتسبوا ما صاروا اليه من الكفر دون ان يكون الله سبحانه اضطرهم اليه قوله على اثر ذلك ودوا لو تكفرون كما كفروا فاضاف

سبحانه الكفر اليهم قوله تعالى ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا
فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ٨٩ آية المعنى ثم بين سبحانه احوال هولاء المنافقين فقال
ودّوا اى ودّ هؤلاء المنافقون الذين اختلفتم في امرهم يعنى تمنوا لو تكفرون انتم بالله ورسوله كما كفروا هم فتكونون سواء اى فتستوون انتم
وهم وتكونون مثلهم كفارا ثم نهى المؤمنين ان يوادوهم فقال لا تتخذوا منهم اولياء اى فلا تستنصحوهم ولا تستنصروهم ولا تستعينوا بهم في
الامور حتى يهاجروا اى حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا اهلها المشركين بالله في سبيل الله اى في ابتغاء دينه وهو سبيله فيصير لهم عند
ذلك مثل ما لكم وعليهم ما عليكم وهذا قول ابن عباس وانما سمى الدين سبيلا وطريقا لان من يسلكه اداه الى النعمة وساقه الى الجنة
فان تولوا اى اعرضوا عن الهجرة في سبيل الله عن ابن عباس فخذوهم ايها المؤمنون واقتلوهم حيث وجدتموهم اى اين اصبتموهم من
ارض الله في الحل والحرام ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى خليلا ولا ناصرا ينصركم على اعدائكم قوله تعالى الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان
اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ٩٠ آية اللغة الحصر الضيق وكل من ضاقت نفسه عن شئ
من فعل او كلام يقال قد حصر ومنه الحصر في القرائة والحصر اعتقال البطن والاعتزال ان يتنحى الرجل عن الشئ يقال اعتزلت البيت
من فعل او كلام يقال به وتعزلته قال الاحوص ياست حايكة الذى استعزلته حذر العدا وبه الفواد موكل سميت المعتزلة اعتزالهم
مجلس الحسن البصري بعد ان كانوا من اهله وذلك ان واصل بن عطا لما اظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وتابعه عمرو بن عبيد على التدين به
وافقهم جماعة على هذا المذهب قال الامر بهم الى الاعتزال لمجلس الحسن البصري واصحابه فسماهم الناس معتزلة وجرى عليهم ذلك الاسم الاعراب
حصرت صدورهم في موضع نصب على الحال وقد مضمرة معه لان الفعل الماضى لا يكون حالا الا تكون معه قد اما مضمرة او مظهرة فان قد
تقرب الماضى من الحال فتقديره جاؤكم حصرت صدورهم كما قالوا جاء فلان قد ذهب عقله اى قد ذهب عقله ويجوز ان يكون حصرت
صدورهم منصوب الموضع بانه صفة الموصوف هو حال على تقدير جاؤكم قوما حصرت صدورهم فحذف الموصوف المنتصب على الحال
واقيم صفته مقامه وانما جاز ان يكون هذا حالا لانه بمنزلة قولك او جاؤكم موصوفين بحصر الصدر او معروفين بذلك المعنى
لما امر الله سبحانه المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك وان لا يوالوهم استثنى من جملتهم فقال الا الذين يصلون الى
قوم بينكم وبينهم ميثاق معناه الا من وصل من هؤلاء الى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد فدخلوا فيهم بالحلف والجوار فحكمهم حكم
اولئك في حقن دمائهم واختلف في هؤلاء فالمروي عن ابي جعفر عليه السلم انه قال المراد بقوله بينكم وبينهم ميثاق هو هلال بن عويمر السلمي
واثق عن قومه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال في موادعته على ان لا يحيف يا محمد من اتانا ولا نحيف من اتاك فنهى الله سبحانه ان
يعرض لاحد عهد لهم وبه قال السدي وابن زيد وقيل هم بنو مدلج وكان سراقة بن مالك الخثعمي المدلجي جاء الى النبي صلى الله عليه وآله
بعد احد فقال انشدك الله والنعمة واخذ منه انه لا يغزوا قومه فان اسلموا قريش اسلموا لانهم كانوا في عقد قريش فحكم الله فيهم
ما حكم في قريش ففيهم نزل هذا ذكره عمرو بن شيبه ثم استثنى لهم حالة اخرى فقال او جاؤكم حصرت صدورهم اى ضاقت قلوبهم
من ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم يعنى من قتالكم وقتال قومهم فلا عليكم ولا عليهم وانما عنى به اشجع فانهم قدموا المدينة في سبعمائة
يقودهم مسعود بن رخيلة فاخرج اليهم النبي صلى الله عليه وآله احمال التمر ضيافة وقال نعم الشئ الهدية امام الحاجة وقال لهم ما جاء بكم
قالوا قرب دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا يعنون بنى ضمرة الذين بينهم وبينهم عهد لقلتنا فيهم فجئنا لنوادعك فقبل النبي ص
ذلك منهم ووادعهم فرجعوا الى بلادهم ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره فامر الله سبحانه المسلمين ان لا يتعرضوا لهؤلاء ولو شاء الله لسلطهم
عليكم بتقوية قلوبهم فيجرؤن على قتالكم وقيل هذا اخبار عما في المقدور وليس فيه انه يفعل ذلك بان يأمرهم به او يأذن لهم فيه ومعناه
انه يقدر على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك تعالى بل يلقى في قلوبهم الرعب حتى يفزعوا ويطلبوا الموادعة ويدخل بعضهم في حلف من بينكم
وبينه ميثاق فلقاتلوكم اى لو فعل ذلك لقاتلوكم فان اعتزلوكم يعنى هؤلاء الذين اجرنا الكف عن قتالهم بدخولهم في عهدكم او بحصرهم
اليكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم يعنى صالحوكم واستسلموا لكم كما يقول القائل القيت اليك فنادى

والقيت

والقيت اليك زمامي اذا استسلم له وانقاد لامره والسلم الصلح فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني اذا سالموكم فلا سبيل لكم الى نفوسهم واموالهم
قال الحسن وعكرمة نسخت هذه الاية والتي بعدها والايتان في سورة الممتحنة لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الى قوله
الظالمون الايات الاربع بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية قوله تعالى ستجدون آخرين يريدون
ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا آية النزول اختلف فيمن عني بهذه الآية فقيل نزلت في ناس كانوا يأتون
النبي ص فيسلمون رياء ثم يرجعون الى قريش فيرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك ان يأمنوا قومهم ويأمنوا نبي الله فابى الله
ذلك عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي كان ينقل الحديث بين النبي صلى الله عليه وآله وبين المشركين
عن السدي وقيل نزلت في اسد وغطفان عن مقاتل وقيل نزلت في عيينة بن الحصين الفزاري وذلك انه اجدبت بلادهم فجاء الى رسول
الله صلى الله عليه وآله ووادعه على ان يقيم ببطن نخل ولا يتعرض له وكان منافقا ملعونا وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله
الاحمق المطاع في قومه وهو المروي عن الصادق ع المعنى ثم بين سبحانه طائفة اخرى منهم فقال ستجدون آخرين يعني قوما آخرين
غير الذين وصفهم قبل يريدون ان يأمنوكم فيظهرون الاسلام ويأمنوا قومهم فيظهرون الاسلام ويأمنوا قومهم فيظهرون لهم الموافقة
في دينهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها المراد بالفتنة هنا الشرك اي كلما دعوا الى الكفر اجابوا اي رجعوا اليه والفتنة في اللغة الاختبار
والاركاس الرد وقال الزجاج اركسوا فيها انتكسوا في عقدهم فالمعنى كلما ردوا الى الاختبار ليرجعوا عن الكفر رجعوا اليه فان لم
يعتزلوكم ايها المؤمنون اي فان لم يعتزلوا قتالكم هؤلاء الذين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم ويلقوا اليكم السلم يعني ولم
يستسلموا اليكم فيعطوكم المقادة ويصالحوكم ولم يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم اي فاسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي
وجدتموهم واصبتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اي حجة ظاهرة وقيل عذرا بينا في القتال وسميت الحجة سلطان
لانها يتسلط بها على الخصم كما يتسلط بالسلطان قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير
رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما آية اللغة
الخطاء خلاف الصواب والفعل منه خطا واخطا في الامر اي لم يصب الصواب والخطاء بالفتح فيهما والخطاء والخطاء بالتسكين
فيهما والخطية الذنب والفعل منه خطي يخطي اذا اذنب والتحرير تفعيل من الحرية وهو اخراج العبد من الرق الى الحرية الاعراب
اجمع المحققون من النحويين على ان قوله الا خطاء استثناء منقطع من الاول على معنى ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطي
المؤمن ومثله قول الشاعر من البيض لم تظعن بعيدا ولم تطا على الارض الا ريط برد مرجل والمعنى لم تطا على الارض الا ان تطا ريط
البرد اذ ليس ريط البرد من الارض وقد ذكرنا ما قيل في مثله في سورة البقرة عند قوله الا الذين ظلموا منهم وقال بعضهم ان الاستثناء
متصل والمعنى لم يكن لمؤمن ان يقتل متعمدا مؤمنا ومن قتله متعمدا لم يكن مؤمنا فان ذلك يخرجه عن الايمان ثم قال الا خطاء اي فان
قتله له خطاء لا يخرجه من الايمان فتحرير رقبة مبتداء محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه وموضع ان في قوله الا ان يصدقوا نصب
لان المعنى فعليه ذلك الا ان يصدقوا اي الا على ان يصدقوا ثم يسقط على ويعمل فيه ما قبله على معنى في الحال فهو مصدر وقع موقع
الحال واصل يصدقوا يتصدقوا فادغمت التاء في الصاد لقرب مخرجيهما وقيل ان في قراءة ابي الا ان يتصدقوا توبة من الله كقولهم فعلت
ذلك حذر الشر عند الزجاج فيكون مفعولا له وقيل انه بمعنى تاب الله بذلك عليكم توبة فيكون مصدرا مثل كتاب الله وقد مر تفسيره
النزول نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي اخي ابي جهل لامه لانه كان اسلم وقتل بعد اسلامه رجلا مسلما وهو لا يعلم باسلامه
والمقتول الحرث بن يزيد بن ابي نبشة العامري عن مجاهد وعكرمة والسدي قال قتله بالحرة بعد الهجرة وكان من احد من رده عن الهجرة
وكان يعذب عياشا مع ابي جهل وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وقيل نزلت في رجل قتله ابو الدرداء كانوا في سرية فعدل ابو الدرداء
الى شعب يريد حاجة فوجد رجلا من القوم في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال لا اله الا الله فبدر به بضربة ثم جاء بغنمه الى القوم

ثم وجد في نفسه شيئا فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر ذلك فقال صلى الله عليه وآله الا شققت عن قلبه وقد اخبرك بلسانه فلم تصدقه
فقال كيف لي يا رسول الله قال فكيف بلا اله الا الله قال ابو الدرداء فتمنيت ان ذلك اليوم مبتدأ ايماني فنزلت الآية عن ابن زيد المعنى
ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ معناه ما اذن الله ولا اباح لمؤمن فيما عهده اليه ان يقتل مؤمنا الا ان يقتله خطأ عن قتادة
وغيره وقيل معناه ما كان له كما ليس له الآن قتل مؤمن الا ان يقع القتل خطأ وقيل تقديره وما كان لمؤمن ليقتل مؤمنا الا خطأ كقوله
سبحانه ما كان لله ان يتخذ من ولد معناه ما كان الله ليتخذ وليا وقوله سبحانه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي ما كنتم لتنبتوا شجرها وانما
قلنا ان معناه ما ذكرناه لانه سبحانه لا يلحقه الامر والنهي وانبات الشجر لا يدخل تحت مقدور البشر فلا يصح النهي عنه فمعنى الآية
على ما وصفنا ليس من صفة المؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا وليس الامر بقتل الخطأ او اباحته
ولا يجوز واحد منهما والخطأ هو ان يريد شيئا فيصيب غيره مثل ان يرمي الى غرض او الى صيد فيصيب انسانا فيقتله وكذلك لو قتل رجلا
ظنه كافرا كظن عياش بن ابي ربيعة وابو الدرداء على ما ذكرناه قيل ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة اي فعليه اعتاق رقبة مؤمنة
في ماله خاصة على وجه الكفارة حق الله تعالى والرقبة المؤمنة هي البالغة التي امنت وصلت وصامت لا يجزي في كفارة قتل الطفل
ولا الكافر عن ابن عباس والشعبي وابراهيم والحسن وقتادة وقيل يجزي كل رقبة ولدت على الاسلام عن عطاء والاول اقوى لان لفظ
المؤمن لا يطلق الا على البالغ الملتزم للفرائض الا ان من ولد بين مؤمنين فلا خلاف ان يحكم له بالايمان ودية اي وعليه وعلى عاقلته
دية مسلمة الى اهله اي الى اهل القتيل والمسلمة المدفوعة اليهم موفرة غير منتقصة حقوق اهلها منها تدفع الى اهل القتيل فيقسم بينهم
على حسب الميراث الا ان يصدقوا يعني الا ان يتصدق اولياء القتيل بالدية على عاقلة القاتل ويتركوها عليهم فان كان من قوم عدو
لكم وهو مؤمن معناه فان كان القتيل من جملة قوم اعداء لكم يناصبونكم الحرب وهو في نفسه ولم يعلم قاتله انه مؤمن فقتله وهو
يظنه مشركا فتحرير رقبة اي فعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة كفارة وليس فيه دية عن ابن عباس في رواية اخرى وابراهيم والسدي و
قتادة وابن زيد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد وذمة وليسوا اهل حرب لكم فدية مسلمة الى اهله يلزم عاقلة قاتله
وتحرير رقبة مؤمنة يلزم قاتله كفارة لقتله وهو المروي عن الصادق عليه السلم واختلف في صفة هذا القتيل اهو مؤمن ام كافر فقيل انه كافر
الا انه يلزم قاتله دية بسبب العهد عن ابن عباس والزهري والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة وبن زيد وقيل بل هو مؤمن يلزم قاتله الدية
الى قومه المشركين لانهم اهل ذمة عن الحسن وابراهيم ورواه اصحابنا ايضا الا انهم قالوا يعطى ديته ورثته المسلمين دون الكفار ولفظ
الميثاق يقع على الذمة والعهد جميعا فمن لم يجد اي لم يقدر على عتق الرقبة بان لا يجد العبد ولا ثمنه فصيام شهرين اي فعليه صيام
شهرين متتابعين توبة من الله اي ليتوب الله به عليكم فتكون التوبة من فعل الله تعالى وقيل ان المراد بالتوبة هنا التخفيف من الله
لانه سبحانه انما جوز للقاتل العدول الى الصيام تخفيفا عليه ويكون كقوله سبحانه علم ان لن تحصوه فتاب عليكم وكان الله عليما حكيما
اي لم يزل عليما بكل شيء حكيما فيما يامر وينهى عنه واما الدية الواجبة في قتل الخطاء فمائة من الابل ان كانت العاقلة من الابل بلا خلاف
وان اختلفوا في اسنانها فقيل هي ارباع عشرون بنت مخاض وعشرون ابن لبون وثلثون بنت لبون وثلثون حقة روي ذلك عن
عثمان وزيد بن ثابت ورواه اصحابنا ايضا وقد روي عن اصحابنا ايضا في اخبارنا خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون
وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وبه قال الحسن والشعبي وقيل انها اخماس عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون
بنت لبون وعشرون بن لبون وعشرون بنت مخاض وهو قول بن مسعود والزهري والثوري واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة
هي اخماس ايضا الا انه جعل مكان بن لبون بن مخاض وبه قال النخعي ورووه ايضا عن ابن مسعود وقال الطبري هذه الروايات متكافئة
والاولى التخيير فاما الدية من الذهب فالف دينار ومن الورق عشرة الاف درهم وهو الاصح وقيل اثنا عشر الفا ودية الخطاء تستأدى
في ثلث سنين ولو خلينا وظاهر الآية لقلنا ان دية الخطاء على القاتل لكنا علمنا بسنة الرسول عليه السلم والاجماع ان الدية في الخطاء على
العاقلة وهم الاخوة وبنو الاخوة والاعمام وبنو الاعمام واعمام الاب وابناؤهم الموالي وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يدخل الوالد
والولد فيها ولا يعقل القاتل وقد روى بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا يؤاخذ الرجل بجريرة ابنه ولا الابن بجريرة ابيه وليس

الزام الدية للعاقلة على سبيل مواخذة البرئ بالسقيم لان ذلك ليس بعقوبة بل هو حكم شرعي تابع للمصلحة وقد قيل ان ذلك على سبيل المواساة والمعاونة النظم انه سبحانه ذكر الكفار وامر بقتالهم ثم ذكر من كان بينهم وبين المسلمين عهد ومنع من قتلهم ثم ذكر من اتفق بحكم بقتلهم ثم ذكر قتل المؤمن ووصل به وذكر احكامه من دية وغيرها قوله تعالى وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ اية النزول نزلت في قيس بن صبابة الكناني وجد اخاه قتيلا في بني النجار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فارسل معه قيس بن هلال الفهري وقال له قل لبني النجار ان علمتم قاتل هشام فادفعوه الى اخيه ليقتص منه وان لم تعلموا فادفعوا اليه ديته فبلغ الفهري الرسالة فاعطوه الدية فلما انصرف ومعه الفهري وسوس اليه الشيطان فقال ما صنعت شيئا اخذت دية اخيك فيكون عليك سبة اقتل الذي معك ليكون نفس بنفس والدية فضل فرماه بصخرة فقتله وركب بعيرا ورجع الى مكة كافرا وانشد يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع فادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فقال النبي صلعم لا امنه في حل ولا حرم فقتل يوم الفتح رواه الضحاك وجماعة من المفسرين المعنى لما بين سبحانه قتل الخطاء وحكمه عقبه ببيان قتل العمد وحكمه فقال ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي قاصدا الى قتله عالما بايمانه وحرمة قتله وعصمة دمه وقيل معناه مستحلا لقتله عن عكرمة وابن جريج وجماعة وقيل معنى المتعمد ان يقتله على دينه رواه العياشي باسناده عن الصادق عليه السلم فجزاؤه جهنم خالدا مقيما فيها وغضب الله عليه ولعنه وابعده من الخير وطرده عنه على وجه العقوبة واعد له عذابا اليما ظاهر المعنى وصفة قتل العمد ان يقصد قتل غيره بما جرت به العادة بان يقتل مثله سواء كان بحديدة حادة كالسلاح او بمثقل او بسم او احراق او تغريق او موالاة ضرب بالعصاة او بالحجارة حتى يموت فان جميع ذلك عمد يوجب القود وبه قال ابراهيم والشافعي واصحابه و قال قوم لا يكون قتل العمد الا بالحديد وبه قال سعيد بن المسيب وطاوس وابو حنيفة واصحابه واما القتل شبيه العمد فهو ان يضربه بعصى او غيرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده فيموت ففيه الدية مغلظة تلزم القاتل خاصة في ماله دون العاقلة وفي هذه الآية وعيد شديد لمن قتل مؤمنا متعمدا حرم الله سبحانه به قتل المؤمن وغلظه فيه وقال جماعة من التابعين الاية اللينة وهي ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء نزلت بعد الشديدة وهي من يقتل مؤمنا متعمدا وقال ابو الحسن في قوله سبحانه فجزاؤه جهنم خالدا فيها هي جزاؤه ان جازاه ويروى هذا ايضا عن ابي صالح ورواه العياشي ايضا باسناده عن ابي عبد الله عليه السلم وقد روي ايضا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وآله انه قال هو جزاؤه ان جازاه وروى عاصم بن ابي النجود عن ابن عباس في قوله فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه ان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي عن ابي صالح وبكر بن عبد الله وغيره انه كما يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه لم يكن ذلك منه كذبا واعترض على هذا ابو علي الجبائي فقال ما لا يفعل لا يسمى جزاء الا ترى ان الاجير اذا استحق الاجرة فالدراهم التي مع مستاجره لا تسمى بانها جزاء عمله وهذا لا يصح لان الجزاء عبارة عن المستحق سواء فعل ذلك ام لم يفعل ولهذا يقال جزاء المحسن الافضال وجزاء المسيء الاساءة وان لم يتعين المحسن والمسيء حتى يقال انه فعل ذلك او لم يفعل ويقال لمن قتل غيره جزاء هذا ان يقتل وانما لا يقال للدراهم انها جزاء الاجير لان الاجير انما يستحق الاجرة في الذمة لا في دراهم معينة فللمستاجر ان يعطيه منها ومن غيرها ومن تعلق بهذه الاية من اهل الوعيد في ان مرتكب الكبيرة لا بد ان يخلد في النار فانا نقول له ما انكرت ان يكون المراد به من لا ثواب له اصلا بان يكون كافرا او يكون قتله مستحلا لقتله او قتله لايمانه فانه لا خلاف ان هذا صفة من يخلد في النار ويعضده من الرواية ما تقدم ذكره في سبب نزول الآية واقوال الائمة في معناها وبعد فقد وافقنا على ان الآية مخصوصة بمن لا يتوب وان التائب خارج من عمومها واما ما روي عن ابن عباس انه قال لا توبة لقاتل المؤمن الا اذا قتله في حال الشرك ثم اسلم وتاب وبه قال ابن مسعود وزيد بن ثابت فالاولى ان يكون هذا القول منهم محمولا على سلوك سبيل التغليظ في القتل كما روي عن سفيان الثوري انه سئل عن توبة القاتل فقال كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له واذا ابتلي الرجل قالوا له تب وروى الواحدي باسناده مرفوعا الى عطاء عن ابن عباس ان رجلا ساله القاتل المؤمن توبة قال لا وساله آخر القاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له في ذلك فقال

جاءني ذلك ولم يكن قتل فقلت لا توبة لك لكي لا يقتل وجاءني هذا وقد قتل فقلت لك توبة لكي لا يلقي نفسه بعده الى التهلكة ومن قال
من اصحابنا ان قاتل المؤمن لا يوفق للتوبة الدنيا في ما قلنا ولان هذا القول ان صح فانما يدل على انه لا يختار التوبة مع انها لو حصلت لازالة
العقاب فاذا كان لابد من تخصيص الآية بالتوبة جاز ان يخص ايضا بمن تفضل عليه بالعفو وروى الواحدي باسناده مرفوعا الى الاصمعي
قال جاء عمرو بن عبيد الى ابي العلاء فقال يا ابا عمرو يخلف الله وعده فقال لا قال افرايت من اوعده على عمل عقابا ايخلف الله وعده فيه فقال
ابو عمرو من العجمة يا ابا عثمان ان الوعد غير الوعيد ان العرب لا تعدده عارا ولا خلفا ان تعد شرا ثم لا تفعله ترى ذلك كرما وفضلا وانما الخلف
ان تعد خيرا ثم لا تفعله قال فاوجدني في كلام العرب قال نعم اما سمعت قول الاول واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز
موعدي ووجدنا في الدعاء المروي بالرواية الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام يا من اذا وعد وفا واذا توعد عفا وهذا يؤيد ما تقدم
وقد احسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد حق والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم اذا فعلوا كذا ان يعطيهم كذا
ومن اولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فاعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء اخذ لانه حقه واولاهما ربنا
العفو والكرم انه هو غفور رحيم وروى اسحق بن ابراهيم قال سمعت قريش بن انس يقول كنت عند عمرو بن عبيد في بيته فانا نقول
يؤتى بي يوم القيمة فاقام بين يدي الله عز وجل فيقول انت قلت ان القاتل في النار فاقول انت قلت ومن يقتل مؤمنا الاية فقلت له
وما في البيت اصغر سنا مني ارايت ان قال لك فاني قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من اين علمت اني
لا اشاء ان اغفر لهذا قال فما استطاع ان يرد علي شيئا قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ
لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ آية
القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم فتثبتوا هنا في الموضعين بالتاء والثاء وفي الحجرات وقرا الباقون فتبينوا بالياء والنون في الجميع وقرا اهل
المدينة والشام وحمزة وخلف السلم بغير الف وقرئ في بعض الروايات عن عاصم السلم بكسر السين وسكون اللام وقرا الباقون السلام
بالف وروي عن ابي جعفر القارئ من بعض الطريق لست مؤمنا بفتح الميم الثانية وحكى ابو القاسم البلخي انه قراءة محمد بن علي الباقر عم
الحجة قال ابو علي من قرا فتثبتوا فحجته ان التثبت خلاف الاقدام والمراد به التأني وهو اشد اختصاصا بهذا الموضع ويبين ذلك قوله
واشد تثبيتا اي اشد وقفا لهم عما وعظوا بان لا يقدموا عليه ومن قرا فتبينوا فحجته ان التبين قد يكون اشد من التثبت وقد جاء
التبين من الله والعجلة من الشيطان فمقابلة التبين بالعجلة دال على تقارب التثبت والتبين قال الشاعر في موضع التوقف
والزجر اريد مناة توعد بان تيم تبين ابن تابك الوعيد قال ومن قرا السلام احتمل ضربين احدهما ان يكون بمعنى التحية اي لا تقولوا
لمن حياكم بتحية المسلمين انما قالها تعوذا ولكن ارفعوا السيف منه والاخر ان يكون المعنى لا تقولوا لمن يقاتلكم لست مؤمنا قال
ابو الحسن يقال فلان سلام اذا كان لا يخالط احدا ومن قرا السلم اراد الانقياد والاستسلام الى المسلمين ومنه قوله والقوا الى الله يومئذ
السلم اي استسلموا لامره ولما يراد منهم ومن قرا السلم بكسر السين فمعناه والاسلام مصدر اسلم اي صار مسلما وخرج عن ان يكون حربا
ومن قرا مؤمنا فانه من الامان ومعناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسنا نؤمنكم اللغة جميع متاع الدنيا عرض يقال ان الدنيا عرض حاضر
ويقال لكل شيء قل لبثه عرض ومنه العرض الذي هو خلاف الجوهر عند المتكلمين لانه ما لا يجب له من اللبث ما يجب للاجسام والعرض
ما يعرض للانسان من مرض او غيره الاعراب يبتغون في موضع نصب على الحال من الواو في تقولوا او الكاف من كذلك في موضع
نصب بكونه خبر كان من كنتم النزول قيل نزلت في اسامة بن زيد واصحابه بعثهم النبي صلى الله عليه وآله سرية فلقوا رجلا قد انحاز بغنم
له الى جبل وكان قد اسلم فقال لهم السلام عليكم لا اله الا الله محمد رسول الله فبدر اليه اسامة فقتله واستاقوا غنمه وروي عن ابن عباس
انه لما نزلت هذه الاية حلف اسامة انه لا يقتل رجلا يقول لا اله الا الله وبهذا اعتذر الى علي لما تخلف عنه وان كان عذره غير
مقبول لانه قد دل الدليل على وجوب طاعة الامام في محاربة من حاربه من البغاة لا سيما وقد سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول
حربك يا علي حربي وسلمك سلمي وقيل نزلت في محلم بن جثامة الليثي كان بعثه النبي صلى الله عليه وآله في سرية فلقيه عامر بن الاضبط
الاشجعي فحياه بتحية السلام وكان بينهما احنة فرماه بسهم فقتله فلما جاء الى النبي صلى الله عليه وآله جلس بين يديه وساله ان يستغفر له

فقال

فقال عليه السلام لا غفر الله لك فانصرف باكيا فما مضت عليه سبعة ايام حتى هلك فدفن فلفظته الارض فقال ص لما اخبر به ان الارض تقبل
من هو اشر من محلم صاحبكم ولكن اراد الله ان يعظم من حرمتكم ثم طرحوه بين صدفي جبل والقوا عليه الحجارة فنزلت الآية عن الواقدي ومحمد
بن اسحق بن يسار روياه عن ابن عمر وابن مسعود وابى حدرد وقيل كان صاحب السرية المقداد عن سعيد بن جبير ابو الدرداء عن ابن زيد المعنى
لما بين سبحانه احكام القتل وانواعه عقب ذلك بالامر بالتثبت والتانى حتى لا يفعل ما يعقب الندامة فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم اى
سرتم وسافرتم فى سبيل الله للغزو والجهاد فتبينوا اى ميزوا بين الكافر والمؤمن وبالثاء والتاء توقفوا وتأنوا حتى تعلموا من يستحق القتل
والمعنيان متقاربان والمراد بهما لا تعجلوا فى القتل لمن اظهر اسلامه ظنا منكم بانه لا حقيقة لذلك ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم اى حياكم
بتحية اهل الاسلام او من استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهرا انه من اهل ملتكم لست مؤمنا اى ليس لايمانك حقيقة وانما اسلمت خوفا من
القتل او لست بآمن تبتغون عرض الحيوة الدنيا يعنى الغنيمة والمال ومتاع الحيوة الدنيا الذى لا بقاء له فعند الله مغانم كثيرة فى
مقدوره فواضل ونعم ورزق اطعمهم فيما آمركم به وقيل معناه ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمنين كذلك كنتم من قبل اختلف فى معناه فقيل
كما كان هذا الذى قتلتموه مستخفيا فى قومه بدينه خوفا على نفسه منهم كنتم انتم مستخفين باديانكم من قومكم حذرا على انفسكم عن سعيد بن جبير
وقيل كما كان هذا الذى قتلتموه المقتول كافرا فهداه الله كذلك كنتم كفارا فهداكم الله عن ابن زيد والجبائى وقيل كذلك كنتم اذلاء احاد
انما يسار الرجل منكم وحده خاف ان يختطف عن المغربى فمن الله عليكم باظهار دينه واعزاز اهله حتى اظهرتم الاسلام بعد ما كنتم تكتمونه
من اهل الشرك عن سعيد بن جبير وقيل معناه فتاب الله عليكم فتبينوا اعاد هذا اللفظ للتاكيد بعد ما طال الكلام وقيل الاول معناه
تبينوا لحاله والثانى تبينوا هذه الفوائد بضمايركم واعرفوها واتبعوها ان الله كان اى لم يزل بما تعملون اى بما تعملون خبيرا عليما
قبل ان تعملون قوله تعالى لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا آيتان القراءة قرا اهل المدينة والشام والكسائى
وخلف غير اولى الضرر بنصب الراء والباقون بالرفع الاعراب فالرفع على ان تجعل غير صفة للقاعدين عند سيبويه وكذلك قال فى
غير المغضوب عليهم انه صفة للذين انعمت عليهم ومنه قول لبيد واذا جوزيت قرضا فاجزه انما يجزى الفتى غير الجمل فغير صفة للفتى
فعلى هذا يكون التقدير لا يستوى القاعدون الاصحاء والمجاهدون والنصب على الاستثناء من القاعدين ويستوى فعل يقتضى فاعلين
فصاعدا فالتقدير لا يستوى القاعدون الا اولى الضرر والمجاهدون قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على الحال فيكون المعنى لا يستوى
القاعدون فى حال صحتهم والمجاهدون كما تقول جاءنى زيد غير مريض اى صحيحا ويجوز فى غير الجر على ان يكون صفة للمؤمنين فى غير القراءة
اللغة الضرر النقصان وهو كل ما يضرك وينقصك من غم ومرض وعلة والدرجة المنزلة ودرجة الى كذا اى رقيت اليه منزلة بعد
منزلة وادرجت الكتاب طويته منزلة بعد منزلة ودرج الرجل مضى لسبيله لاتصاله الى منزلة الآخرة ومنه فلان اكذب من دب
ودرج اى اكذب الاحياء والاموات الاعراب درجة منصوب على انه اسم وضع موضع المصدر اى تفضيلا بدرجة وكلا مفعول وعد
والحسنى مفعول ثان ودرجات فى موضع نصب بدلا من قوله اجرا عظيما وهو مفسر للاجر المعنى فضل الله المجاهدين درجات ومغفرة
ورحمة ويجوز ان يكون منصوبا على التوكيد لاجر العظيم هو رفع الدرجات والمغفرة والرحمة كما تقول لك على الف درهم عرفا فقولك
عرفا مؤكد لقولك لك على الف درهم اعتراف فكانك قلت اعرفها عرفا فكانه قيل غفر الله لهم مغفرة واجرهم اجرا عظيما لان قوله اجرا عظيما
فى معنى غفر ورحم وفضل النزول نزلت الاية فى كعب بن مالك من بنى سلمة ومرارة بن ربيع من بنى عمرو بن عوف وهلال بن امية من بنى
واقف تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم تبوك وعذر الله اولى الضرر وهو عبد الله بن ام مكتوم رواه ابو حمزة الثمالى فى تفسيره
وقال زيد بن ثابت كنت عند النبى صلى الله عليه وآله حين نزلت عليه لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله
ولم يذكر اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر فتغشى النبى صلى الله عليه وآله الوحى فقال اكتب لا يستوى القاعدون
من المؤمنين غير اولى الضرر فكتبها المعنى لما حث سبحانه على الجهاد عقبه بما فيه من الفضل والثواب فقال لا يستوى القاعدون

نصف الحزب

من المؤمنين اى لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله من اهل الايمان بالله وبرسوله ويؤثرون الدعة والرفاهية على مقاساة
الحر والمشقة بلقاء العدو غير اولى الضرر اى الا اهل الضرر منهم بذهاب ابصارهم وغير ذلك من العلل التى لا سبيل لاهلها الى الجهاد للضرر
الذى بهم والمجاهدون فى سبيل الله ومنهاج دينه لتكون كلمة الله هى العليا والمستفرغون وسعهم فى قتال اعداء الله واعزاز دينه
باموالهم انفاقا واما بوهن كيد الاعداء وانفسهم حملا لها على الكفاح فى البقاء فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
معناه فضيلة ومنزلة وكلا وعد الله الحسنى معناه وكلا الفريقين من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد وعد الله الجنة عن قتادة
وغيره من المفسرين وفى هذا دلالة على ان الجهاد فرض على الكفاية لانه لو كان فرضا على الاعيان لما استحق القاعدون بغير عذر اجرا
وقيل ان المراد بالكل هنا المجاهد والقاعد من اولى الضرر المعذور عن مقاتل وفضل الله المجاهدين على القاعدين من اولى الضرر
اجرا عظيما درجات منه اى منازل بعضها اعلى من بعض من منازل الكرامة وقيل هى درجات الاعمال كما يقال الاسلام درجة
والفقه درجة والهجرة درجة والجهاد فى الهجرة درجة والقتل فى الجهاد درجة عن قتادة وقيل معنى الدرجات هى الدرجات التسع
التى درجها فى سورة براءة فى قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار
ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح الى قوله ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فهذه الدرجات التسع عن عبد الله
بن زيد ومغفرة ورحمة هذا بيان خلوص النعيم بانه لا يشوبه غم بما كانوا فيه من الذنوب بل غفر لهم ذلك ثم رحمهم باعداد النعم
والكرامات وكان الله غفورا لم يزل الله غفار الذنوب صفوحا لعبيده عن العقوبة عليها رحيما بهم متفضلا عليهم سؤال فيقال
كيف قال فى اول الآية فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ثم قال فى آخرها وفضل الله المجاهدين على
القاعدين اجرا عظيما درجات وهذا متناقض الظاهر واجيب عنه بجوابين احدهما ان فى اول الآية فضل الله المجاهدين على
القاعدين من اولى الضرر درجة وفى آخرها فضلهم على القاعدين غير اولى الضرر درجات فلا تناقض لان قوله وكلا وعد الله
الحسنى يدل على ان القاعدين لم يكونوا عاصين وان كانوا تاركين للفضل والثانى ما قاله ابو على الجبائى وهو انه اراد بالدرجة
الاول علو المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح كما يقال فلان اعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك انه اعظم
منزلة منه والدرجات فى الجنة التى تتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم وقال المغربى انما كرر لفظ
التفضيل لان الاول اراد تفضيلهم فى الدنيا واراد فى الثانى تفضيلهم فى الآخرة وجاء فى الحديث ان الله سبحانه فضل الله
المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا للفرس الجواد المضمر قوله تعالى
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝ ثلث آيات القراءة
نحكى فى الشواذ عن ابراهيم انه قرا ان الذين توفيهم الملائكة بضم التاء الحجة قال ابن جنى معنى هذا كقولك ان الذين يعدون
على الملائكة يعدون عليهم يحتسبون عليهم فهو من نحو قولك ان المال الذى توفاه امه الله اى يدفع اليها يحتسب عليها كان
كل ملك جعل اليه قبض نفس بعض الناس لم يكن من ذلك وتوفيه اللغة التوفى القبض وتوفيت الشئ واستوفيته قبضته
والوفاة الموت لان الميت تقبض روحه والتوفى الاحصاء قال الشاعر ان بنى آدم ليسوا من اسد ولا توفيهم قريش فى العدد
والمعنى احصيهم والمأوى المرجع من اوى الى منزله ياوى اويا والاستضعاف وجدان الشئ ضعيفا كالاستطراق ونحوه الاعراب
توفاهم ان شئت كان لفظه ماضيا فيكون مفتوحا لان الماضى مبنى على الفتح ويجوز ان يكون مستقبلا فيكون مرفوعا على معنى
تتوفيهم حذفت التاء الثانية لاجتماع تائين وقد ذكرناه مشروحا فيما تقدم ظالمى انفسهم نصب على الحال اصله ظالمين انفسهم
الا ان النون حذفت استخفافا وهى ثابتة فى التقدير كما قال سبحانه هديا بالغ الكعبة اى بالغا الكعبة فيم حذفت الالف من ماء
الاستفهام وهو فى موضع جر بفى والجار مع المجرور فى موضع نصب لانه خبر ان قوله فيم كنتم اى قالوا لهم فحذفت لدلالة الكلام عليه

ويقال

ويقال ان خبران قوله فاولئك ماويهم جهنم ويكون قالوا فيم في موضع نصب بكونه صفة لظالمي انفسهم لانه نكرة المستضعفين نصب على
الاستثناء من قوله مأويهم جهنم الا المستضعفين لا يستطيعون حيلة في موضع نصب على الحال من المستضعفين النزول قال ابو حمزة
الثمالي بلغنا ان المشركين يوم بدر لم يخلفوا اذ خرجوا احدا الا صبيا وشيخا كبيرا او مريضا فخرج معهم ناس ممن تكلم بالاسلام فلما التقى المشركون
ورسول الله صلى الله عليه وآله نظر الذين كانوا قد تكلموا بالاسلام الى قلة المسلمين فارتابوا فاصيبوا فيمن اصيب من المشركين فنزلت
فيهم الآية وهو المروي عن ابن عباس والسدي وقتادة وقيل انهم قيس بن الفاكهة بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود وقيس بن
الوليد بن المغيرة وابو العاص بن هشام الحجاج وعلي بن امية بن خلف وعكرمة رواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلم قال ابن عباس
كنت انا من المستضعفين وكنت غلاما صغيرا وذكر عنه ايضا انه قال كان ابي من المستضعفين من الرجال الولدان المعنى
ثم اخبر سبحانه عن حال من تعد عن نصرة الرسول عليه السلم بعد الوفاة فقال ان الذين توفاهم اي تقبض ارواحهم او تقبض ارواحهم
الملائكة ملك الموت او ملك الموت وغيره فان الملائكة تتوفى وملك الموت يتوفى وما يفعله ملك الموت او الملائكة يجوز ان يضاف
الى الله تعالى اذا فعلوه بامره وما يفعله الملائكة جاز ان يضاف الى ملك الموت اذا فعلوا بامره ظالمي انفسهم اي في حال هم فيها ظلموا انفسهم
اذ بخسوها حقها من الثواب وادخلوا عليها العقاب بفعل الكفر قالوا فيم كنتم اي في اي شيء من دينكم على وجه التقرير لهم والتوبيخ لفعلهم
قالوا كنا مستضعفين في الارض مستضعفنا اهل الشرك بالله في ارضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم ويمنعوننا من الايمان بالله
واتباع رسوله على جهة الاعتذار قالوا اي قالت لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اي فتخرجوا من ارضكم ودوركم
وتفارقوا من يمنعكم من الايمان بالله وبرسوله الى ارض يمنعكم اهلها من اهل الشرك فتوحدوه وتعبدوه وتتبعوا رسوله وروي
عن سعيد بن جبير انه قال في معناه اذا عمل بالمعاصي في ارض فاخرج منها ثم قال سبحانه فاولئك مأويهم اي مسكنهم جهنم وساءت
هي اي جهنم مصيرا لاهلها الذين صاروا اليها ثم استثنى من ذلك فقال الا المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال
والنساء والولدان وهم الذين يعجزون عن الهجرة لاعسارهم وقلة حيلتهم وهو قوله لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا في الخلاص
من مكة وقيل معناه لا يهتدون بسوء معرفتهم بالطريق طريق الخروج منها اي لا يعرفون طريقا الى المدينة عن مجاهد وقتادة وجماعة
من المفسرين فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم معناه لعل الله ان يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر ويتفضل عليهم بالصفح عنهم في تركهم
الهجرة من حيث لم يتركوها اختيارا وكان الله غفورا اي لم يزل الله اذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بترك عقوبتهم على معاصيهم غفورا
اي ساترا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها قال عكرمة وكان النبي صلى الله عليه وآله يدعو اعقيب صلوة الظهر اللهم خلص الوليد وسلمة
بن هشام وعياش بن ربيعة وضعفة المسلمين من ايدي المشركين قوله تعالى وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا
كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا آية
اللغة المهاجرة المفارقة واصله من الهجر الذي هو ضد الوصل والمراغم المضطرب في البلاد والمذهب واصله من الرغام وهو التراب
ومعنى راغمت فلانا هاجرته ولم ابال رغم انفه اي ولصق بالتراب انفه وارغم الله انفه الصقه بالتراب وقيل اصله الذل والشدة والمراغم
المغاور الذي يرغم اذلال صاحبه ومنه الحديث اذا صلى احدكم فليلزم جبينه وانفه الارض حتى يخرج منه الرغم اي حتى يذل ويخضع
لله تعالى وفعلته على رغمه اي على ذله لما يكره وارغم الله انفه اذله والمراغم الموضع والمصدر من المراغمة قال الى بلد غير داني المحل بعيد
للراغم والمضطرب النزول قيل لما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهو جندع او جندب بن ضمرة وكان بمكة فقال والله ما انا
ممن استثنى الله اني لاجد قوة واني العالم بالطريق وكان مريضا شديد المرض فقال لبنيه والله لا ابيت بمكة حتى اخرج منها فاني اخاف
ان اموت فيها فخرجوا يحملونه على سرير حتى اذا بلغ التنعيم مات فنزلت الآية عن ابي حمزة الثمالي وعن قتادة وسعيد بن جبير وقال عكرمة
خرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون وفتنوهم عن دينهم فافتتنوا فانزل الله فيهم ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي
في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب بها المسلمين اليهم ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم المعنى ثم قال سبحانه ومن يهاجر يعني يفارق اهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه الى ارض الاسلام

فی سبیل الله ای فی منهاج دین الله وطریقه الذی شرعه لخلقه یجد فی الارض مراغما کثیرا وسعة ای متحولا من الارض وسعة فی الرزق عن عباس والضحاک والربیع وقیل مزحزحا عما یکره وسعة من الضلالة الی الهدی عن مجاهد وقتادة وقیل مهاجرا فسیحا ومتسعا مما کان فیه من تضیق المشرکین علیه ومن یخرج من بیته مهاجرا الی الله ورسوله اخبر سبحانه انه خرج من بلده مهاجرا من ارض الشرک فارا بدینه الی الله ورسوله ثم یدرکه الموت قبل بلوغه دار الهجرة وارض الاسلام فقد وقع اجره علی الله ای ثواب عمله وجزاء هجرته علی الله وکان الله غفورا ساترا علی عباده ذنوبهم بالعفو عنهم رحیما بهم رفیقا وجما جاء فی معنی الآیة من الحدیث ما رواه الحسن عن النبی صه انه قال من فر بدینه من ارض الی ارض وان کان شبرا من الارض استوجب الجنة وکان رفیق ابراهیم ومحمد عم وروی العیاشی باسناده عن محمد بن ابی عمیر قال وجه زرارة بن اعین ابنه عبیدا الی المدینة لیستخبر له خبر ابی الحسن موسی بن جعفر ع فمات قبل ان یرجع الیه عبید ابنه قال محمد بن ابی عمیر حدثنی محمد بن حکیم قال ذکرت لابی الحسن علیه السلم زرارة وتوجیهه عبیدا الی المدینة فقال انی لارجوا ان یکون زرارة ممن قال الله تعالی ومن یخرج من بیته مهاجرا الی الله ورسوله الآیة قوله تعالی وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ۝ آیة اللغة فی قصر الصلوة ثلث لغات قصرت الصلوة فاقصرها وهی لغة القرآن وقصرتها تقصیرا واقصرتها اقصارا وفتنت الرجل افتنه فهو مفتون لغة اهل الحجاز وتمیم وربیعة واهل نجد کلهم واسد یقولون افتنت الرجل فهو فاتن وقد فتن فتونا اذا دخل فی الفتنة وانما قال فی الکافرین انهم عدو لان لفظه فعول تقع علی الواحد والجماعة المعنی واذا ضربتم فی الارض معناه اذا سرتم فیها ای سافرتم فلیس علیکم جناح ای حرج واثم ان تقصروا من الصلوة فیه اقوال احدها ان معناه ان تقصروا من عدد الصلوة فتصلوا الرباعیات رکعتین عن مجاهد وجماعة من المفسرین وهو قول اکثر الفقهاء ومذهب اهل البیت عم وقیل تقصر صلوة الخائفین من صلوة المسافرین وهما قصران قصر الامن اربع الی رکعتین وقصر الخوف من رکعتین الی رکعة واحدة عن جابر ومجاهد وقد رواه ایضا اصحابنا وثانیها ان معناه القصر من حدود الصلوة عن ابن عباس وطاوس وهو ما رواه اصحابنا فی صلوة شدة الخوف وانها تصلی ایماء والسجود اخفض من الرکوع فان لم یقدر علی ذلک فالتسبیح المخصوص کاف عن کل رکعة وثالثها ان المراد بالقصر الجمع بین الصلوتین والصحیح الاول ان خفتم ان یفتنکم الذین کفروا فی الصلوة عن ابن عباس ومثله قوله تعالی علی خوف من فرعون وملائهم ان یفتنهم ای یقتلهم وقیل معناه ان یعذبکم الذین کفروا بنوع من انواع العذاب ان الکافرین کانوا لکم عدوا مبینا ای ظاهر العداوة وفی قراءة ابی بن کعب فلیس علیکم جناح ان تقصروا من الصلوة ان یفتنکم الذین کفروا من غیر ان یقرا ان خفتم وقیل ان معنی هذه القراءة ان لا یفتنکم او کراهة ان یفتنکم کما فی قوله یبین لکم ان تضلوا وظاهر الآیة ابی یقتضی ان القصر لا یجوز الا عند الخوف لکنا قد علمنا جواز القصر عند الامن ببیان النبی صلی الله علیه وآله ویحتمل ان یکون ذکر الخوف فی الآیة قد خرج مخرج الاعم والاغلب علیهم فی اسفارهم فانهم کانوا یخافون الاعداء فی عامتها ومثله فی القرآن کثیر واختلف الفقهاء فی القصر الصلوة فی السفر فقال الشافعی هو رخصه واختاره الجبائی وقال ابو حنیفه هو عزیمه وفرض وهذا مذهب اهل البیت ع قال زرارة ومحمد بن مسلم قلنا لابی جعفر ع ما تقول فی الصلوة فی السفر کیف هی وکم هی قال ان الله تعالی یقول واذا ضربتم فی الارض فلیس علیکم جناح ان تقصروا من الصلوة فصار التقصیر واجبا فی السفر کوجوب التمام فی الحضر قال قلنا انه قال لا جناح علیکم ان تقصروا من الصلوة ولم یقل افعلوا فکیف اوجب ذلک کما اوجب التمام قال اولیس قال سبحانه فی الصفا والمروة فمن حج البیت او اعتمر فلا جناح علیه ان یطوف بهما الا تری ان الطواف واجب مفروض لان الله تعالی ذکرهما فی کتابه وصنعهما نبیه صه وکذا التقصیر فی السفر شیء صنعه رسول الله صلی الله علیه وآله وذکره الله فی الکتاب قال قلت فمن صلی فی السفر اربعا ابعید ام لا قال ان کانت قریت علیه آیة التقصیر وفسرت له فصلی اربعا اعاد وان لم یکن قریت علیه ولم یعلمها فلا اعادة علیه والصلوة فی السفر کل فریضة رکعتان الا المغرب فانها ثلث لیس فیها تقصیر ترکها رسول الله صه فی السفر والحضر ثلث رکعات وفی هذا الخبر دلالة علی ان فرض المسافر یخالف لفرض المقیم وقد اجمعت الطائفة علی ذلک وعلی انه لیس بقصر وقد روی عن النبی صلی الله علیه وآله انه قال فرض المسافر رکعتان غیر قصر وعندهم ان الخوف بانفراده موجب للقصر وفیه خلاف بین الفقهاء وذهب جماعة من الصحابة والتابعین الی ان الله تعالی عنی بالقصر فی الآیة قصر صلوة الخوف

من صلوة السفر لا من صلوة الاقامة لان صلوة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر فمنهم جابر بن عبد الله وحذيفة بن يمانی وزيد بن
ثابت وابن عباس وابو هريرة وكعب وكان من الصحابة قطعت يده يوم اليمامة وابن عمر وسعيد بن جبير والسدی واما حد السفر الذي
يجب فيه التقصير فعندنا انه ثمانية فراسخ وقيل سير ثلثة ايام بلياليها وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه فقيل ستة عشر فرسخا ثمانية
واربعين ميلا وهو مذهب الشافعي النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها لما امر الله تعالى بالجهاد والهجرة بين صلوة السفر والخوف رحمة
منه تعالى وتخفيفا للعباده قوله تعالى وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا
سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ
عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا
حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا آية اللغة اسلحة جمع سلاح مثل حمار واحمرة والسلاح اسم لجملة ما يدفع الناس
عن انفسهم في الحروب مما يقاتل به خاصة لا يقال للدواب وما اشبهها سلاح واذى مقصور يقال اذى فلان يأذى اذى مثل فزع
يفزع فزعا الاعراب وليأخذوا القراءة على سكون اللام والاصل وليأخذوا بالكسر الا ان الكسر يستثقل فيحذف استخفافا وكذلك
فلتقم ولتأت موضع ان تضعوا نصب اى لا اثم عليكم فى ان تضعوا فلما سقطت فى عمل ما قبل ان فيها وعلى المذهب الآخر يكون موضعها
جرا باضمار حرف الجر وانما قال طائفة اخرى ولم يقل اخرون وقال لم يصلوا فليصلوا ولم يقل لم تصل فلتصل حملا للكلام تارة على اللفظ
واخرى على المعنى كما قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولم يقل اقتتلتا ومثله كثير المعنى ثم ابتدأ سبحانه ببيان صلوة الخوف
فى جماعة فقال اذا كنت يا محمد فيهم يعنى فى اصحابك الضاربين فى الارض الخائفين عدوهم ان يغزوهم فاقمت لهم الصلوة يعنى اتممت
لهم الصلوة بحدودها وركوعها وسجودها عن الحسن وقيل معناه اقمت لهم الصلوة بان تؤمهم فلتقم طائفة منهم اى من اصحابك الذين
انت فيهم معك فى صلوتك وليكن سائرهم فى وجه العدو وتقديره فلتقم طائفة منهم تجاه العدو ولم يذكر ما تفعله الطائفة غير
المصلية لدلالة الكلام عليه وليأخذوا اسلحتهم اختلف فى هذا فقيل المأمور باخذ السلاح الطائفة المصلية مع رسول الله صلى الله عليه
يأخذون من السلاح مثل السيف يتقلدون به والخنجر يشدونه على دروعهم وكذلك السكين ونحو ذلك وهو الصحيح وقيل هم
الطائفة الذين بازاء العدو وغير المصلية عن ابن عباس فاذا سجدوا يعنى الطائفة التى تصلى معه وفرغوا من سجودهم فليكونوا من
ورائكم يعنى فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصافين للعدو واختلف فى الطائفة الاولى اذا فرغت من السجود وفرغت من الركعة
كيف يصنعون فعندنا انهم يصلون ركعة اخرى ويتشهدون ويسلمون والامام قائم فى الثانية ثم ينصرفون الى مواقف اصحابهم
ويجئ الآخرون فيستفتحون الصلوة ويصلى بهم الامام الركعة الثانية ويطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا بقية صلوتهم ثم يسلم بهم
الامام فيكون للطائفة الاولى تكبيرة الافتتاح وللثانية التسليم وهو مذهب الشافعي ايضا وقيل ان الطائفة الاولى اذا فرغت
من ركعة يسلمون ويمضون الى وجه العدو وتأتى الطائفة الاخرى وتصلى بهم ركعة وهذا مذهب جابر ومجاهد ومن يرى ان
صلوة الخوف ركعة واحدة وقيل ان الامام يصلى بكل طائفة ركعتين فيصلى بهم مرتين بكل طائفة مرة عن الحسن وقيل انه اذا صلى
بالطائفة الاولى ركعة ومضوا الى وجه العدو وتأتى الطائفة الاخرى فيكبرون ويصلى بهم الركعة الثانية ويسلم الامام ويعودون
الى جهة العدو وتأتى الطائفة الاولى فيقضون ركعة بغير قراءة لانهم لاحقون ويسلمون ويرجعون الى وجه العدو وتأتى الطائفة
الثانية ويقضون ركعة بقراءة لانهم مسبوقون عن عبد الله بن مسعود وهو مذهب ابى حنيفة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا وهم الذين
كانوا بازاء العدو فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعنى وليكونوا حاذرين من عدوهم متأهبين لقتالهم باخذ الاسلحة
اى آلات الحرب وهذا يدل على ان الفرقة المأمورة باخذ السلاح فى الاول للصلوة غيرهم ود الذين كفروا معناه تمنى الذين كفروا لو تغفلون
عن اسلحتكم وتشتغلون عن اخذها تأهبا للقتال وامتعتكم اى وعن امتعتكم التى بها بلاغكم فى اسفاركم فتسهون عنها فيميلون عليكم
ميلة واحدة اى يحملون عليكم حملة واحدة وانتم متشاغلون بصلوتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم ويستحون عسكركم وما معكم المعنى
لا تتشاغلوا باجمعكم بالصلوة عند موافقة العدو فيتمكن عدوكم من انفسكم واسلحتكم ولكن اقيموها على ما امرتم به ومن عادة العرب

ان يقولوا ملنا عليهم بمعنى حملنا قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري لرسول الله صلى الله عليه وآله العقبة الثانية والذي
بعثك بالحق ان شئت لنميلن غدا على اهل منا باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لن نؤمر بذلك يعني في ذلك الوقت
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر معناه لا حرج عليكم ولا ضيق ان نالكم اذى من مطر وانتم موافقوا عدوكم او كنتم مرضى يعني اعلاء
او جراحا ان تضعوا اسلحتكم اذا ضعفتم عن حملها ولكن اذا وضعتموها فاحترسوا منهم وخذوا حذركم لئلا يميلوا عليكم وانتم غافلون
غارون ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا مذلا يبقون فيه ابدا وفي الآية دلالة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وصحة نبوته و
ذلك انها نزلت والنبي صلى الله عليه وآله بعسفان والمشركون بضجنان فتوافقوا فصلى النبي صلى الله عليه وآله باصحابه صلوة الظهر
بتمام الركوع والسجود فهم المشركون بان يغيروا عليهم فقال بعضهم ان لهم صلوة اخرى احب اليهم من هذه يعنون صلوة العصر
فانزل الله عليه الآية فصلى بهم العصر صلوة الخوف وكان ذلك سبب اسلام خالد بن الوليد القصة ومنها دلالة اخرى ذكر حمزة الثمالي
في تفسيره ان رسول الله صلى الله عليه وآله غزا محاربا وبني انمار فهزمهم الله واحرزوا الذراري والمال فنزل رسول الله صلى الله
عليه وآله والمسلمون ولا يرون من العدو احدا فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله ص ليقضي حاجته وقد وضع سلاحه فجعل بينه و
بين اصحابه الوادي فاتى ان يفرغ من حاجته فدردى الوادي والسماء ترش فحال الوادي بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين
اصحابه وجلس في ظل سمرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فقال له اصحابه يا غورث هذا محمد قد انقطع من اصحابه فقال قتلني الله
ان لم اقتله وانحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وآله الا وهو قايم على راسه ومعه السيف قد سله من غمده
فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله فانكب عدو الله لوجهه وقام رسول الله صلى الله عليه وآله فاخذ
سيفه وقال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا أحد قال اتشهد ان لا اله الا الله واني عبد الله ورسوله قال لا ولكني اعهد ان
لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه فقال غورث والله لانت خير مني قال ع انا احق بذلك
وخرج غورث الى اصحابه فقالوا يا غورث لقد رأيناك قايما على راسه بالسيف فما منعك منه قال والله اهويت اليه بالسيف لاضربه
فما ادري من زلجني بين كتفي فخررت لوجهي وخر سيفي وسبقني اليه محمد فاخذه ولم يلبث الوادي ان سكن فقطع رسول الله ص
الى اصحابه فاخبرهم وقرأ عليهم ان كان بكم اذى من مطر الآية كلها قوله تعالى فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا آية اللغة اطمأن الشيء اي سكن وطامنه
وطامسه سكنه وقيل اطيان بالباء يعني اطمأن المعنى فاذا قضيتم الصلوة معناه فاذا فرغتم من صلوتكم ايها المؤمنون وانتم موافقوا
عدوكم فاذكروا الله قياما اي في حال قيامكم وقعودا اي في حال قعودكم وعلى جنوبكم اي مضطجعين فقوله على جنوبكم في موضع نصب عطفا
على ما قبله من الحال اي ادعوا الله في هذه الاحوال لعله ينصركم على عدوكم ويظفركم بهم مثل قوله يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه فاذا اردتم الصلوة فصلوا قياما اذا كنتم اصحاء وقعودا
اذا كنتم مرضى لا تقدرون على القيام وعلى جنوبكم اذا لم تقدروا على القعود عن ابن مسعود وروي عن ابن عباس انه قال عقيب تفسير الآية
لم يعذر الله احدا في ترك ذكره الا المغلوب على عقله فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة اختلف في تأويله فقيل معناه اذا استقررتم في اوطانكم
واقمتم في امصاركم فاتموا الصلوة التي اذن لكم في قصرها عن مجاهد وقتادة وقيل معناه اذا استقررتم بزوال الخوف فاتموا حدود الصلوة عن
السدي وابن زيد ومجاهد في رواية اخرى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اختلف في تأويله فقيل معناه ان الصلوة كانت
على المؤمنين واجبة مفروضة عن ابن عباس وعطية العوفي والسدي ومجاهد وهو المروي عن الباقر والصادق ع وقيل فرضا موقوتا
اي منجما تؤدونها في انجمها عن ابن مسعود وقتادة والقولان متقاربان قوله تعالى وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ
كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا آية القراءة روي في الشواذ عن ابن عبد الرحمن الاعرج ان
تكونوا تألمون بفتح الالف الاعراب قال ابن جني ان محمول على قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم لانكم تألمون فمن اعتقد نصب ان بعد حرف الجر
عنها فان هنا منصوبة الموضع وهي على مذهب الخليل مجرورة الموضع باللام المرادة وصارت ان لكونها حرفا كالعوض في اللفظ من اللام

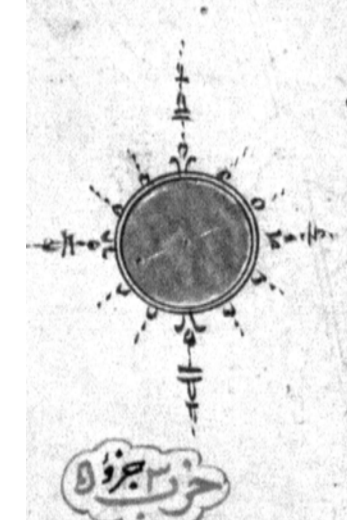
ان تكونوا تألمون

اللغة الوهن الضعف وهن فلان في الامر يهن وهنا ووهونا فهو واهن والالم الوجع والالم جنس من الاعراض يكون من فعل
الله تعالى ابتداء وبسبب وقد يكون من فعل العباد بسبب والرجاء قد يستعمل بمعنى الخوف نحو قول الشاعر لا ترتجي حين تلاقي الزائد
اسبعة لاقت معا ام واحد وقال ابو ذويب اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل قال الفراء نوب ونوب وهي
النحل وقال سبحانه ما لكم لا ترجون لله وقارا والمعنى لا تخافون لله عظمة وانما استعمل الرجاء على معنى الخوف لان الرجاء امل وقد يخاف
ان لا يتم **النزول** قيل نزلت في الذهاب الى بدر الصغرى لموعد ابي سفيان يوم احد في الذهاب خلف ابي سفيان وعسكره الى حمراء الاسد
عن عكرمة **المعنى** عاد الكلام الى الحث على الجهاد فقال سبحانه ولا تهنوا اي ولا تضعفوا في ابتغاء القوم اي في طلب القوم الذين هم اعداء
الله واعداء المؤمنين من اهل الشرك ان تكونوا تألمون مما ينالكم من الجرح فانهم يعني المشركين يألمون ايضا مما ينالهم منكم من الجراح والاذى
كما تألمون اي مثل ما تألمون انتم من جراحهم واذاهم وانتم ترجون ايها المؤمنون اي المؤمنون من الله الظفر عاجلا والثواب اجلا على ما ينالكم
منهم ما لا يرجون هم على ما ينالهم منكم اي وانتم ان كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون به اولى واحرى ان تصبروا
على حربهم وقتالهم منهم من حربكم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وكان الله عليما بمصالح خلقه حكيما في تدبيره اياهم وتقديره احوالهم قال
ابن عباس وعكرمة لما اصاب المسلمين ما اصابهم يوم احد وصعد النبي صلى الله عليه وآله الجبل قال ابو سفيان يا محمد لنا يوم ولكم يوم فقال
عليه السلام اجيبوه فقال المسلمون لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال ابو سفيان لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وآله
الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان اعل هبل اعل هبل فقال النبي صم قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان موعدنا وموعدكم بدر الصغرى
ونام المسلمون وبهم الكلوم وفيهم نزلت ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله الاية وفيهم نزلت ان تكونوا تألمون الاية لان الله تعالى امرهم
على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم واراد بذلك ارهاب المشركين فخرجوا الى حمراء الاسد وبلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى دخلوا مكة **قوله تعالى**
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيما ۝ واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ۝
آيتان **النزول** نزلت في بني ابيرق وكانوا ثلثة اخوة بشر وبشير ومبشر وكان بشير يكنى ابا طعمة وكان يقول الشعر يهجو به اصحاب رسول الله صم
ثم يقول قاله فلان وكانوا اهل حاجة في الجاهلية والاسلام فنقب ابو طعمة على علية رفاعة بن زيد واخذ له طعاما وسيفا ودرعا فشكا ذلك الى
ابن اخيه قتادة بن النعمن وكان قتادة بدريا فتجسسا في الدار وسألا اهل الدار في ذلك فقال بنو ابيرق والله ما صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل
ذو حسب ونسب فاصلت عليهم لبيد بن سهل سيفه وخرج اليهم وقال يا بني ابيرق اترمونني بالسرق وانتم اولى به مني وانتم المنافقون تهجون
رسول الله صلى الله عليه وآله وتنسبون الى قريش لتبينن ذلك او لاضعن سيفي فيكم فداروه واتى قتادة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
يا رسول الله ان اهل بيت سوء عدوا على عمي فخرقوا علية له من ظهرها واصابوا له طعاما وسلاحا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انظر في شانك
فلما سمع بذلك رجل من بطنهم الذي هم منه يقال له اسير بن عروة جمع رجالا من اهل الدار ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال ان قتادة بن النعمن وعمه الى اهل بيت منا لهم حسب ونسب وصلاح وابنوهم بالقبيح وقالوا لهم ما لا ينبغي قال فقام قتادة من عند
رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع الى عمه وقال ليتني مت ولم اكن كلمت رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قال لي ما كرهت فقال رفاعة
الله المستعان فنزلت الآيات انا انزلنا اليك الكتاب الى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فبلغ بشيرا ما نزل الله فيه من القرآن فهرب
الى مكة وارتد كافرا فنزل على سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت امرأة من الاوس من بني عمرو بن عوف نكحت في عبد الدار فهجاها حسان
فقال فقد انزلته بنت سعد واصبحت ينازعها جلد استها وتنازعه ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم وفينا نبي عنده الوحي واضعه فحملت
رحله على راسها فالقته بالابطح وقالت ما كنت تأتيني بخير اهديت الى شعر حسان هذا قول مجاهد وقتادة بن النعمن وعكرمة وابن جريج
الا ان قتادة وعكرمة قالوا ان بني ابيرق طرحوا ذلك على يهودي يقال له زيد بن السمين فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وجاء
بنو ابيرق اليه وكلموه ان يجادل عنهم فهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان يفعل وان يعاقب اليهودي فنزلت الآية وبه قال ابن عباس
وقال الضحاك نزلت في رجل من الانصار استودع درعا فجحد صاحبها فخونه رجال من اصحاب النبي صم فغضب له قومه وقالوا يا رسول الله
خون صاحبنا وهو مسلم امين فعذره النبي صلى الله عليه وآله وكذب عنه وهو يرى انه بريء مكذوب عليه فانزل الله فيه الايات واختار

هذا الوجه قال لان الخيانة انما تكون في الوديعة لا في السرقة المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال انا انزلنا اليك يا محمد
الكتاب يعني القرآن بالحق الذي يجب فيه على عباده وقيل معناه انك احق به لتحكم يا محمد بين الناس بما اراك الله اي اعلمك الله في كتابه
ولا تكن للخائنين خصيما نهاه ان يكون لمن خان مسلما او معاهدا في نفسه او ماله خصيما يدافع من طلبه عنه بحقه الذي خانه فيه ويخاصم
عنه ثم قال واستغفر الله امره بان يستغفر الله من مخاصمته عن الخائن ان الله كان غفورا رحيما يصفح عن ذنوب عباده المسلمين ويترك
مواخذتهم بها والخطاب وان توجه الى النبي صلى الله عليه وآله من حيث خاصم عمن رآه على ظاهر الايمان والعدالة وان كان الباطن بخلافه
فالمراد بذلك امته وانما ذكر ذلك على وجه التأديب له في انه لا يبادر في الخصام والدفاع عن خصم الا بعد ان يتبين وجه الحق فيه جل نبي الله
صلى الله عليه وآله عن جميع المعاصي والقبائح وقيل انه عليه السلام لم يخاصم عن الخصم وانما هم بذلك فعاتبه الله عليه وجه اتصال
الآية بما قبلها انه لما تقدم ذكر المنافقين والكافرين والامر بمجاهدتهم عقب ذلك بذكر الخائنين والامر باجتناب الدفع عنهم وقيل انه سبحانه
لما بين الاحكام والشرائع في السورة عقبها بان جميع ذلك انزل بالحق قوله تعالى وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا
ثلث ايات اللغة المخاصمة والمجادلة والمناظرة والمحاجة نظائر وان كان بينها فرق فان المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين
اثنين والمخاصمة والمنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه الغلظ والمناظرة فيما يقع بين النظيرين والمحاجة في مجادلة اظهار الحجة واصل
المجادلة من الجدل وهو شدة الفتل ورجل مجدول كانه قد جدل اي فتل والاجدل الصقر لانه اشد الطير قوة والتبييت التدبير
للشيء بالليل لان ذلك يكون في وقت رواح الناس الى بيوتهم الاعراب ها للتنبيه واعيدت في اولاء والمعنى ها انتم الذين جادلتم
عنهم لان هؤلاء وهذا يكونان في الاشارة للمخاطبين الى انفسهم بمنزلة الذين وقد يكونان لغير المخاطبين بمنزلة الذين نحو قول الشاعر
عدس العباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق النزول نزلت الايات في القصة التي ذكرناها قبل المعنى ثم نهى سبحانه عن
المجادلة والدفع عن اهل الخيانة موكدا لما تقدم فقال ولا تجادل قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله حين هم ان يبرئ اباطعمة لما اتاه
قومه ينفون عنه السرقة وقيل الخطاب له والمراد قومه وقيل تقديره ولا تجادل ايها الانسان عن الذين يختانون انفسهم اي يخونون
نفوسهم فيظلمونها اراد من سرق الدرع ومن شاركه في السرقة والخيانة وقيل اراد به قومه الذين مشوا معه الى النبي صلى الله عليه وآله
شهدوا له بالبراءة عما نسب اليه من السرقة وقيل اراد به السارق وقومه ومن هو في معناهم وانما قال يختانون انفسهم وان خانوا
غيرهم لان ضرر خيانتهم كانه راجع اليهم لاحق بهم كما تقول لمن ظلم غيره ما ظلمت الا نفسك وقوله سبحانه ان احسنتم احسنتم لانفسكم
ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما هو فعال من الخيانة اي من كان كثير الخيانة وقد الفها واعتادها وقد يطلق الخوان على الخائن في
شيء واحد اذا عظمت تلك الخيانة والاثيم فاعل الاثم وقيل معناه لا يحب من كان خوانا اذ سرق الدرع واثيما اذ رمى به الى اليهودي
وقال ابن عباس في معنى الاية لا تجادل عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة عنهم يريد سارق الدرع ورمى بالسرقة الى اليهودي
وصار خائنا بالسرقة اثيما في رميه غيره بها يستخفون من الناس اي يكتمون عن الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم يعني الذين
مشوا به في الدفع عن ابن ابيرق ومعناه يستترون عن الناس بمعاصيهم في اخذ الاموال لئلا يفتضحوا في الناس ولا يستترون
من الله وهو مطلع عليهم وقيل معناه يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وعلمه بهم فيكون معناه يخفون الخيانة عن الناس
ويطلبون اختفائها حياء منهم ولا يتركونها حياء من الله تعالى وهو عالم بافعالهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول اي يدبرونه بالليل
قولا لا يرضاه الله تعالى وقيل يغيرون القول من جهته ويكذبون فيه وقيل انه قول ابن ابيرق في نفسه بالليل ارمي بهذا الدرع في دار
اليهودي ثم احلف اني بريء منه فيصدقني المسلمين لاني على دينهم ولا يصدقون اليهودي لانه على دينهم وقيل انه رمى بالدرع الى دار
لبيد بن سهل وكان الله بما يعملون محيطا قال الحسن حفيظا لاعمالهم وقال غيره عالما باعمالهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذه الآية
تقريع بليغ لمن يمنعه حياء الناس وحشمتهم عن ارتكاب القبائح ولا يمنعه خشية الله تعالى عن ارتكابها وهو سبحانه احق ان يراقب

واجدر

واجد ان يخاف وفيها ايضا توبيخ لمن يفعل قبيحا ثم يقرف غيره به سواء كان ذلك الغير مسلما اوكافرا ها انتم خطاب للذابين عن السارق
يعنى هؤلاء الذين جادلتم اى خاصمتم ودافعتم عنهم عن الخائنين فى الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة استفهام يراد به النفى
لانه فى معنى التقريع والتوبيخ اى لا يجادل عنهم ولا شاهد على براءتهم بين يدى الله سبحانه يوم القيمة وفى هذه الآية النهى عن الدفع من
المظالم والمجادلة عنه ام من يكون عليهم وكيلا اى من يحفظهم ويتولى معونتهم يعنى لا يكون يوم القيمة عليهم وكيل يقوم بامرهم ويخاصم عنهم
واصل الوكيل من جعل اليه القيام بالامر والله سبحانه يسمى وكيلا بمعنى انه القايم بالامر ويقال انه يسمى وكيلا بمعنى الحافظ ولا يقال انه وكيل
لنا وانما يقال انه وكيل علينا قوله تعالى ومن يعمل سوء او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب
اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ثلث آيات
اللغة السوء القبيح الذى يواجه به صاحبه من ساءه يسوءه اذا واجهه بقبيح يكرهه ورجل سوء من شانه ان يواجه الناس بالمكاره
فاما السيئة فهو نقيض الحسنة ويجد اصله من الوجدان وهو الادراك يقال وجدت الضالة وجدانا اذا ادركتها بعد ذهابك عنها و
وجدت وجودا علمت والوجود ضد العدم لانه يظهر بالوجود كظهوره بالادراك او الكسب فعل يجر به نفع او يدفع به ضرر ولذلك
لا يوصف سبحانه به المعنى ثم بين سبحانه طريق التلافى والتوبة مما سبق منهم من المعصية فقال ومن يعمل سوء اى معصية وامرا قبيحا
او يظلم نفسه بارتكاب جريمة وقيل يعمل سوء بان يسرق الدرع او يظلم نفسه بان يرمى بها بريئا وقيل المراد بالسوء الشرك وبالظلم ما دونه
الشرك ثم يستغفر الله اى يتوب اليه ويطلب منه المغفرة يجد الله غفورا رحيما بين سبحانه ان جريمتهم وان عظمت فانها غير مانعة من
المغفرة وقبول التوبة اذا استغفروا وتابوا ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ظاهر المعنى ونظيره ولا تكسب كل نفس الا عليها من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وكان الله عليما بكسبه حكيما فى عقابه وقيل عليما بافعال عباده حكيما فى قضائه فيهم وقيل عليما بالسارق
حكيما فى ايجاب القطع عليه ثم بين سبحانه نعم ان من ارتكب اثما ثم ذكر غيره كيف يعظم عقابه فقال ومن يكسب خطيئة اى يعمل
ذنبا على عمد او غير عمد او اثما اى ذنبا تعمده وقيل الخطيئة الشقع والاثم ما دون الشرك ثم يرم به بريئا ثم ينسب ذنبه الى برى وقيل البرى
هو اليهودى بالذى طرح عليه الدرع عن الحسن وغيره وقيل هو لبيد بن سهل وقد مضى ذكرهما قبل وقوله ثم يرم به اختلف فى الضمير
الذى هو الهاء فى به فقيل يعود الى الاثم بالاثم وقيل الى واحد منهما وقيل يعنى بكسبه فقد احتمل بهتانا اى كذبا عظيما يتحير من عظمه واثما
مبينا اى ذنبا ظاهرا بينا وفى هذه الآية دلالة على انه تعالى لا يجوز ان يخلق افعال خلقه ثم يعذبهم عليها لانه اذا كان الخالق لها فهم براء
منها فلو قيل ان الكسب مضاف الى العبد فجوابه ان الكسب لو كان مفهوما ولم معنى لم يخرج العبد بذلك من ان يكون بريئا لانه اذا
قيل ان الله سبحانه اوجد الفعل او احدثه واوجد الاختيار فى القلب والفعل لا يتجزى فقد اسقط عن العبد من جميع جهاته
قوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من
شىء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير فى كثير من نجويهم
الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما آيتان القراءة
قرا فسوف نؤتيه اجرا بالياء ابو عمرو وحمزة وقتيبة عن الكسائى وسهل وخلف والباقون بالنون الحجة من قرا بالياء فلما تقدمه
من قوله ولولا فضل الله وانزل الله عليك الكتاب ومن قرا بالنون فلانه اشبه بما بعده من قوله تعالى نوله ما تولى ونصله جهنم
اللغة الهم ما هممت به ومنه الهمة والهمام الملك العظيم الهمة قال بن عيسى النجوى هو الاسرار عند اهل اللغة وقال الزجاج النجوى
فى الكلام ما ينفرد به الجماعة او الاثنان سواء كان سرا او ظاهرا ومعنى نجوت الشئ فى اللغة خلصته والقيته يقال نجوت الجلد اذا القيته
عن البعير او غيره قال الشاعر فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه سيرضيكما منه سنام وغاربه ونجوت فلانا اذا استنكهته قال نجوت
مجالدا فشممت منه كريح الكلب مات حديث عهد واصل النجوة ما ارتفع من الارض فالمراد بنجويهم ما يديرونه بينهم من الكلام وفلان
نجى فلان اى مناجيه والقوم انجيه الاعراب الا من امر يجوز ان يكون من فى موضع جر المعنى الا نجوى من امر ويجوز ان يكون
استثناء ليس من الاول ويكون موضعها نصبا ويكون معناه لكن من امر بصدقة او معروف ففى نجواه خير ونصب ابتغاء مرضات الله



حزب ٣ جزو ٥

لانه مفعول له ويجوز ان يكون من امر مجرورا الموضع ايضا على الابتاع كثير بمعنى لاخير في كثير الا فيمن امر بصدقة كما يقال لاخير في القوم الا نفر
منهم ويكون النجوى هنا بمعنى المتناجين نحو قوله واذهم نجوى ويجوز ايضا ان يكون استثناء حقيقا على تقدير لاخير في نجوى الناس
الا نجوى من امر وهذا اولى بما تقدم من الاستثناء المنقطع لان حمل الكلام على الاتصال اولى اذلم يخل بالمعنى النزول قيل نزلت في بني
ابرق وقد مضت قصتهم عن ابي صالح عن ابن عباس وقيل نزلت في وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا يا محمد جئناك
نبايعك على ان لانكسر اصنامنا بايدينا وعلى ان نتمتع باللات والعزى سنة فلم يجبهم الى ذلك وعصمه الله منه عن جويبر عن الضحاك
عن ابن عباس المعنى ثم بين سبحانه لطفه لرسول الله وفضله عليه اذ صرف كيدهم عنه وعصمه من الميل اليهم فقال ولولا فضل الله
عليك ورحمته قيل فضله النبوة ورحمته نصرته اياه بالوحي وقيل فضله تاييده بالالطاف ورحمته نعمته عن الجبائي وقيل فضله النبوة
ورحمته العصمة لهمت طائفة منهم واضمرت جماعة من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ان يضلوك قيل فيه اقوال احدها ان المعنى بهم
الذين شهدوا للخائنين من بني ابرق بالبراءة عن ابن عباس والحسن والجبائي فيكون المعنى همت جماعة منهم ان يزيلوك عن الحق بشهادتهم
للخائنين حتى اطلعك الله على اسرارهم وثانيها انهم وفد ثقيف الذين التمسوا من رسول الله صم ما لا يجوز وقد مضى ذكرهم عن ابن
عباس ايضا وثالثها انهم المنافقون الذين هموا باهلاك النبي صلى الله عليه وآله والمراد بالاضلال القتل والاهلاك كما في قوله اذا ضللنا
في الارض فيكون المعنى لولا حفظ الله تعم لك وحراسته اياك لهمت طائفة من المنافقين ان يقتلوك ويهلكوك ومثله هموا بما لم ينالوا
عن ابي مسلم وما يضلون الا انفسهم اي ما يزيلون عن الحق الا انفسهم وقيل وما يهلكون الا انفسهم ومعناه ان وبال ما هموا به من
الاهلاك او الاضلال يعود عليهم حتى استحقوا العذاب الدائم وما يضرونك من شيء اي لا يضرونك بكيدهم ومكرهم شيئا فان الله
سبحانه حافظك وناصرك ومسددك ومؤيدك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة واتصاله بما قبله ان المعنى
كيف يضلونك وهو ينزل عليك الكتاب ويوحي اليك بالاحكام وعلمك ما لم تكن تعلم اي ما لم تعلمه من الشرايع وانباء الرسل
الاولين وغير ذلك من العلوم وكان فضل الله عليك عظيما وقيل فضله عليك عظيم اذ جعلك خاتم النبيين وسيد المرسلين و
اعطاك الشفاعة وغيرها ثم قال سبحانه لا خير في كثير من نجويهم اي اسرارهم ومعنى النجوى لا سم الا بين اثنين فصاعدا كالدعوى الا من
امر بصدقة فان في نجواه خيرا او معروف يعني بالمعروف ابواب البر لاعتراف القبول بها وقيل لان اهل الخير يعرفونها او اصلاح بين
الناس اي تاليف بينهم بالمودة وقال علي بن ابراهيم في تفسيره حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي عبد الله ع قال ان الله فرض
التجمل في القرآن فقال قلت وما التجمل فداك قال ان يكون وجهك اعرض من وجه اخيك فتجمل له وهو قوله لاخير في كثير من نجويهم الا
من امر بصدقة الاية قال وحدثني ابي رفعه الى امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان الله فرض عليكم زكوات جاهكم كما فرض عليكم
زكوات ما ملكت ايمانكم ومن يفعل ذلك يعني ما تقدم ذكره ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاء الله فسوف نؤتيه اي نعطيه اجرا
عظيما اي مثوبة عظيمة في الكثرة والمنزلة والصفة اما الكثرة فلانه دايم واما المنزلة فلانه مقارن للتعظيم والاجلال واما الصفة فلانه
غير مشوب بما ينغصه وفي الاية دلالة على ان فاعل المعصية هو الذي يضر بنفسه لما يعود عليه من وبال فعله وفيها دلالة ايضا على ان
الذي يدعو الى الضلال هو المضل وعلى ان فاعل الضلال مضل لنفسه وعلى ان الدعاء الى الضلال يسمى اضلالا قوله تعالى
وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا آية اللغة
الشقاق الخلاف مع العداوة وشق العصا اي فارق الجماعة والشق النصف واصله من الشق وهو القطع طولا وسميت العداوة شقاقا
لان احد المتعاديين يصير في شق غير شق الاخر من اجل العداوة التي بينهما ومنه الاشتقاق فانه قطع الفرع عن الاصل نوليه ما تولى
وهو القرب يقال ولي الشيء يليه اذا قرب منه وكل ما يليك اي مما يقاربك والولي المطر الذي يلي الوسمي النزول قيل نزلت
في شان بني ابرق وسارق الدرع ولما انزل الله تعالى في تقريعه وتقريع قومه الايات كفر وارتد ولحق بالمشركين من اهل مكة ثم
نقب حايطا للسرقة فوقع الحايط عليه فقتله عن الحسن وقيل انه خرج من مكة نحو الشام فنزل منزلا وسرق بعض المتاع وهرب
واخذ ورمي بالحجارة حتى قتل عن الكلبي المعنى لما بين سبحانه التوبة بذكر حال الاصرار فقال ومن يشاقق الرسول اي من يخالف محمدا

ويعادوه من بعد ما تبين له الهدى اى ظهر له الحق والاسلام وقامت له الحجة وصحت الدلالة بثبوت نبوته ورسالته ويتبع طريقا غير
سبيل المؤمنين اى غير طريقهم الذى هو دينهم نوله ما تولى اى نكله الى ما انتصره وانكل عليه من الاوثان وحقيقته نجعله على ما اعتمد
من دون الله تعالى اى يقرب منه وقيل معناه نخلى بينه وبين ما اختاره لنفسه ونصله جهنم اى نلزمه دخول جهنم عقوبة له على
ما اختاره من الضلالة بعد الهدى وساءت مصيرا قدم معناه وقد استدل بهذه الاية على ان اجماع الامة حجة لانه سبحانه توعد على
مخالفة سبيل المؤمنين كما توعد على مشاقة الرسول ع والصحيح انه لا يدل على ذلك لان ظاهر الآية يقتضى ايجاب متابعة من هو
مؤمن على الحقيقة ظاهرا وباطنا لان من اظهر الايمان لا يوصف بانه مؤمن الا مجازا فكيف يحمل على ذلك على ايجاب متابعة من اظهر
الايمان وليس كل من اظهر الايمان مؤمنا ومتى حملوا الاية على بعض الامة حملها على غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من
المؤمنين وهم الائمة من آل محمد عليهم السلام ان ظاهر الآية يقتضى ان الوعيد انما يتناول من جمع بين مشاقة الرسول ص واتباع غير
المؤمنين فمن اين لهم ان من فعل احدهما تناوله الوعيد ونحن ان علمنا ان الوعيد انما يتناول من جمع من مشاقة الرسول ص واتباع
غير المؤمنين فمن اين لهم ان من فعل احدهما تناوله الوعيد ونحن انما علمنا ان الوعيد يتناول مشاقة الرسول بانفرادها بدليل غير الاية
فيجب ان يستند تناول الوعيد اتباع غير سبيل المؤمنين الى دليل آخر قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا آيه قد مر تفسيره فيما تقدم وقوله فقد ضل ضلالا بعيدا اى عن طريق الحق والفوز المطلوب
وهو النعيم المقيم فى الجنة ذهابا بعيدا لان الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب ابعدها الشرك بالله تعالى قوله تعالى
إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ
وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ
خُسْرَانًا مُبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا خمس آيات القراءة
القراءة المشهورة الا اناثا وروى فى الشواذ عن النبى صلى الله عليه وآله الا اثنا بثاء قبل النون روتها عنه عن عايشه وروى عن ابن
عباس الا وثنا والا أُثُنا بضمتين والثاء قبل النون وهى ساكنة الاعراب اما ان اثن فجمع وثن واصله وثن قلبت الواو همزة نحو
اجوه فى وجوه واعد فى وعد واما اثن بسكون الثاء فهو كاسد بسكون السين واما انثا بتقديم النون على الثاء فيمكن ان يكون
جمع انيث كعق لهم سيف انيث الحديد ويمكن ان يكون جمع اناث اللغة المريد والمارد والمتمرد بمعنى وهو العاتى الخارج عن الطاعة
والمتمس منها يقال حايط ممرد اى مملس وشجرة مرداء تناثر ورقها ومنه سمى من لم ينبت له لحيه امرد اى املس موضع اللحية
ومرد الرجل يمرد مرودا اذا عتا وخرج عن الطاعة واهل اللعن البعد ومنه قيل للطريد لعين واصل الفرض الثلمة تكون فى النهر
والفرض الحز الذى يكون فى الشراك وغيره يشد فيه الخيط والفرض فى القوس الحز الذى يكون فيه الوتر والفريضة ما امر الله به
العباد فجعله حتما عليهم قاطعا واما قول الشاعر اذا اكلت سمكا وفرضا ذهبت طولا وذهبت عرضا فالفرض هنا التمر وانما سمى فرضا
لانه يؤخذ فى فرايض الصدقة التبتيك التشقيق والبتك القطع بتكه ابتكه بتكا والبتكة مثل القطعة والبتك القطع قال زهير
حتى اذا ما هوت كف الغلام له طارت وفى كفه من ريشها بتك والمحيص العدل يقال حصت عنه احيص حيصا وحصت
احيص بمعنى قال ولم ندر ان حصنا عن الموت حيضة ام العمر باق والمدى متطاول وروى باللغتين المعنى ان على اربعة اوجه
احدها ان النافية كما فى الآية ان يدعون اى ما يدعون والثانى المخففة من المثقلة كما فى قوله وان كانت لكبيرة ويلزمها لام التاكيد
والثالث ان الجزاء كما فى قوله وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا والرابع ان المزيدة نحو ما ان جاءنى زيد وما ان طبنا جبن ولكن
منايانا ودولة آخرينا لعنه الله جمله فى موضع النصب بانها صفة لقوله شيطانا واللام فى لاتخذن وفيما بعده لام اليمين وانما
تدخل على جواب القسم لانه المقسم عليه فعلى هذا يكون القسم هنا مضمرا كالجميع لما ذكر فى الآية المتقدمة اهل الشرك وضلالتهم ذكر فى
هذه الآية حالهم وفعالهم فقال ان يدعون اى ما يدعون هؤلاء المشركون وما يعبدون من دونه اى من دون الله الا اناثا فيه
اقوال احدها الا اوثانا وكانوا يسمون الاوثان اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى واساف ونايله عن ابى مالك والسدى

ومجاهد وابن زيد وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال كان في كل واحدة منهن شيطانة تتراءى للسدنة وتكلمهم وذلك من صنيع ابليس
وهو الشيطان الذي ذكره الله تعالى فقال لعنه الله قالوا واللات كان اسما للصخرة والعزى لشجرة الا انهم نقلوها الى الوثن وجعلوها
علما عليهما وقيل العزى تانيث الاعز واللات تانيث لفظ الله وقال الحسن كان لكل حي من العرب وثن يسمونه باسم الانثى وثانيها
ان المعنى الا امواتا عن ابن عباس والحسن وقتادة فعلى هذا يكون تقديره ما يعبدون من دون الله الا جمادا امواتا لا يعقل
ولا ينطق ولا يضر ولا ينفع فدل ذلك على غاية جهلهم وضلالهم وسماها اناثا لاعتقاد مشركي العرب الانوثة في كل ما اتضعت
منزلته ولان الاناث من كل جنس ارذل وقال الزجاج لان الموات يخبر عنها بلفظ التانيث تقول الحجارة تعجبني ولا تقول يعجبني
ويجوز ان يكون سماها اناثا لضعفها وقلة خيرها وعدم نصرها وثالثها ان المعنى الا ملائكة لانهم كانوا يزعمون ان الملائكة بنات
الله وكانوا يعبدون الملائكة عن الضحاك وان يدعون الا شيطانا مريدا اي ماردا شديدا في كفره وعصيانه متماديا في شركه و
طغيانه يسال على هذا فيقال كيف نفى في اول الكلام عبادتهم لغير الاناث ثم اثبت في آخره عبادتهم الشيطان فاثبت في الآخر
ما نفاه في الاول اجاب الحسن فقال انهم لم يعبدوا الا الشيطان في الحقيقة كانت سواء ما دعت احدا الى عبادتها بل الداعي
الى عبادتها الشيطان فاضيفت العبادة الى الشيطان بحكم الدعاء والى الاصنام لاجل انهم كانوا يعبدونها ويدل عليه قوله تعالى
ويوم نحشرهم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اضافة
الملائكة عبادتهم الى الجن من قبل ان الجن دعتهم الى عبادة الملائكة وقال ابن عباس كان في كل واحد من اصنامهم التي يعبدونها شيطان
مريد يدعو المشركين الى عبادتها فلذلك احسن اضافة العبادة الى الاصنام والى الشيطان وقيل ليس في الآية اثبات للنفي بل ما يعبدون
الاوثان الا الشيطان ابليس لعنه الله ابعده الله عن الخير بايجاب الخلود في نار جهنم وقال يعني الشيطان لما لعنه الله لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا اي معلوما عن الضحاك وقيل مقدرا محدودا واصل الاتخاذ اخذ الشيء على وجه الاختصاص فكل من
اطاعه فانه من نصيبه وحزبه كما قال سبحانه فكتب عليه انه من تولاه فانه يضله وروي ان النبي صلى الله عليه وآله قال في هذه الآية من
بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة وفي رواية اخرى من كل الف واحد لله وسايرهم في النار ولابليس اوردهما ابو حمزة
الثمالي في تفسيره ويقال كيف علم ابليس ان له اعوانا يتابعونه والجواب علم ذلك من قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك وقيل انه
لما نال من آدم ما نال طمع في ولده وانما قال ذلك ظنا ويؤيده قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ولاضلنهم هذا من مقالة الشيطان
يعني لاضلنهم عن الحق والصواب واضلاله دعاؤه الى الضلال وتسببه له بحبائله وغروره ووساوسه ولامنينهم يعني طول البقاء
في الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا ونعيمها على الآخرة وقيل معناه اقول لهم ليس وراءكم بعث ولا نشر ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا
عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبي وقيل معناه امنيهم بالاهواء الباطلة الداعية الى المعصية وازين لهم شهوات الدنيا وزهراتها وادعو
كلا منهم الى نوع يميل طبعه اليه فاصده بذلك عن الطاعة والقيه في المعصية ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام تقديره ولآمرنهم
بتبتيك آذان الانعام فليبتكن اي ليشققن آذانهم عن الزجاج وقيل ليقطعن الآذان من اصلها وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم
وهذا شيء قد كان مشركوا العرب يفعلونه يجدعون آذان الانعام ويقال كانوا يفعلونه بالبحيرة والسائبة وسنذكر ذلك في سورة
المائدة ان شاء الله تعالى ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اي لآمرنهم بتغيير خلق الله فليغيرنه واختلف في معناه فقيل يريد دين الله
وامره عن ابن عباس وابراهيم ومجاهد والحسن وقتادة وجماعة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم ويؤيده قوله سبحانه فطرة الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله واراد بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام وقيل اراد معنى الخصاء عن عكرمة وشهر بن حوشب وابي
صالح وعن ابن عباس وكرهوا الاخصاء في البهائم وقيل انه الوشم عن ابن زيد وقيل انه اراد الشمس والقمر والحجارة عدلوا عن الانتفاع بها
الى عبادتها عن الزجاج ومن يتخذ الشيطان وليا اي ناصرا وقيل ربا يطيعه من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا اي ظاهرا واي خسارة
اعظم من استبدال الجنة بالنار واي صفقة اخسر من استبدال رضاء الشيطان برضاء الرحمن يعدهم الشيطان ان يكون لهم ناصرا
ويمنيهم الاكاذيب والاباطيل وقيل معناه يعدهم الفقر ان انفقوا ما لهم في ابواب البر ويمنيهم طول البقاء في الدنيا ودوام النعيم فيها

خطاء

لمن يريدها

ليؤثروها على الآخرة وما يعدهم الشيطان الا غرورا اى لا يكون لما يعدهم ويمنيهم اصل ولا حقيقة والغرور ايهام النفع فيما فيه ضرر
اولئك اشارة الى الذين اتخذوا الشيطان وليا من دون الله فاغتروا بغروره وتابعوه فيما دعاهم اليه مأويهم مستقرهم جميعا جهنم
ولا يجدون عنها محيصا اى مخلصا ولا مهربا ولا معدلا قوله تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝ آية القرآءة قد مر تفسير الآية فى هذه
السورة وقوله ومن اصدق ونحوه باشمام الزاء فى غير عاصم ورويس والباقون بالصاد وقد ذكرنا الوجه عند ذكر الصراط فى الفاتحة و
قوله وعد الله نصب على المصدر وتقديره وعدا الله فهو مصدر يدل معنى الكلام الذى فعله الناصب له وحقا ايضا مصدر مؤكد لما
قبله كانه قال احقه حقا لا احدث فيه ومن اصدق استفهام فيه معنى النفى اى لا احد اصدق من الله قولا فيما اخبر وقد اخبر ووعد فيما وعد
قوله تعالى لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝
وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝ آيتان القرآءة
يدخلون الجنة بضم الياء هنا وفى مريم وحم مكى بصرى وابو جعفر وابو بكر والباقون يدخلون بفتح الياء وضم الخاء الحجة حجة من قرأ
يدخلون قوله ادخلوها بسلام ومن قرأ يدخلون فلانهم لا يدخلونها حتى يدخلوها اللغة الامانى جمع الامنية وهى تقدير الامر فى
النفس على جهة الاستمتاع به ووزن امنية افعولة من المنى واصله التقدير يقال منى له المانى اى قدر له المقدر ومنه سميت المنية
وهى فعلية اى مقدرة والنقير النقبة فى ظهر النواة كان ذلك تعرفيه الاعراب اسم ليس مضمر لدلالة الكلام عليه والتقدير ليس الامر
بامانيكم ولا يجد مجزوم عطفا على الجزاء لا على الشرط وهو قوله يجز والوقف عند قوله اهل الكتاب وقف تام ثم استونف الخبر بعدها بمن
يعمل ومن موضعه رفع بالابتداء على ما تقدم ذكر امثاله ومن فى قوله من الصالحات مزيدة وقيل انه لتبيين الجنس وقال وهو مؤمن فوحد ثم
قال فاولئك يدخلون الجنة فجمع لان من اسم مبهم موحد اللفظ مجموع المعنى فيعود الضمير اليه مرة على اللفظ ومرة على المعنى النزول
قيل تفاخر المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضى على الكتب وديننا الاسلام فنزلت الآية فقال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فانزل الله تعم الاية التى بعدها ومن يعمل من
الصالحات من ذكر وانثى وهو مؤمن ففلج المسلمون عن قتادة والضحاك وقيل لما نزلت قالوا اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقال
اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فانزلت الآية عن مجاهد المعنى لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد قال عقيب
ذلك ليس بامانيكم ومعناه ليس الثواب والعقاب بامانيكم ايها المسلمون عن مسروق والسدى وقيل الخطاب لاهل الشرك من
قريش لانهم قالوا لا نبعث ولا نعذب عن مجاهد وابن زيد ولا امانى اهل الكتاب اى ولا بامانى اهل الكتاب فى انه لا يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى وهذا يقوى القول الاخير على انه لم يجب للمسلمين ذكر فى الامانى وذكر امانى الكفار قد جرى فى قوله ولامنينهم
هذا وقد وعد الله المؤمنين فيما بعد بما هو غاية الامانى من يعمل سوء يجز به اختلف فى تاويله على اقوال احدها انه لا يريد بذلك جميع
المعاصى صغايرها وكبايرها وان من ارتكب شيئا منها فان الله سبحانه يجازيه عليها اما فى الدنيا واما فى الآخرة عن عايشة وقتادة
ومجاهد وروى عن ابى هريرة انه قال لما نزلت هذه الآية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الآية من شئ فقال اما والذى
نفسى بيده انها لكما انزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه لا يصيب احدا منكم مصيبة الا كفر الله بها خطيئة حتى الشوكة يشاكها
احدكم فى قدمه رواه الواحدى فى تفسيره مرفوعا وقال القاضى ابو عاصم القارى فى جميع هذا قطع لتوهم من توهم ان المعصية
لا تضر مع الايمان كما ان الطاعة لا تنفع مع الكفر وثانيها ان المراد به مشركوا قريش واهل الكتاب عن الحسن والضحاك وابن زيد قالوا
نهذا كقوله وهل يجازى الا الكفور وثالثها ان المراد بالسوء ههنا الشرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير ولا يجد له من دون الله
وليا ولا نصيرا معناه ولا يجد الذى يعمل سوء من معاصى الله وخلاف امره وليا يلى امره وينصره ويحامى عنه ويدفع عنه ما ينزل به
من عقوبة الله ولا نصيرا اى ناصرا ينصره وينجيه من عذاب الله ومن استدل بهذه الآية على المنع من جواز العفو عن المعاصى فانا
نقول له ان من ذهب الى ان العموم لا ينفرد بصيغة له فى اللغة مختصة به لا يسلم انها تستغرق من فعل السوء بل يجوز ان المراد

بها بعضهم على ما ذكره اهل التاويل كابن عباس وغيره على انهم قد اتفقوا على ان الآية مخصوصة فان التايب ومن كانت معصيته
صغيرة لا يتناولهما العموم فاذا جاز لهم ان يخصصوا العموم فى الاية بالفريقين جاز لنا ان نخصها بمن يتفضل الله عليه بالعفو وهذا
بين والحمد لله وقوله سبحانه ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن وانما قال وهو مؤمن ليبين ان الطاعة لا تنفع من دون
الايمان فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا وعد الله سبحانه بهذه الآية جميع المكلفين من الرجال والنساء اذا عملوا الاعمال
الصالحة والطاعات الخالصة وهم مؤمنون مصدقون بنبيه صلى الله عليه وآله بانه يدخلهم الجنة وينعمهم فيها ولا يبخسهم شيئا
مما يستحقونه من الثواب وان كان مقدار النقير فى الصغر وقد قابل سبحانه الوعيد العام فى الاية التى قبل هذه التى بالوعد العام
فى هذه الآية ليقف المؤمن بين الخوف والرجاء قوله تعالى وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ۝ آيتان اللغة ع خمس ١٥
الخليل مشتق من الخلة بضم الخاء التى هى المحبة او من الخلة بفتح الخاء التى هى الحاجة وانما استعمل بمعنى الصداقة لان كل واحد من
المتصادقين يسد خلل صاحبه وقيل لان كل واحد منهما يطلع صاحبه على اسراره فكانه فى خلل قلبه وانما استعمل فى الحاجة للاختلال
الذى يلحق الفقير فيما يحتاج اليه ومن قول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غايب مالى ولا حرم وقال الازهرى الخليل
الذى خص بالمحبة يقال دعا فلان فخلل اى خص الاعراب دينا منصوب على التميز وهو مما انتصب بعد تمام الاسم وقوله وهو محسن
جملة فى موضع النصب على الحال وكذلك قوله وهو مؤمن فى الآية التى قبل وحنيفا منصوب على الحال وذو الحال الضمير فى اتبع والمضمر
هو النبى صلى الله عليه وآله ويجوز ان يكون حنيفا حالا من ملة ابراهيم وكان حقه ان يكون فيه الهاء لان فعيلا اذا كان بمعنى
فاعل للمونث يثبت فيه الهاء الا انه قد جاء مجئ ناقة سديس وريح خريق ويجوز ايضا ان يكون حالا من ابراهيم والحال من المضاف
اليه عزيز وقد جاء ذلك فى الشعر قال النابغة بنو عامر خالوا بنى اسد يا بؤس للجهل ضرارا لاقوام اى يا بؤس الجهل فزاد اللام
مقحمها لتوكيد الاضافة وخليلا مفعول ثان لاتخذ المعنى ثم بين سبحانه من استحق الوعيد الذى ذكره قبل فقال ومن احسن دينا
وهو فى صورة الاستفهام والمراد به التقرير ومعناه من اصوب طريقة واهدى سبيلا اى لا احد احسن اعتقادا ممن اسلم وجهه لله
اى استسلم وجهه والمراد بقوله وجهه ههنا ذاته ونفسه كما قال سبحانه كل شئ هالك الا وجهه والمعنى انقاد لله بالطاعة ولنبيه عليه
بالتصديق وقيل معنى اسلم وجهه لله قصده سبحانه بالعبادة وحده كما اخبر عن ابراهيم عليه السلم انه قال وجهت وجهى للذى فطر السموات
الاية وقيل معناه اخلص اعماله لله اى اتى بها مخلصا لله فيها وهو محسن اى فاعل للفعل الحسن الذى امره الله سبحانه وقيل معناه
وهو محسن فى جميع اقواله وافعاله وقيل ان المحسن هنا الموحد وروى ان النبى صلى الله عليه وآله سئل عن الاحسان فقال ان
تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واتبع ملة ابراهيم اى اقتدى بدينه وسيره طريقته يعنى ما كان عليه ابراهيم عليه السلم
وامر به نبيه واوصاهم به من الاقرار بتوحيده وعدله وتنزيهه عما لا يليق به ومن ذلك الصلوة الى الكعبة والطواف حولها وساير
المناسك حنيفا اى مسلما على منهاجه وطريقته وتقدم معنى الحنيف فى سورة البقرة واتخذ الله ابراهيم خليلا اى محبا لا خلل فى مودته
لكمال خلته والمراد بخلته لله انه كان مواليا لاولياء الله ومعاديا لاعداء الله والمراد بخلة الله سبحانه له نصرته على من اراده بسوء
كما انقذه من نار نمرود وجعلها عليه بردا وسلاما كما فعل بملك مصر حين راوده عن اهله وجعله اماما للناس وقدوة لهم قال
الزجاج جاير ان يكون سمى خليلا لله بانه الذى احبه الله بان اصفاه محبة تامة كاملة واحب الله هو محبة تامة كاملة وقيل سمى
خليلا لانه افتقر الى الله سبحانه وتوكل عليه وانقطع بحوايجه اليه وهو اختيار الفراء وابى القسم البلخى وانما خصه الله سبحانه بهذا
الاسم وان كان الخلق كلهم فقراء الى رحمته تشريفا له بالنسبة اليه من حيث انه فقير اليه لا يرجو لسد خلته سواه كما خص موسى
بانه كلم الله وعيسى بانه روح الله ومحمدا صلى الله عليه وآله بانه حبيب الله وقيل انما سمى خليلا لانه سبحانه خصه بما لم يخص به غيره
من انزال الوحى عليه وغير ذلك من خصايصه وانما خصه من بين ساير الانبياء بهذا الاسم على المعنيين اللذين ذكرناهما وان كان
واحد من الانبياء خليل الله فى زمانه لانه سبحانه خصهم بالنبوة وقد روى ان النبى صلى الله عليه وآله قال قد اتخذ الله سبحانه

صاحبكم خليلا يعنى نفسه وهذا الوجه اختيار ابى على الجبائى قال وكل ما تعبد الله تعالى به ابراهيم عليه السلم فقد تعبد به نبينا صلعم
وزاده اشياء لم يتعبد بها ابراهيم عليه السلم ومما قيل فى وجه خلة ابراهيم ما روى فى التفسير ان ابراهيم ع كان يضيف الضيفان ويطعم
المساكين وان الناس اصابهم جدب فارتحل ابراهيم عليه السلم الى خليل له بمصر يلتمس منه طعاما لاهله فلم يصب ذلك عنده
فلما قرب من اهله مر بمفازة ذات رمل لينة فملأ غرايره من ذلك الرمل لئلا يغتم اهله برجوعه من غير ميرة فحول الله سبحانه ما فى
غرايره دقيقا فلما وصل الى اهله دخل البيت ونام استحياء منهم ففتحوا الغراير وعجنوا من الدقيق وخبزوا وقدموا اليه طعاما طيبا
فسالهم عليه السلم من اين خبزوا قالوا من الدقيق الذى جئت به من عند خليلك المصرى فقال اما انه خليلى وليس بمصرى فسماه الله
سبحانه خليلا رواه على بن ابراهيم عن ابيه عن هرون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن ابى عبد الله عليه السلم ثم بين سبحانه انه انما اتخذ
ابراهيم خليلا لطاعته ومسارعته الى رضاه لا لحاجة منه سبحانه الى خلقه فقال ولله ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا
فهو مستغنى عن جميع خلقه محتاجون اليه وكان الله بكل شئ محيطا يعنى لم يزل سبحانه عليما بجميع ما يفعله عباده ومعنى المحيط
الشئ انه العالم به من جميع وجوهه قوله تعالى وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ فِى يَتَامَى
النِّسَاءِ اللَّاتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ اَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَاَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا
تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝ آية اللغة الاستفتاء والاستفتاء بمعنى واحد يقال فاتيته وفاتيته قال الشاعر
تعالوا افاتيكم لاعيا دفقعس الى الجد ادنى ام عشيرة حاتم هكذا انشده الحسن بن على المغربى وهو استفعال من الفتيا وعلى لغته وانتى فى
المسئلة بين حكمها الاعراب وما يتلى عليكم موضعه رفع بالابتداء تقديره الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب ايضا يفتيكم فيهن وقال
الفراء يجوز ان يكون موضعه جرا على الضمير المجرور وقيل يجوز ان يكون عطفا على النساء فى قوله يستفتونك فى يتامى النساء قيل ان تقديره
فى النساء اليتامى فاضيف الصفة الى الموصوف نحو قولك كتاب الكامل ومسجد الجامع ويوم الجمعة وهذا قول الكوفيين وعند المحققين
لا يجوز اضافة الصفة الى الموصوف بل النساء هنا امهات اليتامى اضيفت اليهن اولادهن واقول يجوز ان يضاف اليتامى ايضا فى النساء
اذا كن من جملتهن فتكون الاضافة بمعنى من كما يقال خيار النساء وشرار النساء وصغار النساء وهذا اشبه ما يشاق اليه معنى الآية
والمستضعفين جر عطف على يتامى النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط فى موضع جر ايضا والتقدير وما يتلى عليكم من الآيات فى يتامى
النساء وفى ان تقوموا لليتامى بالقسط يفتيكم ايضا فيهن المعنى ثم عاد كلام الله عز اسمه الى ذكر النساء والايتام وقد جرى ذكرهم فى
اول السورة فقال ويستفتونك اى يسالونك الفتوى وهى تبيين المشكل من الاحكام فى النساء ويستخبرونك يا محمد عن الحكم فيهن
وعما يجب لهن وعليهن وانما حذف ذلك لاحاطة العلم بان السؤال فى امر الدين انما يقع عما يجوز وعما لا يجوز وعما يجب وعما لا يجب
قل الله يفتيكم فيهن معناه قل يا محمد الله يبين لكم ما سالتم فى شانهن وما يتلى عليكم فى الكتاب اى ويفتيكم ايضا ما يقرا عليكم فى الكتاب
اى فى القرآن وتقديره وكتابه يفتيكم اى يبين لكم الفرايض المذكورة فى يتامى النساء اى الصغار اللاتى لم يبلغن وقوله اللاتى
لا تؤتونهن اى لا تعطونهن ما كتب لهن واختلف فى تاويله على اقوال اولها ان المعنى وما يتلى عليكم فى توريث صغار النساء وهى
آيات الفرايض التى فى اول السورة وكان اهل الجاهلية لا يورثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المراة وكانوا يقولون لا نورث الا من
قاتل ودفع عن الحريم فانزل الله آية المواريث فى اول السورة وهى قوله لا تؤتونهن ما كتب لهن اى ما كتب لهن من الميراث عن ابن عباس
وسعيد بن جبير ومجاهد وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وثانيها ان المعنى اللاتى لا تؤتونهن ما وجب لهن من الصداق وكانوا
لا يؤتون اليتامى اللاتى يكون عليهن حق الصداق فنهى الله عز وجل عن ذلك بقوله وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا من غيرهن
ما طاب لكم فقوله وما يتلى عليكم هو ما ذكره فى اول السورة قوله وان خفتم ان لا تقسطوا عن عايشة وهو اختيار ابى على الجبائى واختيار
الطبرى القول الاول واعترض على هذا القول بان قال ليس الصداق مما كتب الله للناس الا بالنكاح فما لم ينكح فلا صداق لها عند احد
وثالثها ان المراد بقوله لا تؤتونهن ما كتب لهن نكاح الذى كتب الله لهن فى قوله وانكحوا الايامى الآية فكان الولى يمنعهن عن التزويج عن
الحسن وقتادة والسدى وابى مالك وابراهيم قالوا كان الرجل فى حجره السيمة بها دمامة ولها مال فكان يرغب عن ان يتزوجها ويحبسها

طمعا ان تموت فيرثها قال السدي وكان جابر بن عبد الله الانصاري له بنت عم عمياء ذميمة قد ورثت عن ابيها مالا فكان جابر يرغب
عن نكاحها ولا ينكحها مخافة ان يذهب الزوج بمالها فسأل النبي عليه السلم عن ذلك فنزلت الآية وقوله وترغبون ان تنكحوهن معناه
على القول الاول والثالث وترغبون ان تنكحوهن اي عن نكاحهن ولا تؤتوهن نصيبهن من الميراث فيرغب فيهن غيركم فقد ظلمتموهن
تزوجوهن وفي قول عايشة وترغبون في ان تنكحوهن اي في نكاحهن لجمالهن ومالهن والمستضعفين من الولدان معناه ويفتيكم
في المستضعفين من الصبيان الصغار ان تعطوهم حقوقهم وكانوا لا يورثون صغيرا من الغلمان ولا من الجواري لان ما يتلى عليكم في باب
اليتامى من قوله وآتوا اليتامى اموالهم يدل على الفتية في اعطاء حقوق الصغار من الميراث وان تقوموا لليتامى بالقسط اي ويفتيكم في ان
تقوموا لليتامى بالعدل في انفسهم وفي مواريثهم واموالهم وتصرفاتهم واعطاء كل ذي حق منهم حقه صغيرا كان او كبيرا ذكرا كان او انثى
وفيه اشارة الى قوله سبحانه وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاية وما تفعلوا من خير اي مهما تفعلوا ايها المؤمنون من عدل وبر في امر النساء
واليتامى وانتهيتم في ذلك الى امر الله وطاعته فان الله كان به عليما اي لم يزل به عالما ولا يزال كذلك يجازيكم ولا يضيع عنده شيء منه
قوله تعالى وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ
الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ آية القراءة قرأ اهل الكوفة ان يصلحا بضم
الياء وكسر اللام وسكون الصاد والباقون يصالحا بتشديد الصاد وفتح اللام والياء الاعراب الاعرف في الاستعمال يصطلحا وزعم سيبويه
ان بعضهم يصطلحا فيصلحا يفتعلا وافتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صحت الواو في اجتوروا واعتوروا وانما كان بمعنى تجاوروا فهذا حجة من قرأ
ان يصالحا ومن قرأ يصلحا قال الاصلاح عند التشاجر قد استعمل كما في قوله سبحانه فاصلح بينهم وقوله صلحا يكون مفعولا على قراءة من قرأ
يصلحا كما تقول اصلحت ثوبا ومن قرأ يصالحا فيجوز ان يكون صلحا مفعولا ايضا لان تفاعل قد جاء متعديا ويجوز ان يكون مصدرا حذفت
زوائده كما قال فان تهلك فذلك كان قدري تقديري ويجوز ان يكون قد وضع المصدر موضع الاسم كما وقع الاسم موضع المصدر
في نحو قوله باكرت حاجتها الدجاج بسحرة وقوله وبعد عطائك المائة الرتاعا اللغة النشوز مر ذكره في هذه السورة والشح افراط في
الحرص على الشيء ويكون بالمال وبغيره من الاعراض يقال هو شحيح بودك اي حريص على دوامها ولا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون بالمال
خاصة قال الشاعر لقد كنت في قوم عليك اشحة بنفسك الا ان من طاح طايح يودون لو خاطوا عليك جلودهم وهل يدفع الموت
النفوس الشحايح الحجة وان امرأة خافت ارتفعت بفعل مضمر يفسره الفعل الظاهر بعدها وهو اضمار قبل الذكر على شريطة
التفسير وتقديره وان خافت ولو قلت ان امرأة تخف فرقت بين ان الجزاء والفعل المستقبل فذلك قبيح لان ان لا يفصل بينها وبين
ما تجزم وذلك في الشعر جائز في ان وغيرها قال الشاعر فمتى واغل ينبهم يحيوه ويعطف عليه كاس الساقي فاما الماضي فان غير عامله
في لفظه وام حروف الجزاء فجاز ان يفرق بينها وبين الفعل واما غير ان فالفصل قبيح فيه مع الماضي والمستقبل جميعا النزول كانت
بنت محمد بن مسلمة عند رافع بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امرأة شابة سواها فطلقها تطليقة حتى اذا بقي
من اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك قالت بل راجعني واصبر على الاثرة فراجعها فذلك
الصلح الذي بلغنا ان الله تعالى انزل فيه هذه الاية عن ابي جعفر عليه السلم وسعيد بن المسيب وقيل خشيت سودة بنت زمعة
ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت لا تطلقني واحبسني ولا تقسم لي واجعل يومي لعايشة فنزلت الاية عن ابن عباس
المعنى لما تقدم حكم نشوز المراة بين سبحانه حكم نشوز فقال وان امرأة خافت اي علمت وقيل ظنت من بعلها اي من زوجها نشوزا
اي استعلاء وارتفاعا بنفسه عنها الى غيرها اما لبغضه واما لكراهية شيء منها اما دمامتها واما كبر سنها او غير ذلك او اعراضا يعني انصرافا
بوجهه او ببعض منافعه التي كانت لها منه وقيل يعني باعراضه عنها هجرانه اياها وجفاءه لها وميله الى غيرها فلا جناح عليهما اي لا حرج
ولا اثم على كل واحد منهما من الزوج والزوجة ان يصالحا بينهما صلحا بان تترك المراة يومها او تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة
او كسوة او غير ذلك تستعطفه بذلك فتديم المقام في حباله والصلح خير معناه والصلح بترك بعض الحق خير من طلب الفرقة بعد الالفة
هذا اذا كان بطيبة من نفسها فان لم يكن كذلك فلا يجوز لها الا ما يسوغ في الشرع من المقام بالكسوة والنفقة والقسمة والا طلقها

وهذه

وبهذه الجملة قال الصحابة والتابعون منهم علي ع وابن عباس وعايشه وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وغيرهم واحضرت الانفس الشح اختلف في تاويله قيل معناه واحضرت الانفس النساء الشح على انصابهن من انفس ازواجهن واموالهن واياهن منهم عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي وقيل معناه واحضرت نفس كل واحد من الرجل والمراة الشح بحقه قبل صاحبه فشح المراة يكون بترك حقها من النفقة والكسوة والقسمة وغيرها وشح الرجل بانفاقه على التي لا يريدها وهذا اعم به قال ابن هاشم وهب وابن زيد وان تحسنوا خطاب للرجال اي ان تفعلوا الجميل بالصبر على من تكرهون من النساء وتتقوا من الجور عليهن في النفقة والكسوة والعشرة بالمعروف وقيل ان تحسنوا في اقوالكم وافعالكم وتتقوا معاصي الله فان الله كان بما تعملون خبيرا اي سبحانه خبير بما يكون منكم في امرهن يحفظه لكم وعليكم حتى يجازيكم باعمالكم قوله تعالى وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا عشر كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ٥ آيتان اللغة الاستطاعة والقوة والقدرة نظاير والسعة خلاف الضيق والواسع في صفات الله تعالى اختلف في معناه فقيل انه واسع العطاء اي الكثير منه وقيل هو واسع الرحمة ويؤيده قوله سبحانه ورحمتي وسعت كل شيء وقيل انه واسع المعنى لما تقدم ذكر النشوز والصلح بين الزوجين عقبه سبحانه بانه لا يكلف من ذلك ما لا يستطاع فقال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ان لن تقدروا ان تسووا بين النساء في المحبة والمودة بالقلب ولو حرصتم على ذلك كل الحرص فان ذلك ليس اليكم ولا تملكونه ولا تكلفونه ولا تواخذون به عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل معناه لن تقدروا ان تعدلوا بالتسوية بين النساء في كل الامور من جميع الوجوه من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبشر والبر وغير ذلك والمراد ان ذلك لا يخف عليكم بل يثقل ويشق لميلكم الى بعضهن فلا تميلوا كل الميل اي فلا تعدلوا بامو الكم عمن لم تملكوا محبته منهن كل العدل حتى يحملكم ذلك على ان يجوروا على صواحبها في ترك اداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة والنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف فتذروها كالمعلقة ان تذروا التي لا تميلون اليها كالتي هي لا ذات زوج ولا ايم عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغيرهم وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلم وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره انه سال رجل من الزنادقة ابا جعفر الاحول عن قوله سبحانه فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ثم قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وبين القولين فرق قال فلم يكن عندي جواب في ذلك حتى قدمت المدينة ودخلت على ابي عبد الله ع فسالته عن ذلك فقال اما قوله فان خفتم الا تعدلوا فانه عنى النفقة واما قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا فانه عنى في المودة فانه لا يقدر احد ان يعدل بين امراتين في المودة قال فرجعت الى الرجل فاخبرته فقال هذا ما حملته من الحجاز وروى ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يقسم بين نسائه ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك وقوله وان تصلحوا يعني في القسمة بين الازواج والتسوية بينهن في النفقة وتتقوا الله في امرهن وتتركوا الميل الذي نهاكم الله عنه في تفضيل واحدة على الاخرى فان الله كان غفورا رحيما يستر عليكم ما مضى منكم من الحيف في ذلك اذا تبتم ورجعتم الى الاستقامة والتسوية بينهن ويرحمكم بترك المواخذة على ذلك وكذلك كان يفعل فيما مضى مع غيركم وروي عن جعفر الصادق ع عن آبائه ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف به بينهن وروي ان عليا عليه السلم كان له امراتان اذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الاخرى وكان معاذ بن جبل له امراتان ماتتا في الطاعون فاقرع بينهما ايهما تدفن قبل الاخرى وقوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته يعني اذا ابى كل واحد من الزوجين مصالحة الاخر بان تطالب المراة بنصيبها من القسمة والنفقة والكسوة وحسن العشرة ويمتنع الزوج من اجابتها الى ذلك ويتفرقا حينئذ بالطلاق فان الله سبحانه يغني كل واحد منهما من سعته اي من سعة فضله ورزقه وكان الله واسعا حكيما اي لم يزل كان واسع الفضل على عباده حكيما فيما يدبرهم به وفي هذه الآية دلالة على ان الارزاق كلها بيد الله وهو الذي يتولاها بحكمته وان كان ربما اجراها على يدي من يشاء من بريته قوله تعالى وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ٥ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ٥ آيتان المعنى ثم ذكر سبحانه بعد اخباره باغناء كل واحد من الزوجين بعد الافتراق من سعة فضله

ن ظ ما الاستطاع

مايوجب الرغبة اليه فى ابتغاء الخير منه قال ولله ما فى السموات وما فى الارض اخبار عن كمال قدرته وسعة ملكه اى فان من يملك ما فى
السموات وما فى الارض لا يتعذر عليه الاغناء بعد الفرقة والايناس بعد الوحشة ثم ذكر الوصية بالتقوى فان بها ينال خير الدنيا
والآخرة فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم واياكم اى ووصيناكم ايضا ايها المسلمون فى
كتابكم ان اتقوا الله وتقديره بان اتقوا الله اى اتقوا عقابه باتقاء معاصيه ولا تخالفوا امره ونهيه وان تكفروا اى تجحدوا وصية اياكم فتخالفوها
فان لله ما فى السموات وما فى الارض لا يضره كفرانكم وعصيانكم وهذه اشارة الى ان امر جميع الامم بطاعته ونهيه اياهم عن معصيته
ليس استكثارا بهم من قلة ولا استنصارا بهم عن ذلة ولا استغناء بهم عن حاجة فان له ما فى الارض ملكا وملكا ولا يلحقه العجز ولا تعتريه
الضعف ولا يجوز عليه الحاجة وانما امرنا ونهانا نعمة منه علينا ورحمة لنا وكان الله غنيا اى لم يزل سبحانه غير محتاج الى خلقه بل الخلائق
كلهم محتاجون اليه حميدا اى مستوجبا الحمد عليكم بصنايعه الحميدة اليكم والائه الجميلة لديكم فاستديموا ذلك باتقاء معاصيه والمسارعة
الى طاعته فيما يامركم به ثم قال ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا اى حافظا لجميعه لا يعزب عنه علم شئ منه ولا يؤده
حفظه وتدبيره ولا يحتاج مع سعة ملكه الى غيره واما وجه التكرار لقوله ولله ما فى السموات وما فى الارض فى الآيتين ثلث مرات
فقد قيل انه للتاكيد والتذكير وقيل انه للابانة عن علل ثلث احدها بيان ايجاب طاعته فيما قضى به لان له ملك السموات والارض
والثانى بيان غناه عن خلقه وحاجتهم اليه واستحقاقه الحمد على النعم لان له ما فى السموات وما فى الارض والثالث بيان حفظه اياهم
وتدبيره لهم لان له ملك السموات والارض قوله تعالى ان يشاء يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا
من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا ٭ آيتان المعنى لما ذكر سبحانه
غناه عن الخلق بان له ملك السموات والارض عقب ذلك بتذكير كمال اقتداره على خلقه وان له الاهلاك والانجاء والاستبدال
بعد الافناء فقال ان يشاء يذهبكم يعنى ان يشاء الله يهلككم ايها الناس ويفنيكم وقيل فيه محذوف اى ان يشاء ان يذهبكم يذهبكم
ويأت بآخرين اى بقوم آخرين غيركم ينصرون نبيه عليه السلم ويوازرونه ويروى انه لما نزلت هذه الآية ضرب النبى صلعم يده على ظهر سلمان
وقال هم قوم هذا يعنى عجم الفرس وكان الله على ذلك قديرا اى لم يزل سبحانه ولا يزال قادرا على الابدال والافناء والاعادة ثم ذكر سبحانه
عظيم ملكه وقدرته بان جزاء الدارين عنده فقال من كان يريد ثواب الدنيا اى الغنيمة والمنافع الدنيوية اخبر سبحانه عمن اظهر الايمان
بمحمد صلعم من اهل النفاق يريد عرض الحيوة الدنيا باظهار ما اظهره من الايمان بلسانه فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اى يملك سبحانه
الدنيا والآخرة فيطلب المجاهد الثوابين عند الله سبحانه عن ابى على الجبائى وقيل انه وعيد للمنافقين وثوابهم فى الدنيا ما ياخذونه من الفئ
والغنيمة اذا شهدوا الحرب مع المسلمين وامنهم على نفوسهم واموالهم وذراريهم وثوابهم فى الآخرة النار وكان الله سميعا بصيرا اى لم يزل
على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات عند الوجود وهذه الصفة هى كونه حيا لا آفة به وقيل انه انما ذكر ذلك
هذا ليبين انه يسمع ما يقوله المنافقون اذا خلوا الى شياطينهم ويعلم ما يسرونه من نفاقهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى
ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ٭ اية القراءة قرا ابن عامر وحمزة ان تلوا بضم اللام وواو واحدة
ساكنة والباقون تلووا بواوين الاولى مضمومة واللام ساكنة الحجة من قرا بواو واحدة فحجته ان يقول انه من الولاية وولاية الشئ
اقبال عليه وخلاف والاعراض عنه فيكون المعنى انه تقبلوا او تعرضوا فان الله خبير باعمالكم يجازى المحسن المقبل باحسانه والمسئ
المعرض باعراضه وتركه الاقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه قال واذا قرات ان تلووا فهو من اللى واللى مثل الاعراض فيكون كالتكرير
الا ترى ان قوله لووا رؤسهم رايتهم يصدون معناه الاعراض وترك الانقياد للحق ومن قرا تلووا من لوى فحجته ان يقول لا ينكر ان يتكرر
اللفظان بمعنى واحد نحو قوله فسجد الملئكة كلهم اجمعون وقال الشاعر وهند اتى من دونها النأى والبعد وقول الآخر والفى قولها كذبا
ومينا وقيل ان تلوا يجوز ان يكون تلووا وان الواو التى هى عين همزة لانضمامها كما همزت فى ادؤر ثم طرحت الهمزة والقيت حركتها
على اللام التى هى فاء فصار تلوا كما تطرح الهمزة ادؤر فتلقى حركتها على الدال فيصير ادر اللغة القسط والاقساط العدل يقال اقسط الرجل

نصف الحزب

١٦

اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط الرجل يقسط قسوطا اذا جار ويقال قسط البعير يقسط قسطا اذا يبس يده ويد قسطاء اي
يابسة فكان بمعنى اقسط اقام الشيء على حقيقته في التعديل وكان قسط اي جار معناه يبس الشيء اذا افسد جهته المستقيمة والقوام فعال
من القيام وهو ان يكون عادته القيام والّي الدفع يقال لويت فلانا حقه اذا دفعته ومطلته ومنه الحديث لي الواجد ظلم اي مطل
الغني جور. الاعراب شهداء نصب على الحال من الضمير في قوله قوامين وهو ضمير الذين آمنوا ويجوز ان يكون خبر كان على ان لها
خبرين نحو هذا حلو حامض ويجوز ان يكون صفة لقوامين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما لم يقل به لانه اراد فالله اولى بغنى الغني
وفقر الفقير لان ذلك منه سبحانه وقيل انما ثنى الضمير لان او في هذا الموضع بمعنى الواو وقيل انه سبحانه لم يقصد غنيا بعينه ولا فقيرا
بعينه فهو مجهول وما ذلك حكمه يجوز ان يعود اليه الضمير بالتوحيد والتثنية والجمع وقد ذكره الله في القرآن اي فالله اولى بهم وقيل انما
قال بهما لانهما قد ذكرا كما قال وله اخ او اخت فلكل واحد منهما وقيل انما جاز ذلك لانه اضمر من خاصم على ما تذكره في المعنى مشروحا وان
تعدلوا يجوز ان يكون في موضع نصب بانه مفعول له اي هل باس ان تعدلوا او كراهة ان تعدلوا ويجوز ان يكون في موضع جر على معنى
فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا المعنى لما ذكر سبحانه ان عنده ثواب الدنيا والآخرة عقبه بالامر بالقسط والقيام بالحق وترك الميل والجور فقال
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط اي دائمين على القيام بالعدل معناه ولتكن عادتكم القيام بالعدل في القول والعمل شهداء لله
وهو جمع شهيد امر الله سبحانه عباده بالثبات والدوام على قول الشهادة على من كانت ولمن كانت من قريب او بعيد ولو على انفسكم اي
ولو كانت شهادتكم على انفسكم او الوالدين والاقربين اي على والديكم وعلى اقرب الناس اليكم فقوموا فيها بالقسط والعدل واقيموها على
الصحة والحق فلا تميلوا فيها لغنى ولا فقر فقير فان الله تعالى قد سوى بين الغني والفقير فيما الزمكم من اقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل
وفي هذا دلالة على جواز شهادة الولد لوالده والوالد لولده وعليه وشهادة كل ذي قرابة لقريبه وعليه والى هذا ذهب ابن عباس في قوله امر الله
سبحانه المؤمنين ان يقولوا الحق ولو على انفسهم او آبائهم وابنائهم ولا يحابوا غنيا لغناه ولا مسكينا لمسكنته وقال ابن شهاب الزهري كان
سلف المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيما بعدهم فظهرت منهم امور حملت الولاة على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم واما
شهادة الانسان على نفسه فيكون بالاقرار للخصم فاقراره له شهادة منه على نفسه وشهادته لنفسه لا تقبل ان يكن غنيا او فقيرا معناه ان
يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا والمشهود له غنيا او فقيرا فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق والشهادة بالصدق وفايدة ذلك ان الشاهد ربما
امتنع عن الشهادة للغني على الفقير لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه فلا يقيم الشهادة شفقة على الفقير وربما امتنع عن اقامة الشهادة
للفقير على الغني تهاونا للفقير وتوقيرا للغني او خشية منه او خشية له فبين سبحانه بقوله فالله اولى بهما انه اولى بالغني والفقير وانظر لهما
من ساير الناس اي فلا تمتنعوا من اقامة الشهادة على الفقير شفقة عليه ونظرا له ولا من اقامة الشهادة للغني لاستغنائه عن المشهود به
فان الله تعالى امركم بذلك مع علمه بغنى الغني وفقر الفقير فراعوا امره كما امركم به فانه اعلم بمصالح العباد منكم فلا تتبعوا الهوى يعني
هوى الانفس في اقامة الشهادة فتشهدوا على انسان لاحنة بينكم وبينه او وحشة او عصبية وتمنعوا الشهادة له لاحد هذه المعاني
او تشهدوا لانسان بغير حق لميلكم اليه بحكم صداقة او قرابة ان تعدلوا اي لان تعدلوا او لاجل ان تعدلوا في الشهادة قال الفراء هذا كقولهم
لا تتبع هواك لترضي ربك اي كيما ترضي ربك وقيل انه من العدول الذي هو الميل والجور ومعناه لا تتبعوا الهوى في ان تعدلوا عن الحق
او لان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي تميلوا في اداء الشهادة او تعرضوا عن ادائها عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان الخطاب للحكام اي
وان تلووا ايها الحكام في الحكم لاحد الخصمين على الآخر او تعرضوا عن احدهما الى الآخر عن ابن عباس ايضا وعن السدي وقيل معناه ان تلووا
اي تبدلوا الشهادة او تعرضوا اي تكتموها عن ابن زيد والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر عم فان الله كان بما تعملون خبيرا معناه انه كان
عالما بما يكون منكم من اقامة الشهادة او تحريفها والاعراض عنها وفي هذه الآية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسلوك
طريقة العدل في النفس والغير وقد روي عن ابن عباس في معنى قوله وان تلووا او تعرضوا انهما الرجلان يجلسان بين يدي القاضي
فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما على الآخر قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا آية القراءة

قرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نزل وانزل بالضم وكسر الزاء والباقون نزل وانزل بفتحها الحجة
من قرا بالضم فحجته قوله سبحانه لتبين للناس ما نزل اليهم ويعلمون انه منزل من ربك بالحق ومن قرا نزل وانزل فحجته انا نحن نزلنا الذكر
وانزلنا اليك الذكر المعنى يا ايها الذين آمنوا امنوا بالله ورسوله قيل فيه ثلثة اقوال احدها وهو الصحيح المعتمد عليه ان معناه يا ايها
الذين آمنوا في الظاهر بالاقرار بالله ورسوله امنوا في الباطن ليوافق ظاهركم باطنكم ويكون الخطاب للمنافقين الذين كانوا يظهرون
خلاف ما يبطنون والكتاب الذي نزل على رسوله هو القرآن والكتاب الذي انزل من قبل وهو التورية والانجيل عن الزجاج وغيره
وثانيها ان يكون الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهرا وباطنا فيكون معناه اثبتوا على هذه الايمان في المستقبل وداوموا عليه ولا
تنقلوا عنه عن الحسن واختاره الجبائي قال لان الايمان الذي هو التصديق لا يبقى وانما يستمر بان يجدده الانسان حالا بعد حال وثالثها
ان الخطاب لاهل الكتاب امروا بان يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله والكتاب الذي انزل عليه كما امنوا بما معهم من الكتب ويكون
في قوله والكتاب الذي انزل من قبل اشارة الى ما معهم من التورية والانجيل ويكون وجه امرهم بالتصديق بهما وان كانوا
مصدقين بهما احد امرين اما ان يكون لان التورية والانجيل فيهما صفات نبينا صلى الله عليه وآله وتصديقه وتصحيح نبوته فمن لم
يصدقه ولم يصدق القرآن لا يكون مصدقا بهما لان في تكذيبه تكذيب التورية والانجيل واما ان يكون الله تعالى امرهم بالاقرار
بمحمد صلى الله عليه وآله وبالقرآن وبالكتاب الذي انزل من قبل وهو الانجيل وذلك لا يصح الا بالاقرار بعيسى عليه السلام ايضا وانه نبي مرسل
ويعضد هذا الوجه ما روي عن عبد الله بن عباس انه قال ان الاية نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني
كعب وثعلبة بن قيس وابن اخت عبد الله بن سلام ويامين بن يامين وهؤلاء من كبار اهل الكتاب قالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب ومن سواهم من الرسل فقيل لهم بل آمنوا بالله ورسوله الآية فامنوا كما امرهم الله تعالى
ومن يكفر بالله اي يجحده او يشبهه بخلقه او يرد امره ونهيه وملائكته اي لا يثبتهم او ينزلهم منزلة لا يليق بهم كما قالوا انهم بنات الله
وكتبه فيجحدها ورسله فينكرهم واليوم الآخر اي يوم القيمة فقد ضل ضلالا بعيدا اي ذهب عن الحق وعن قصد السبيل ذهابا بعيدا
وقال الحسن الضلال البعيد هو ما لا استيلاف له والمعنى ان من كفر بمحمد وجحد نبوته فكانه جحد جميع ذلك لانه لا يصح ايمان احد من
الخلق بشيء من امر الله الايمان به وبما انزله الله عليه وفي هذا تهديد لاهل الكتاب واعلام لهم ان اقرارهم بالله ووحدانيته وملائكته
ورسله وكتبه واليوم الآخر لا ينفعهم مع جحدهم نبوة محمد صلى الله عليه وآله فيكون وجوده وعدمه سواء النظم وجه اتصال
الاية بما قبلها ان الله سبحانه لما بين الاسلام عقبه بالدعاء الى الايمان وشرايطه وقيل انها تتصل بقوله كونوا قوامين بالقسط والقيام
بالقسط هو الايمان على الوجه المذكور قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًا ۝ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ
الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝ ثلث آيات اللغة اصل البشارة الخبر السار الذي يظهر به السرور في بشرة الوجه ثم يستعمل في الخبر
الذي يغم ايضا ووضع اخبارهم بالعذاب موضع البشارة لهم والعرب تقول تحيتك الضرب وعتابك السيف اي تضع الضرب
موضع التحية والسيف موضع العتاب قال الشاعر وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع العزة الشدة ومنه قيل
للارض الصلبة الشديدة عزاز ومنه قيل عز علي ان يكون كذا اي اشتد علي وعز الشيء اذا اصعب وجوده واشتد حصوله واعز فلان
بفلان اذا اشتد ظهره به والعزيز القوي المنيع بخلاف الذليل المعنى ثم قال سبحانه ان الذين امنوا ثم كفروا قيل في معناه اقوال احدها
انه عنى به ان الذين امنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل وغير ذلك ثم امنوا يعني النصارى بعيسى ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرا بمحمد ص
عن قتادة وثانيها ان المراد امنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وآله عن الزجاج
والفراء وثالثها انه عنى به طائفة من اهل الكتاب ارادوا تشكيك نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فكانوا يظهرون الايمان
بحضرتهم ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة اخرى فيكفرون ثم ازدادوا كفرا بالثبات عليه الى الموت عن الحسن وذلك معنى قوله تعالى
وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ورابعها ان المراد به

ثم امنوا ثم كفروا

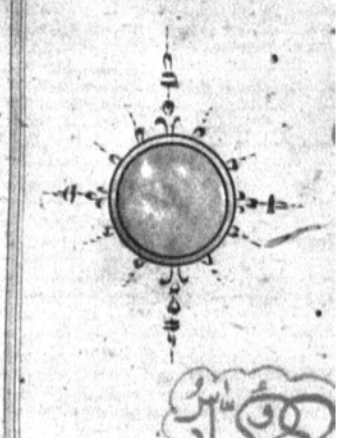
المنافقين امنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا على كفرهم عن مجاهد وابن زيد وقال ابن عباس دخل في هذه الاية كل منافق كان في
عهد النبي صلى الله عليه وآله في البر والبحر لم يكن الله ليغفر لهم باظهارهم الايمان قد كانت بواطنهم كظواهرهم في الايمان لما كفروا فيما بعد
ولا ليهديهم سبيلا معناه ولا يهديهم الى سبيل الجنة كما قال فيما بعد ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم ويجوز ان يكون المعنى انه يخذلهم
ولا يلطف لهم عقوبة لهم على كفرهم المتقدم ثم قال سبحانه بشر المنافقين اى اخبرهم يا محمد بان لهم في الاخرة عذابا اليما وجيعا ان ماتوا
على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآية دلالة على ان الاية المتقدمة نزلت في شان المنافقين وانه الاصح من الاقوال المذكورة ثم وصف
هؤلاء فقال الذين يتخذون الكافرين اى مشركي العرب وقيل اليهود اولياء اى ناصرين ومعينين واخلاء من دون المؤمنين
اى من غيرهم ايبتغون عندهم العزة اى يطلبون عندهم العزة اى القوة والمنعة باتخاذهم هؤلاء اولياء من دون اهل الايمان
بالله تعالى ثم اخبر سبحانه ان العزة والمنعة فقال فان العزة لله جميعا يريد سبحانه انهم لو امنوا مخلصين له وطلبوا الاعزاز بالله و
رسوله وبدينه والمؤمنين لكان ذلك اولى بهم من الاعتزاز بالمشركين فان العزة باجمعها لله سبحانه ومن عنده يعز من يشاء ويذل من يشاء
قوله تعالى وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا آية القراءة قرا عاصم ويعقوب
نزل بالفتح والباقون بضم النون وكسر الزاء الحجة والوجه في القراءتين ما ذكرناه قبل الاعراب اذا قرأت نزل بالفتح فان في موضع
نصب لان تقديره نزل الله ذلك واذا قرأت نزل فان في موضع رفع فان هذه هي المخففة من الثقيلة النزول كان المنافقون
يجلسون الى احبار اليهود فيسخرون من القرآن فنهاهم الله سبحانه عن ذلك عن ابن عباس المعنى لما تقدم ذكر المنافقين وموالاتهم
للكفار عقب ذلك بالنهي عن مجالستهم ومخالطتهم فقال وقد نزل عليكم في الكتاب اى في القرآن ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ
بها اى يكفر بها المشركون والمنافقون ويستهزؤن بها فلا تقعدوا معهم اى مع هؤلاء المستهزئين الكافرين حتى يخوضوا في حديث غيره
اى حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بالدين وقيل يرجعون الى الايمان ويتركوا الكفر والاستهزاء والمنزل في الكتاب هو قوله سبحانه
في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وفي هذا دلالة على تحريم مجالسة
الكفار عند كفرهم بآيات الله واستهزائهم بها وعلى اباحة مجالستهم عند خوضهم في حديث غيره وروي عن الحسن ان اباحة القعود
مع الكفار عند خوضهم في حديث آخر عن كفرهم واستهزائهم بالقرآن منسوخ بقوله تعالى فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين انكم
اذا مثلهم يعني انكم اذا جالستموهم على الخوض في كتاب الله والهزء به فانتم مثلهم وانما حكم بانهم مثلهم لانهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم
على الانكار ولم يظهروا الكراهية لذلك ومتى كانوا راضين بالكفر كانوا كفارا لان الرضا بالكفر كفر وفي الآية دلالة على وجوب انكار
المنكر مع القدرة على ذلك وزوال العذر وان من ترك مع القدرة عليه فهو مخطئ واثم وفيها ايضا دلالة على تحريم مجالسة الفساق
والمبتدعين من اى جنس كانوا وبه قال جماعة من المفسرين وذهب اليه عبد الله بن مسعود وابراهيم وابو وائل قال ابراهيم ومن ذلك
اذا تكلم الرجل في مجلس بكذب فيضحك منه جلساؤه فيسخط الله عليهم وبه قال عمر بن عبد العزيز وروى انه ضرب من كان قاعدا
مع قوم يشربون الخمر وروى العياشي باسناده عن علي بن موسى الرضا في تفسير هذه الآية قال اذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به
ويقع في اهله فقم عنه ولا تقاعده وروى عن ابن عباس انه قال امر الله سبحانه في هذه الآية بالاتفاق ونهى عن الاختلاف والفرقة
والمراء والخصومة وبه قال الطبري والبلخي والجبائي وجماعة من المفسرين وقال الجبائي اما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم
ولا يقدر على انكاره فليس بمحظور وانما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهة لما يسمعه او يراه قال وفي الاية دلالة على بطلان قول
معاه الاعراض وقولهم ليس ههنا شيء غير الاجسام لانه قال حتى يخوضوا في حديث غيره فاثبت غيرا لما كانوا فيه وذلك هو العرض
ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اى ان الله يجمع الفريقين من اهل الكفر والنفاق في القيامة في النار والعقوبة
فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين والمظاهرة عليهم قوله تعالى الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا
أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ

عشر

للكافرين على المؤمنين سبيلا ● اية اللغة التربص الانتظار والاستحواذ الغلبة والاستيلاء يقال حاذ الحمار اتنه اذا استولى عليها
وجمعها وكذلك حاذها قال العجاج يصف ثورا وكلابا يحوذهن وله حوذى ويوى عوزهن وله حوزى واستحوذ مما خرج على اصله فمن
قال احاذ يحيد لم يقل الا استحاذ يستحيذ ومن قال احوذ كما قيل احوذت واطيب فاخرجه على الاصل قال استحوذ والجاد المنكمش
الحنيف في اموره المعنى ثم وصف الله سبحانه المنافقين والكافرين فقال الذين يتربصون بكم اى ينتظرون لكم ايها المؤمنون
لانهم كانوا يقولون سيهلك محمد واصحابه ونستريح منهم ويظهر قومنا وديننا فان كان لكم فتح من الله اى فان اتفق لكم فتح وظفر
على الاعداء قالوا الم نكن معكم نجاهد عدوكم ونغزوهم معكم فاعطونا نصيبا من الغنيمة فانا شهدنا القتال وان كان للكافرين
نصيب اى حظ باصابتهم من المؤمنين قالوا يعنى المنافقين اى قال المنافقون للكافرين الم نستحوذ عليكم اى الم نغلب عليكم عن
السدى ومعناه الم نغلبكم على رايكم بالموالاة لكم ونمنعكم من الدخول فى جملة المؤمنين وقيل معناه الم نبين لكم انا على ما انتم عليه اى الم
نضمكم الى انفسنا ونطلعكم على اسرار محمد واصحابه ونكتب اليكم باخبارهم حتى غلبتم عليهم فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم عن الحسن وابن
جريج ونمنعكم من المؤمنين اى ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخذيلنا اياهم عنكم وكوننا عيونا لكم حتى انصرفوا عنكم وغلبتموهم فالله يحكم
بينكم يوم القيمة هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بانه الذي يحكم بين الخلايق يوم القيامة ويفصل بينهم يوم بالحق ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا قيل فيه اقوال احدها ان المراد لن يجعل الله لليهود على المؤمنين نصرا ولا ظهورا عن ابن عباس وقيل لا يجعل
للكافرين على المؤمنين سبيلا بالحجة وان جاز ان يغلبوهم بالقوة لكن المؤمنين منصورون بالدلالة والحجة عن السدى والزجاج
والبلخى قال الجبائى ولو حملناه على الغلبة لكان ذلك صحيحا لان غلبة الكفار للمؤمنين ليس مما فعله الله تعالى فانه لا يفعل القبيح
وليس كذلك غلبة المؤمنين للكافرين فانه يجوز ان ينسب اليه سبحانه وقيل لن يجعل لهم فى الآخرة عليهم سبيلا لانه مذكور
عقيب قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة بين الله سبحانه انه ان ثبت لهم سبيل على المؤمنين فى الدنيا بالقهر والقتل والنهب
والاسر وغير ذلك من وجوه الغلبة فليس يجعل لهم يوم القيامة عليهم سبيلا بحال قوله تعالى إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ
اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا
إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ● آيتان القرآءة وفى الشواذ قراءة عبد الله بن ابى اسحق ع ١٧
يرءّون مثل يرعّون والقرآءة المشهورة يراءون مثل يراعون وقراءة ابن عباس مذبذبين بكسر الذال الثانية الحجة قال ابن
جنى يرءّون يفعلون من رأيت ومعناه يبصرون الناس ويحملونهم على ان يروهم ويراءون معناه يحملونهم على ان يروهم قال الشاعر
ترى او تراءى عند معقد غرزها تهاويل من اجلاد هر مؤوم وقوله مذبذبين مثل قول الشاعر مسيرة شهر للبريد المذبذب
اى المهتز القلق الذي لا يثبت فى مكان فكذلك هؤلاء اللغة يقال ذبذبته فتذبذب اى حركته فتحرك وهو تحريك شيء
معلق قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب الاعراب كسالى منصوب على الحال من الواو
فى قاموا ومذبذبين نصب على الحال من المنافقين المعنى ثم بين سبحانه افعالهم القبيحة فقال ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم قد ذكرنا معناه فى اول البقرة وعلى الجملة خداع المنافقين الله اظهارهم الايمان الذى حقنوا به دماءهم واموالهم
وقيل معناه يخادعون الله اى يخادعون النبى صلى الله عليه وآله كما قال انما يبايعون الله فسمى مبايعة النبى مبايعة لله للاختصاص
وكان ذلك بامره عن الحسن والزجاج ومعنى خداع الله اياهم ان يجازيهم على خداعهم كما قلناه فى قوله الله يستهزئ بهم وقيل هو
حكمه بحقن دمائهم مع علمه بباطنهم وقيل هو ان يعطيهم الله نورا يوم القيمة يمشون به مع المسلمين ثم يسلبهم ذلك النور ويضرب
بينهم بسور عن الحسن والسدى وجماعة من المفسرين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى اى متثاقلين يراءون الناس يعنى
انهم لا يعملون شيئا من اعمال العبادات على وجه التقرب الى الله وانما يفعلون ذلك اتقاء على انفسهم وحذرا من القتل وسلب
الاموال اذا رآهم المسلمون صلوا ليريهم انهم يدينون فى تدينهم وان لم يرهم احد لم يصلوا وبه قال قتادة وابن زيد وروى
العياشى باسناده عن مسعدة بن زياد عن ابى عبد الله عليه السلام عن آبائه ان رسول الله صلى الله عليه وآله فيم النجاة غدا قال

النجاة ان لا تخادعوا الله فيخدعكم فانه من يخادع الله يخدعه وينفسه يخدع لو يشعر فقيل له وكيف يخادع الله قال تعمل بما امرك الله ثم تريد
به غيره فاتقوا الرياء فانه شرك بالله ان المرائي يوم القيامة يدعى باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل اجرك
فلا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له صدق ع ولا يذكرون الله الا قليلا اى ذكرا قليلا ومعناه لا يذكرون الله عن نية
واخلاص ولو ذكروه مخلصين لكان كثيرا وانما وصف بالقلة لانه لغير الله عن الحسن وابن عباس وقيل لا يذكرون الا ذكرا يسيرا نحو
التكبير والاذكار التى يجهر بها ويتركون التسبيح وما يخافت به من القراءة وغيرها عن ابى على الجبائى وقيل انما وصف الذكر بالقلة لانه
سبحانه لم يقبله وكلما رده الله فهو قليل مذبذبين بين ذلك اى مرددين بين الكفر والايمان يريد كانه فعل بهم ذلك وان كان
الفعل لهم على الحقيقة وقيل مذبذبين مطرودين من هؤلاء ومن هؤلاء من الذب الذى هو الطرد وصفهم سبحانه بالحيرة فى دينهم
وانهم لا يرجعون الى صحة نية لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع الكافرين على جهالة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان مثلهم
مثل الشاة العايرة بين الغنمين تتحير فتنظر الى هذه والى هذه لا تدرى ايهما تتبع لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اى لا مع هؤلاء فى
الحقيقة ولا مع هؤلاء يظهرون الايمان كما يظهره المؤمنون ويضمرون الكفر كما يضمره المشركون فلم يكونوا مع احد الفريقين فى الحقيقة
فان المؤمنين يضمرون الايمان كما يظهرونه والمشركون يظهرون الكفر كما يضمرونه ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى طريقا ومذهبا
وقد مضى ذكر الاضلال مشروحا فى سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين فلا معنى لاعادته قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ
مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ثلث آيات القراءة قرا اهل الكوفة الا ابا بكر الدرك بسكون الراء
والباقون الدرك بفتحها الحجة هما لغتان كالنهر والنهر والسمع والقصر والقصص اللغة السلطان الحجة قال الزجاج وهو
يذكر ويؤنث قالوا قضيت عليك بالسلطان واتك به السلطان ولم يأت فى القرآن الا مذكرا وقيل للامير سلطان ومعناه ذو الحجة
واصل الدرك الحبل الذى يوصل به الرشاء ويعلق به الدلو ثم لما كان فى النار سفال من جهة الصورة والمعنى قيل درك ودرك
وجمع الدرك ادراك ودرك وجمع الدرك ادرك المعنى ثم نهى سبحانه عن موالاة المنافقين فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الكافرين اولياء اى انصارا من دون المؤمنين فتكونوا مثلهم اتريدون ان تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا اى حجة ظاهرة وهو استفهام
يراد به التقرير وفيه دلالة على ان الله تعالى لا يعاقب احدا الا بعد قيام الحجة عليه والاستحقاق وانه لا يعاقب الاطفال بذنوب
الاباء وانه كان حجة له سبحانه على الخلق لولا معاصيهم قال الحسن معناه اتريدون ان تجعلوا الله سبيلا الى عذابكم بكفركم و
تكذيبكم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار اى من الطبق الاسفل من النار فان النار طبقات ودركات كما ان الجنة
درجات فيكون المنافق فى اسفل طبقة منها لقبح فعله عن ابن كثير وابى عبيدة وجماعة وقيل ان المنافقين فى توابيت من حديد
مغلقة عليهم فى النار عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وقيل ان الادراك يجوز ان تكون منازل بعضها اسفل من بعض
بالمسافة ويجوز ان يكون ذلك اخبارا عن بلوغ الغاية فى العقاب كما يقال ان السلطان بلغ فلانا الحضيض وبلغ فلانا العرش
يريدون بذلك انحطاط المنزلة وعلوها لا المسافة عن ابى القسم البلخى ولن تجد لهم نصيرا ولا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم
فينقذهم من عذاب الله اذ جعلهم فى اسفل طبقة من النار ثم استثنى سبحانه فقال الا الذين تابوا من نفاقهم واصلحوا نياتهم وقيل
ثبتوا على التوبة فى المستقبل واعتصموا بالله اى تمسكوا بكتاب الله وصدقوا رسله وقيل وثقوا بالله واخلصوا دينهم لله اى تبرؤا من
الالهة والانداد وقيل طلبوا بايمانهم رحمة الله ومعناه مخلصين عن الحسن فاولئك مع المؤمنين فانهم اذا فعلوا ذلك يكونون مع
المؤمنين فى الجنة ومحل الكرامة وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما سوف كلمة ترجية وعدة واطماع وهى من الله سبحانه ايجاب
لانه سبحانه اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز ولم يشترط على غير المنافقين فى التوبة من الاصلاح والاعتصام ما شرط عليهم ثم شرط
عليهم بعد ذلك الاخلاص لان المنافقين النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب ثم قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل

فاملك المؤمنون او من المؤمنين غيظا عليهم ثم اتى بلفظ سوف في اجر المؤمنين لانضمام المنافقين اليهم هذا اذا عنى به جميع
المؤمنين من تقدم منه الكفر ولم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد به زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق قوله تعالى
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما • آية المعنى خاطب سبحانه بهذه الآية المنافقين تابوا و
آمنوا واصلحوا اعمالهم ما يفعل الله بعذابكم اى ما يصنع الله بعذابكم والمعنى لا حاجة الى عذابكم وجعلكم فى الدرك الاسفل من جهنم لانه
لا يجتلب بعذابكم نفعا ولا يدفع به عن نفسه ضررا اذهما مستحيلان عليه ان شكرتم اى اديتم الحق الواجب لله عليكم وشكرتموه على نعمه
وآمنتم به وبرسوله واقررتم بما جاء به من عنده وكان الله شاكرا عليما يعنى لم يزل الله سبحانه مجازيا لكم على الشكر فسمى الجزاء باسم المجزى عليه
عليما بما يستحقونه من الثواب على الطاعات فلا يضيع عنده شئ عن قتادة وغيره وقيل معناه انه يشكر القليل من اعمالكم ويعلم
ما ظهر وما بطن من افعالكم واقوالكم ويجازيكم عليها وقال الحسن ومعناه انه يشكر خلقه على طاعتهم مع غناه عنها فيعلم باعمالهم
قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما • ان تبدوا خيرا او تخفوه او
تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا • آيتان القراءة القراءة على ضم الظاء من ظلم وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير و
الضحاك وعطاء بن السايب وغيرهم الا من ظلم بفتح الظاء واللام الحجة قال ابن جنى ظلم وظلم جميعا على الاستثناء المنقطع اى
لكن من ظلم فان الله لا يخفى عليه امره ودل عليه قوله وكان الله سميعا عليما وموضع من نصب فى الوجهين جميعا قال الزجاج فيكون
المعنى لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيا ولكن الظالم يجهر بذلك ظلما وقال يجوز ان يكون موضع من رفعا على معنى لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول الا المظلوم قال وفيها وجه آخر لا اعلم احدا من النحويين ذكره وهو ان يكون على معنى لكن الظالم اجهروا له بالسوء
من القول المعنى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول فى معناه اقوال احدها لا يحب الله الشتم فى الانتصار الا من ظلم فلا باس ان
ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به فى الدين عن الحسن والسدى وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم ونظيره وانتصروا من بعد ما
ظلموا قال الحسن ولا يجوز للرجل اذا قيل له يا زانى ان يقابل بمثل ذلك من انواع الشتم وثانيها ان معناه لا يحب الله الجهر بالدعاء
على احد الا ان يظلم انسان فيدعوا على من ظلمه فلا يكره ذلك عن ابن عباس وقريب منه قول قتادة يكره رفع الصوت بما يسوء
الغير الا المظلوم يدعوا على من ظلم وثالثها ان المراد لا يحب ان يذم احد احدا او يشكوه او يذكره بالسوء الا ان يظلم فيجوز له ان يشكو
ظالمه ويظهر امره ويذكره بسوء ما قد صنعه ليحذره الناس عن مجاهد وروى عن ابى عبد الله عليه السلم ان الضيف ينزل بالرجل
فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه فى ان يذكر سوء ما فعله وكان الله سميعا عليما يعنى سميعا لما يجهر به من سوء القول عليما بصدق
الصادق وكذب الكاذب فيجازى كلا بعمله وفى هذه الآية دلالة على ان الرجل اذا هتك ستره واظهر فسقه جاز اظهار ما فيه وقد
جاء فى الحديث قولوا فى الفاسق ما فيه يعرفه الناس ولا غيبة لفاسق وفيها ترغيب فى مكارم الاخلاق ونهى عن كشف عيوب
الخلق واخبار بتنزيه ذاته عن ارادة القبايح فان المحبة اذا تعلقت بالفعل فمعناها الارادة ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال
ان تبدوا اى تظهروا خيرا اى حسنا جميلا من القول لمن احسن اليكم شكرا له على انعامه عليكم او تخفوه اى تتركوا اظهاره وقيل معناه
ان تفعلوا خيرا او تعزموا عليه وقيل يريد بالخير المال اى تظهروا صدقة او تخفوها او تعفوا عن سوء معناه او تصفحوا عمن اساء اليكم مع القدرة
على الانتقام منه فلا تجهروا له بالسوء من القول الذى اذنت لكم فى ان تجهروا به فان الله كان عفوا اى صفوحا عن خلقه يصفح لهم
عن معاصيهم قديرا اى قادرا على الانتقام منهم وهذا حث منه سبحانه خلقه على العفو عن المسئ مع القدرة على الانتقام والمكافاة
فانه سبحانه مع كمال قدرته يعفو عنهم ذنوبا اكثر من ذنب من يسئ اليهم وقد تضمنت الآية التى قبلها اباحة الانتصاف من الظالم
بشرط ان يقف فيه على حد الظلم وموجب الشرع النظم الوجه فى اتصال الآية الاولى بما قبلها انه لما سبق ذكر اهل النفاق وهو
الاظهار خلاف الابطان بين سبحانه ليس كل ما يقع فى النفس يجوز اظهاره فانه ربما يكون ظنا فاذا تحقق ذلك اظهره عن على بن عيسى
قوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا • اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا • والذين آمنوا بالله



ورسله

وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ثلث آيات القراءة قرأ حفص
يؤتيهم بالياء والباقون نؤتيهم بالنون الحجة حجة حفص قوله سوف يؤتى الله المؤمنين وحجة من قرأ نؤتيهم والمؤمنين فقال
ان الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اى يكذبوا رسل الله الذين ارسلهم الى
خلقه واوحى اليهم وذلك يعنى ارادتهم التفريق بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اى يقولون نصدق بهذا و
نكذب بهذا كما فعلت اليهود صدقوا بموسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بعيسى ومحمد ص وكما فعلت النصارى صدقوا عيسى ومن
تقدمه من الانبياء وكذبوا محمدا ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اى طريقا الى الضلالة التى احدثوها والبدعة التى ابتدعوها
يدعون جهال الناس اليه اولئك هم الكافرون حقا اى هؤلاء الذين اخبرنا عنهم بانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض هم الكافرون
حقيقة فاستيقنوا ذلك ولا ترتابوا بدعواهم انهم يقرون بما زعموا انهم يقرون به من الكتب والرسل فانهم لو كانوا صادقين فى ذلك
لصدقوا جميع رسل الله وانما قال سبحانه هم الكافرون حقا على وجه التاكيد لئلا يتوهم متوهم ان قولهم نؤمن بالبعض يخرجهم من
حيز الكفار ويلحقهم بالمؤمنين واعتدنا اى اعددنا وهيأنا للكافرين عذابا مهينا يهينهم ويذلهم والذين آمنوا بالله ورسله اى صدقوا
الله ووحدوه واقروا بنبوة رسله ولم يفرقوا بين احد منهم بل آمنوا بجميعهم اولئك سوف نؤتيهم اى سنعطيهم اجورهم سمى الله سبحانه
الثواب اجرا دلالة على انه مستحق اى نعطيهم ثوابهم الذى استحقوه على ايمانهم بالله ورسله وكان الله غفورا رحيما اى لم يزل كان غفورا
لمن هذه صفتهم ما سلف لهم من المعاصى والآثام رحيما متفضلا عليهم بانواع الانعام هاديا لهم الى دار السلام قوله تعالى
يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا
وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا
آيتان القراءة قرأ اهل المدينة لا تعدّوا بتسكين العين وتشديد الدال وروى ورش عن نافع لا تعَدّوا بفتح العين وتشديد
الدال وقرأ الباقون لا تعدوا خفيفة الحجة من قرأ لا تعدّوا فاصله لا تعتدوا فادغم التاء فى الدال لتقاربهما ولان الدال تزيد على التاء
فى الجهر قال ابو على وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى منهما مدغما ولا يكون الاول حرف مد ولين نحو دابة
واصيم وتمود الثوب ويقولون ان المد يصير عوضا عن الحركة وقد قالوا ثوب بكر وجيب بكر فادغموا المد الذى فيهما اقل من المد الذى
يكون فيهما اذا كان حركة ما قبلها منهما فاذا جاز ذلك مع نقصان المد الذى فيه لم يمتنع ان يجمع بين ساكنين فى نحو ان تعدوا ويقوى
ذلك جواز نحو ابيم ودويبه ومد يق فمن قرأ لا تعدوا فان الاصل فيه لا تعتدوا فسكن التاء ليدغمها فى الدال ونقل حركتها الى العين
الساكنة قبلها فصار لا تعدوا ومن قرأ لا تعدوا فهو لا تفعلوا مثل قوله سبحانه اذ يعدون فى السبت وحجة الاولين قوله اعتدوا
منكم فى السبت اللغة قال ابو زيد تقول عدا على اللص اشد العدو والعدوان والعداء والعدو اذا سرقك وظلمك وعدا الرجل
يعدو عدوا فى الحضر وقد عدت عينه عن ذلك اشد العدو وتعدوا وعدا يعدو اذا جاوز يقال ما عدوت ان تدفك اى ما جاوزت
ذلك الاعراب قوله جهرة يجوز ان يكون صفة لقولهم اى قالوا جهرة ارنا الله ويجوز ان يكون على ارنا الله رؤية ظاهرة النزول
روى ان كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا يا محمد ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتورية جملة فنزلت
الآية عن السدى المعنى لما ذكر سبحانه على اليهود التفريق بين الرسل فى الايمان عقبه فى الانكار عليهم فى طلبهم المحالات مع ظهور
الآيات المعجزات فقال يسالك يا محمد اهل الكتاب يعنى اليهود ان تنزل عليهم كتابا من السماء اختلف فى معناه على اقوال احدها
انهم سألوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء مكتوبا كما كانت التورية مكتوبة عند الله فى الالواح عن محمد بن كعب والسدى وثانيها انهم
سالوا ان ينزل على رجال منهم باعيانهم كتابا يأمرهم الله فيها بتصديقه واتباعه عن ابن جريج واختاره الطبرى وثالثها انهم سالوا
ان ينزل عليهم كتابا خاصا لهم عن قتادة قال الحسن انما سالوا ذلك للتعنت والتحكم فى طلب المعجزات لا لظهور الحق ولو سالوا ذلك
استرشادا لا عنادا لاعطاهم الله ذلك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك اى لا يعظمن عليك يا محمد مسألتهم اياك انزال الكتاب عليهم

من السماء فانهم سالوا موسى اكبر من ذلك يعني اليهود اعظم من ذلك بعد ما اتيهم بالايات الظاهرة والمعجزات القاهرة التي تكفى
الواحدة منها فى معرفة صدقه وصحة نبوته فلم ينفعهم ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اى معاينة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم انفسهم بهذا
القول وقد ذكرنا قصة هؤلاء وتفسير اكثر ما فى الاية فى سورة البقرة عند قوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الاية قوله واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور الاية ثم اتخذوا العجل اى عبدوه واتخذوه الها من بعد ما جاءتهم البينات اى الحجج الباهرة تدل
الله سبحانه بهذا على جهل القوم وعنادهم فعفونا عن ذلك مع عظم جرمهم وجناياتهم وقد اخبر سبحانه بهذا عن سعة رحمته ومغفرته
وتمام نعمته وانه لا جريمة تضيق عنها رحمته ولا جناية تقصر عنها مغفرته وآتينا موسى اى اعطيناه سلطانا اى حجة بينة ظاهرة تبين عن صدقه
وصحة نبوته ورفعنا فوقهم الطور اى الجبل لما امتنعوا من العمل بما فى التورية وقبول ما جاءهم به موسى بميثاقهم اى بما اعطوا الله سبحانه
من العهد ليعملن بما فى التورية وقيل معناه رفعنا الجبل فوقهم بنقض ميثاقهم الذي اخذ عليهم بان يعملوا بما فى التورية وانما نقضوه
بعبادة العجل وغيرها عن ابي علي الجبائي وقال ابو مسلم انما رفع الله الجبل فوقهم اظلالا لهم من الشمس بميثاقهم اى بعهدهم جزاء لهم على
ذلك وهذا القول يخالف اقوال المفسرين وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا يعني باب حطة وقدم بيانه هناك وقلنا لهم لا تعدوا فى
السبت اى لا تتجاوزوا فى يوم السبت ما ابيح لكم الى ما حرم الله عليكم عن قتادة قال امرهم الله ان لا ياكلوا الحيتان يوم السبت واحل لهم
ما عداه واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عهدا وثيقا وكيدا بان يأتمروا باوامره وينتهوا عن مناهيه وزواجره قوله تعالى فبما نقضهم
ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا
قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما
اربع آيات اللغة البهتان الكذب الذي يتحير من شدته وعظمه وقدم معنى المسيح فى سورة آل عمران يقال قتلت الشيء خبرا وعلما اعلمه
علما تاما وذلك لان اصل القتل هو التذليل ويكون كالدرس انه من التذليل ومنه الرسم الدارس لذلته فقولك درست العلم بمعنى ذللته ويقال
فى المثل قتل ارضا عالمها وقتلت ارض جاهلها قال الاصمعي معناه ضبط الامر بعلمه واقول ان المعنى ان العالم يغلب اهل ارضه
والجاهل مغلوب مقهور كان الجاهل بالطريق لا يهتدى فيتردد فيه الاعراب ما فى قوله فبما نقضهم لغو اى فبنقضهم ومعناه التوكيد
اى فبنقضهم ميثاقهم حقا والجالب للباء فى بنقضهم والعامل فيه محذوف اى لعناهم وقيل العامل فيه قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبنقضهم عن الزجاج وعلى هذا فقوله بل طبع الله عليها بكفرهم الى آخر الاية اعتراض وكذلك
قوله وما قتلوه وما صلبوه الى قوله شهيدا وقوله عيسى بن مريم عطف بيان ركب مع ابن وجعلا كاسم واحد لوقوع الابن بين علمين
مع كونه صفة والصفة ربما ركبت مع الموصوف فجعلا كاسم واحد نحو لا رجل ظريف فى الدار رسول الله صفة للمسيح او بدل منه واتباع
الظن منصوب على الاستثناء وهو استثناء منقطع وليس من الاول فالمعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن المعنى ثم ذكر سبحانه
افعالهم القبيحة ومجازاته اياهم فقال فبما نقضهم اى فبنقض هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ووصفهم ميثاقهم اى عهودهم التي عاهدوا
الله عليها ان يعملوا بما فى التورية وكفرهم بايات الله اى جحودهم باعلام الله وحججه وادلته التي احتج بها عليهم فى صدق انبيائه ورسله
وقتلهم الانبياء بعد قيام الحجة عليهم بصدقهم اى بغير استحقاق منهم لذلك بكبيرة اتوها او خطيئة استوجبوا بها القتل وقد قدمنا القول
فى امثال هذا وانه انما يذكر على سبيل التوكيد فان قتل الانبياء لا يمكن ان يكون الا بغير حق فهو مثل قوله ومن يدع مع الله الها آخر
لا برهان له والمعنى ان ذلك لا يكون البتة عليه برهان وقولهم قلوبنا غلف مضى تفسيره فى سورة البقرة بل طبع الله عليها بكفرهم
قد شرحنا معنى الطبع والختم عند قوله ختم الله على قلوبهم فلا يؤمنون الا قليلا اى لا يصدقون الا تصديقا قليلا وانما وصفه بالقلة لانهم
لم يصدقوا بجميع ما كان يجب عليهم التصديق ويجوز ان يكون الاستثناء من الذين نفى عنهم الايمان فيكون المعنى الا جمعا قليلا فكانه
سبحانه علم ان يؤمن من جملتهم جماعة قليلة فيما بعد فاستثناهم من جملة من اخبر عنهم انهم لا يؤمنون وبه قال جماعة من المفسرين قتادة وغيره
وذكر بعضهم ان الباء فى قوله فبما نقضهم يتصل بما قبله والمعنى فاخذتهم الصاعقة بظلمهم وبنقضهم ميثاقهم وبكفرهم وبكذا وبكذا يتبع الكلام

بعضه

بعضه بعضا وقال الطبري ان معناه منفصل مما قبله يعني فبهذا الاشياء لعناهم وغضبنا عليهم فترك ذكر ذلك لدلالة قوله بل طبع الله
عليها بكفرهم على معنى ذلك لان من طبع الله على قلبه فقد لعن وسخط عليه قال وانما قلنا ذلك لان الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد
موسى والذين قتلوا الانبياء والذين رموا مريم بالبهتان العظيم وقالوا قتلنا عيسى كانوا بعد موسى بزمان طويل ومعلوم ان الذين اخذتهم
الصاعقة لم يكن ذلك عقوبة على رميهم مريم بالبهتان ولا على قولهم انا قتلنا عيسى فبان بذلك ان الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا
بالصاعقة وهذا الكلام انما يحه على من قال انه يتصل بما قبله ولا يحه على قول الاقوى لا اذا امكن اجر الكلام على ظاهره من غير تقدير
حذف فالاولى ان يجري عليه وقوله وبكفرهم اى بجحود هؤلاء لعيسى وقولهم على مريم بهتانا عظيما اى اعظم كذبا واسعه وهو رميهم
اياها بالفاحشة عن ابن عباس والسدى قال الكلبي مر عيسى ع برهط فقال بعضهم لبعض قد جاءكم الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن
الفاعلة فقذفوه بامه فسمع ذلك عيسى عليه السلم فقال اللهم انت ربي خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب
والدتي فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله يعني وقول اليهود انا قتلنا عيسى بن
مريم رسول الله حكاه الله سبحانه عنهم اى رسول الله في زعمه وقيل انه من قول الله سبحانه لا على وجه الحكاية عنهم وتقديره الذي
هو رسولي وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اختلفوا في كيفية التشبيه فروى عن ابن عباس انه قال لما فتح الله الذين سبوا عيسى
وامه بدعائه بلغ ذلك يهودا وهو راس اليهود فخاف ان يدعوا عليه فجمع اليهود فاتفقوا على قتله فبعث الله تعالى جبريل عليه السلم يمنعه
عنهم ويعينه عليهم وذلك معنى قوله وايدناه بروح القدس فاجتمع اليهود حول عيسى ع فجعلوا يسألونه فيقول لهم يا معشر اليهود
ان الله يبغضكم فثاروا اليه ليقتلوه فادخله جبريل عليه السلم خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها فرفعه جبرئيل الى السماء فبعث يهوذا
رأس اليهود رجلا من اصحابه اسمه ططيانوس فيدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله في الخوخة فالقى الله
عليه شبه عيسى فلما خرج على اصحابه قتلوه وصلبوه وقيل القي عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده فقال بعض القوم ان
الوجه وجه عيسى والجسد جسد ططيانوس فقال بعضهم ان كان هذا ططيانوس فاين عيسى فاشتبه الامر عليهم وقال وهب بن
منبه اتى عيسى عليه السلم ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم
سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى عليه السلم لاصحابه من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم اسمه سرجس انا
فخرج اليهم فقال انا عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه ورفع الله عيسى من يومه ذلك وقال قتادة والسدى ومجاهد وابن اسحق وان
اختلفوا في عدد الحواريين ولم يذكر احد غير وهب ان شبهه القي على جميعهم بل قالوا القي شبهه على واحد ورفع عيسى من بينهم قال الطبري
وقول وهب اقوى لانه لو القي الشبه على واحد منهم مع قول عيسى ع ايكم يلقى عليه شبهي فله الجنة ثم رأوا عيسى رفع من بينهم لما اشتبه
عليهم ولما اختلفوا فيه ولما جاز ان يشتبه على اعدائهم من اليهود الذين ما عرفوه لكن القي عليهم شبهه على جميعهم فكانوا يرون كل واحد
منهم بصورة عيسى فلما قتل احدهم اشتبه الحال عليهم وقال ابو علي الجبائي ان رؤساء اليهود اخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه على موضع
عال ولم يمكنوا احدا من الدنو منه فتغيرت حليته وقالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لانهم كانوا احاطوا بالبيت الذي
فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فخافوا ان يكون ذلك سببا لايمان اليهود به ففعلوا ذلك والذين اختلفوا فيه هم
غير الذين قتلوا وصلبوا وانما هم باقي اليهود وقيل ان الذى دلهم عليه وقال هذا عيسى احد من الحواريين اخذ على ذلك ثلثين درهما
وكان منافقا ثم انه ندم على ذلك واختنق حتى قتل نفسه وكان اسمه بودس زكريا بوطا وهو ملعون في النصارى وبعض النصارى
يقول ان بودس زكريا بوطا هو الذى شبه لهم فصلبوه وهو يقول لست بصاحبكم انا الذى دللتكم عليه وقيل انهم حبسوا المسيح مع عشرة
من اصحابه في بيت فدخل عليهم رجل من اليهود فالقى الله عليه شبه عيسى ورفع فقتلوا الرجل عن السدى وان الذين اختلفوا فيه
لفي شك منه قيل انه يعني بذلك عامتهم لان علماءهم علموا انه غير مقتول عن الجبائي وقيل اراد بذلك جماعتهم اختلفوا فقال بعضهم قتلناه
وقال بعضهم لم نقتله ما لهم به من علم الا اتباع الظن اى لم لهم بمن قتلوه علم لكنهم اتبعوا ظنهم فقتلوه ظنا منهم انه عيسى ولم يكن به وانما
شكوا في ذلك لانهم عرفوا عدة من في البيت فلما دخلوا عليهم ادفقدوا واحدا منهم التبس عليهم امر عيسى وقتلوا على شك منهم في امر عيسى هذا

على قول من قال لم يتفرق اصحابه حتى دخل عليهم اليهود واما من قال تفرق اصحابه عنه فانه يقول كان اختلافهم في ان عيسى هل كان
فيمن بقي او كان فيمن خرج اشتبه الامر عليهم وقال الحسن معناه اختلفوا في عيسى فقالوا مرة هو عبد الله ومرة هو ابن الله ومرة هو الله
وقال الزجاج معنى اختلاف النصارى فيه ان منهم من ادعى انه اله لا يقتل ومنهم من قال قتل وما قتلوه يقينا اختلف في الهاء في قتلوه
فقيل انه يعود الظن اى ما قتلوا ظنهم يقينا كما يقال ما قتلته علما عن ابن عباس وجويبر ومعناه ما قتلوا ظنهم الذي اتبعوه في المقتول
الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقينا انه عيسى ولا انه غيره لكنهم كانوا منه على شبهة وقيل ان الهاء عائد الى عيسى ع يعنى ما قتلوه يقينا
اى حقا فهو من تاكيد الخبر عن الحسن اراد ان الله سبحانه نفى عن عيسى عليه السلم القتل على وجه التحقيق واليقين بل رفعه الله عيسى اليه
ولم يصلبوه ولم يقتلوه وقدم تفسيره في سورة آل عمران عند قوله اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى وكان الله عزيزا حكيما
معناه لم يزل الله سبحانه منيعا من اعدائه حكيما في افعاله وتقديراته فاحذروا ايها السائلون محمدا ان ينزل عليكم كتابا من السماء حلول عقوبته
بكم كما حل باوائلكم في تكذيبهم برسله عن ابن عباس وما مر في تفسير هذه الآية من ان الله سبحانه القى شبه عيسى ع على غيره فان ذلك من مقدوره
تعالى سبحانه بلا خلاف بين المسلمين فيه ويجوز ان يفعل علم سبحانه على وجه التغليظ للمحنة والتشديد في التكليف وان كان ذلك
خارقا للعادة فانه يكون معجزا للمسيح ع كما روى ان جبريل عليه السلم كان ياتى نبينا صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبي ومما
يسال على هذه الآية ان يقال قد تواترت اليهود والنصارى مع كثرتهم واجمعت على ان المسيح قتل وصلب فكيف يجوز عليهم ان
يخبروا عن الشيء بخلاف ما هو به ولو جاز ذلك فكيف يوثق بشيء من الاخبار والجواب ان هؤلاء دخلت الشبهة كما اخبر الله سبحانه
عنهم بذلك فلم تكن اليهود يعرفون عيسى عليه السلم بعينه وانما اخبروا انهم قتلوا رجلا قيل لهم انه عيسى فهم في خبرهم صادقون
وان لم يكن المقتول عيسى وانما اشتبه ذلك الامر على النصارى لان شبه المسيح ع القى على غيره فراوا من هو على صورته مقتولا مصلوبا
فلم يخبر احد من الفريقين الا عما راى فظن ان الامر على ما اخبر به فلا يؤدى ذلك الى بطلان الاخبار بحال قوله تعالى
وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * آية الاعراب ان في قوله وان من اهل
الكتاب نافية واكثر ما تاتى مع الا وقد تاتى مع غير الا نحو قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه اى في الذي ما مكناكم فيه قال الزجاج
المعنى وما منهم من احد الا ليؤمنن به وكذلك قوله وان منكم الا واردها معناه وما منكم من احد الا واردها وكذلك وما منا الا له
مقام اى وما منا احد الا له مقام ومثله قول الشاعر لو قلت ما في قومها لم تيثم يفضلها في حسبه وميسم اى ما في قومها احد
يفضلها وذهب الكوفيون الى ان المعنى وما من اهل الكتاب الا ليؤمنن به وما منكم الا من هو واردها وما منا الا من له مقام واهل
البصرة لا يجيزون حذف الموصول وتبقية الصلة المعنى ثم اخبر سبحانه انه لا يبقى احد منهم الا ويؤمن به فقال وان من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف فيه على اقوال احدها ان كلى الضميرين يعود الى المسيح عليه السلم اى ليس يبقى من احد من اهل
الكتاب من اليهود والنصارى الا ويؤمن بالمسيح قبل موت المسيح عليه السلم اذا انزله الله الى الارض وقت خروج المهدى عم
في آخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الاسلام الحنفية دين ابراهيم عليه السلم عن ابن عباس وابى مالك
والحسن وقتادة وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الايمان واختاره الطبرى قال والآية خاصة لمن يكون منهم في ذلك الزمان وذكر
على بن ابراهيم في تفسيره ان اباه حدثه عن سليمان بن داود المنقرى عن ابى حمزة الثمالى عن شهر بن حوشب قال قال الحجاج بن يوسف
آية من كتاب الله قد اعيتنى قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به الآية والله انى لآمر باليهودى والنصرانى فيضرب عنقه ثم ارمقه
فما اراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت اصلح الله الامير ليس على ما اولت قال فكيف هو قلت ان عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيمة
الى الدنيا ولا يبقى اهل ملة يهودى او نصرانى او غيره الا آمن به قبل موت عيسى ويصلى خلف المهدى قال ويحك انى لك هذا ومن اين
جئت به قلت حدثنى به محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب عليه السلم فقال جئت والله بها من عين صافية فقال الكلبى لشهر والله
ما اردت بذلك قال اردت ان اغيظه وذكره ابو القسم البلخى مثل ذلك وخالف الزجاج هذا الوجه قال ان الذين يبقون الى زمن
عيسى ع من اهل الكتاب قليل والآية تقتضى عموم ايمان اهل الكتاب الا ان تحمل على ان جميعهم يقول ان عيسى الذى ينزل في آخر الزمان

حتى نؤمن به وثانيها ان الضمير في به يعود الى المسيح والضمير في موته يعود الى الكتابي ومعناه لا يكون احد من اهل الكتاب يخرج
من دار الدنيا الا ويؤمن بعيسى قبل موته اذا زال تكليفه وتحقق الموت ولكن لا ينفعه الايمان حينئذ وانما ذكر اليهود والنصارى
لان جميعهم مبطلون اليهود بالكفر به والنصارى بالغلو في امره ذهب اليه ابن عباس في رواية اخرى ومجاهد والضحاك وابن
سيرين وجويبر قالوا ولو ضربت رقبته لم تخرج نفسه حتى يؤمن وثالثها ان يكون المعنى وليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وآله قبل
موت الكتابي عن عكرمة ورواه ايضا اصحابنا وضعف الطبري هذا الوجه بان قال لو كان ذلك صحيحا لما جاز اجراء احكام الكفار
عليهم اذا ماتوا وهذا لا يصح لان ايمانهم بمحمد ص انما يكون في حال زوال التكليف فلا يعتد به وانما يضعف هذا القول من حيث لم يجر
ذكر لنبينا ص هنا والضرورة توجب رد الكناية اليه وقد جرى ذكر عيسى عليه السلم فالاولى ان يصرف ذلك اليه ويوم القيامة يكون
عليهم شهيدا يعني عيسى عليه السلم يشهد عليهم بانه قد بلغ رسالات ربهم واقر على نفسه بالعبودية وانه لم يدعهم الى ان يتخذوه
الها عن قتادة وابن جريج وقيل يشهد عليهم بتصديق من صدقه وتكذيب من كذبه عن ابي علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على ان كل
كافر يؤمن عند المعاينة وعلى ان ايمانه ذلك غير مقبول كما لم يقبل ايمان فرعون في حال اليأس عند زوال التكليف ويقرب من هذا
ما رواه الامامية ان المحتضرين من جميع الاديان يرون رسول الله صلى الله عليه وآله وخلفاءه عند الوفاة ويروون في ذلك
عن علي عم انه قال للحرث الهمداني يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن او منافق قبلا يعرفني شخصه واعرفه بعينه واسمه وما فعلا
فان صحت هذه الرواية فيهم في تلك الحال العلم بثمرة ولايتهم وعداوتهم على اليقين بعلامات يجدونها من نفوسهم ومشاهدة
احوال يدركونها كما قد روي ان الانسان اذا عاين الموت اراه في تلك الحالة ما يدل على انه من اهل الجنة او من اهل النار قوله تعالى
فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا • آيتان المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله فبظلم من الذين
هادوا اي من اليهود معناه فبما ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي التي تقدم ذكرها وقد مضى فيما تقدم عن الزجاج انه قال فبظلم
من الذين هادوا بدل من قوله فبنقضهم ميثاقهم فيما بعده والعامل في الباء قوله حرمنا عليهم طيبات ولكنه لما طال الكلام اجمل في
قوله فبظلم ما ذكر قبل واخبر انه حرم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا الله عليه وكفروا بآياته وقتلوا انبياءه وقالوا على
مريم بهتانا عظيما وفعلوا ما وصفه الله طيبات من المآكل وغيرها احلت لهم اي كانت حلالا لهم قبل ذلك فلما فعلوا اقتضت
المصلحة تحريم هذه الاشياء عليهم عن مجاهد واكثر المفسرين وقال ابو علي الجبائي حرم الله سبحانه هذه الطيبات على الظالمين
منهم عقوبة لهم على ظلمهم وهي ما بين في قوله سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم الآية وبصدهم عن سبيل الله
اي وبمنعهم عباد الله عن دينه وسبيله التي شرعها لعباده صدا كثيرا وكان صدهم عن سبيل الله بقولهم على الله الباطل وادعائهم
ان ذلك عن الله وتبديلهم كتاب الله وتحريفهم معانيه عن وجوهه واعظم من ذلك كله جحدهم نبوة محمد ص وتركهم بيان
ما علموه من امره لمن جهله من الناس عن مجاهد وغيره واخذهم الربوا اي ما فضل الله على رؤوس اموالهم بتأخيرهم له عن محله الى
اجل آخر وقد نهوا عنه اي عن الربوا واكلهم اموال الناس بالباطل اي بغير استحقاق ولا استيجاب وهو ما كانوا يأخذونه من الرشى
في الاحكام كقوله من اكل السحت وما كانوا يأخذونه من اثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بايديهم ويقولون هذا من عند الله وما اشبه
ذلك من المآكل الخبيثة عاقبهم الله سبحانه على جميع ذلك بتحريم ما حرم الله عليهم من الطيبات واعتدنا للكافرين منهم اي هيأنا
يوم القيامة لمن جحد الله والرسول من هؤلاء اليهود عذابا اليما اي مؤلما موجعا واختلف في ان التحريم هل يكون على وجه العقوبة فقال
جماعة من المفسرين ان ذلك كان عقوبة واذا جاز التحريم ابتداء على جهة المصلحة جاز ايضا عند ارتكاب المعصية على جهة العقوبة قال
ابو علي الجبائي كان تحريمه عقوبة فيمن تعاطى ذلك الظلم ومصلحة في غيرهم وقال ابو هاشم ان التحريم لا يكون الا للمصلحة ولما صار التحريم
مصلحة عند اقدامهم على هذا الظلم جاز ان يقال حرم عليهم بظلمهم قال لان التحريم تكليف يستحق الثواب بفعله ويجب الصبر على ازائه
فهو معدود في النعمة بخلاف العقوبات قوله تعالى لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما

آية القراءة قراء حمزة وحده سيؤتيهم بالياء والباقون بالنون الحجة ذكرنا الوجه فيما قبل عند قوله اولئك سوف نؤتيهم
اجورهم اختلف فى نصب المقيمين فذهب سيبويه والبصريون الى انه نصب على المدح على تقدير اعنى المقيمين الصلوة قالوا اذا قلت مررت
بزيد الكريم وانت تريد ان تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم فالوجه الجر واذا اردت المدح والثناء فان شئت نصبت وقلت مررت
بزيد الكريم كانك قلت اذكر الكريم وان شئت رفعت فقلت الكريم على هو الكريم وقال الكسائى موضع المقيمين جر وهو معطوف
على ما من قوله بما انزل اليك اى وبالمقيمين الصلوة وقال قوم انه معطوف على الهاء والميم فى قوله منهم على هو معنى لكن الراسخون
فى العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقال آخرون انه معطوف على الكاف فى قبلك اى بما انزل من قبلك ومن قبل المقيمين الصلوة
وقيل انه معطوف على الكاف فى اولئك او الكاف فى قبلك وهذه الاقوال الاخيرة لا تجوز عند البصريين لانه لا يعطف بالظاهر
على المضمر المجرور من غير اعادة الجار وقد شرحنا هذا فى مبتداء السورة عند قوله والارحام واما ما روى عن بعضهم ان فى كتاب الله
اشياء ستصلحها العرب بالسنتها قالوا وفى مصحف ابن مسعود والمقيمين الصلوة فمما لا يلتفت اليه لانه لو كان كذلك لم يكن
ليعلمه الصحابة الناس على الغلط وهم القدوة والذين اخذوه عن النبى صلى الله عليه وآله المعنى ثم ذكر سبحانه مؤمنى اهل
التورية فقال لكن الراسخون فى العلم وذلك ان عبد الله بن سلام واصحابه قالوا للنبى صلى الله عليه وآله ان اليهود لتعلم ان
الذى جئت به حق وانك لعندهم مكتوب فى التورية فقالت اليهود ليس كما تقولون لانهم لا يعلمون شيئا وانهم يغرونك و
يحدثونك بالباطل فقال الله عز اسمه لكن الراسخون الثابتون المبالغون فى العلم المدارسون بالتورية منهم اى من اليهود يعنى
ابن سلام واصحابه من علماء اليهود والمؤمنون يعنى اصحاب النبى صلى الله عليه وآله من غير اهل الكتاب يؤمنون بما انزل اليك
يا محمد من القرآن والشرايع انه حق وما انزل من قبلك من الكتب على الانبياء والرسل وقيل انما استثناء الله صفهم من هداه الله
لدينه ووفقه لرشده من اليهود الذين ذكرهم فيما مضى من قوله يسألك اهل الكتاب الى ههنا فقال لكنهم لا يسألونك ما يسأل
هؤلاء الجهال من انزال كتاب من السماء لانهم قد علموا مصداق قولك بما قرأوا فى الكتب المنزلة على الانبياء ووجوب اتباعك
عليهم فلا حاجة لك بهم الآن يسألونك معجزة اخرى ولا دلالة غير ما علموا من امرك بالعلم الراسخ فى قلوبهم عن قتادة وغيره
والمقيمين الصلوة اذا كان نصبا على الثناء والمدح على تقدير واذكر المقيمين للصلوة وهم المؤتون الزكوة ويكون غير هذا عطفا على قوله
الراسخون فى العلم والمؤمنون ومعناه والذين يؤدون الصلوة بشرايطها فاذا كان جرا عطفا على ما انزل اى يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلوة فقيل ان المراد بهم الانبياء المقيمين الصلوة وقيل المراد بهم الملائكة واقامتهم الصلوة
تسبيحهم ربهم واستغفارهم لمن فى الارض اى بالملائكة واختاره الطبرى قال لانه فى قراءة ابى كذلك وكذلك هو فى مصحفه وقيل
المراد بهم الائمة المعصومين والمؤتون الزكوة اى والمعطون الزكوة اموالهم والمؤمنون بالله بانه واحد لا شريك له واليوم الآخر
بالبعث الذى فيه جزاء الاعمال اولئك اى هؤلاء الذين وصفهم الله سيؤتيهم اجرا عظيما سيعطيهم ثوابا وجزاء على ما كان منهم
من طاعة الله تعالى واتباع امره عظيما اى جزيلا وهو الخلود فى الجنة قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح
والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون
وسليمن وآتينا داود زبورا آية القراءة قراء حمزة وخلف زبورا بضم الزاء حيث وقع والباقون زبورا بفتحها الاعراب
زبورا يجوز ان يكون جمع زبور بحذف الزيادة ومثله وبحوم وبحوم وعذوب وعذوب ولا نظير لهذه الثلثة ويجوز ان يكون
زبر بمعنى المزبور كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن اللغة والزبر احكام العمل فى البئر خاصة يقال بئر مزبورة اى مطوية بالحجارة
ويقال ما لفلان زبر اى عقل وزبرة من الحديد قطعة منه وجمعه زبر وزبرت الكتاب ازبره زبرا كتبته المعنى ثم خاطب الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وآله بقوله انا اوحينا اليك يا محمد قدمه فى الذكر وان تأخرت نبوته لتقدمه فى الفضل كما اوحينا الى نوح وقدم نوحا لانه اب
البشر كما قال وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل لانه كان اطول الانبياء عمرا وكانت معجزته فى نفسه لبث فى قومه الف سنة الا خمسين

نصف الحزب

عاما

عاما لم يسقط له سن ولم تنقص قوته ولم يشيب شعره وقيل لانه لم يبالغ احد منهم في الدعوة مثل ما بالغ فيها ولم يقاس احد من قومه
ما قاساه وهو اول من عذبت امته بسبب ان ردت دعوته والنبيين من بعده اى واوحينا الى النبيين من بعد نوح واوحينا الى
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب اعاد ذكر هؤلاء بعد ذكر النبيين تعظيما لامرهم وتفخيما لشانهم والاسباط وهم اولاد يعقوب ع
وقيل ان الاسباط في ولد اسحق كالقبايل في اولاد اسمعيل وقد بعث منهم عدة رسل كيوسف وداود وسليمن وموسى وعيسى عليه
كانوا ابنياء وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان قدم عيسى على انبياء كانوا قبله بشدة العناية بامره لغلو اليهود في الطعن
فيه والواو لا يوجب الترتيب زبورا اى كتابا يسمى زبورا واشتهر به كما اشتهر كتاب موسى بالتورية وكتاب عيسى بالانجيل
النظم هذه الاية تتصل بما قبلها من قوله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء وهذا يدل على انهم قد سالوه
ما يدل على نبوته فاخبر سبحانه انه ارسل كما ارسل من تقدمه من الانبياء واظهر على يده المعجزات كما اظهرها على ايديهم وقيل ان اليهود
لما تلى النبي صلعم عليهم تلك الايات قالوا ما انزل على بشر من شيء بعده فكذبهم الله بهذه الايات اذ اخبر انه قد انزل على من بعد موسى
من الذين سماهم وممن لم يسمهم عن ابن عباس قوله تعالى وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ
وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝
آيتان الاعراب ورسلا منصوب من وجهين احدهما ان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره الذى ظهر اى وقصصنا رسلا قد قصصناهم
عليك كما تقول رأيته وعمروا اكرمته اى واكرمت عمروا اكرمته ويجوز ان ينصب ورسلا على معنى اوحينا لان معنى انا اوحينا اليك
انا ارسلناك موحين اليك وارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك هذا قول الزجاج وقال الفراء انه على تقدير انا اوحينا اليك و
الى رسل قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم فلما حذف الى نصب الفعل رسلا مبشرين منصوب على الحال ويجوز ان يكون منصوبا
على المدح على تقدير اعنى رسلا مبشرين المعنى ثم اجمل ذكر الرسل بعد تسمية بعضهم فقال ورسلا اى ورسلا آخرين قد قصصناهم
عليك اى ما حكينا لك اخبارهم عرفناك شانهم وامورهم من قبل قال بعضهم قصهم عليه بالوحي في غير القرآن من قبل ثم قصهم
عليه من قبل هؤلاء بمكة في سورة الانعام وفي غيرها لان هذه السورة مدنية ورسلا لم نقصصهم عليك هذا يدل على ان له سبحانه
رسلا كثيرة لم يذكرهم في القرآن وانما قص بعضهم على النبي صلى الله عليه وآله لتفضيلهم على من لم يقصهم عليه وكلم الله موسى تكليما
فايدته انه سبحانه كلم موسى بلا واسطة بانه لم يذلك من سائر الانبياء لان جميعهم كلمهم الله سبحانه بواسطة الوحي وقيل انما قال
تكليما ليعلم ان كلام الله عز ذكره من جنس هذا المعقول الذى يشتق من التكليم بخلاف ما قاله المبطلون وروى ان رسول الله
صلى الله عليه وآله قرا الاية التى قبل هذه على الناس قالت اليهود فيما بينهم ذكر محمد النبيين ولم يبين لنا امر موسى فلما نزلت
هذه الاية وقراها عليهم قالوا ان محمدا قد ذكره وفضله بالكلام عليهم رسلا مبشرين بالجنة والثواب لمن آمن واطاع ومنذرين
بالنار والعقاب لمن كفر وعصى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لم يرسل الينا رسولا وفي هذا دلالة على فساد قول
من زعم ان عند الله سبحانه من اللطف ما لو فعله بالكافر لآمن لانه لو كان كذلك لكان للكفار الحجة بذلك على الله سبحانه قائمة فاما من
لم يعلم من حاله ان له في انفاذ الرسل اليه لطفا فالحجة قائمة عليه بالعقل وادلته الدالة على توحيده وعدله ولو لم تقم الحجة الا بانفاذ
الرسل لفسد ذلك من وجهين احدهما ان صدق رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد
والعدل فان كانت الحجة عليه بالعقل غير قائمة فلا طريق له الى معرفة النبي صلى الله عليه وآله وصدقه والثاني انه لو كانت الحجة
لا تقوم الا بالرسول لاحتاج الرسول ايضا الى رسول آخر حتى تكون الحجة عليه قائمة والكلام في رسوله كالكلام فيه حتى يتسلسل
وذلك فاسد فمن استدل بهذه الاية على ان التكليف لا يصح بحال الا بعد انفاذ الرسل فقد ابعد لما قلناه وكان الله عزيزا اى
مقتدرا على الانتقام ممن يعصيه ويكفر به حكيما فيما امر به عباده وفي جميع افعاله قوله تعالى لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ
أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ آية النزول قيل ان جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال النبي صلعم اني اعلم انكم تعلمون انى رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك ولا نشهد به فانزل الله تعالى هذه الاية المعنى

ثم قال سبحانه بعد انكارهم وجحودهم لكن الله يشهد بما انزل اليك معناه ان لم يشهد لك هؤلاء بالنبوة فالله يشهد بذلك قال
الزجاج الشاهد هو المبين لما يشهد به والله سبحانه بين ما انزل الى رسوله بنصب المعجزة له وبين صدقه بما يغني عن بيان اهل
الكتاب انزله بعلمه معناه انزل القرآن وهو عالم بانك موضع لان انزله عليك لقيامك فيه بالحق ودعائك الناس اليه وقيل معناه
انزل القرآن الذي فيه علمه عن الزجاج والملئكة يشهدون بانك رسول الله وان القرآن نزل من عند الله وكفى بالله شهيدا ومعناه
ان شهادة الله تكفي في تثبيت المشهود به ولا يحتاج معها الى شهادة وفي هذه الآية تسلية للنبي عم على تكذيب من كذبه ولا يصح قول
من استدل على ان الله سبحانه عالم بعلم ما في هذه الآية من قوله انزله بعلمه لانه لو اراد بالعلم ما ذهبوا اليه من كونه ذاتا سواه
لوجب ان يكون انزله في الانزال كما يقال كتبت بالقلم وعمل النجار بالقدوم ولا خلاف ان العلم ليس بالة في الانزال كما يقال
قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا • إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا
لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا • ثلث آيات
المعنى ان الذين كفروا بانفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله عن الدين الذي بعثك به الى خلقه قد ضلوا ضلالا بعيدا يعني جاروا
عن قصد الطريق جورا شديدا وزالوا عن المحجة التي هي دين الله الذي ارتضاه لعباده وبعثك به الى خلقه زوالا بعيدا عن الرشاد
ان الذين كفروا وجحدوا رسالة محمد وظلموا محمدا بتكذيبهم اياه ومقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم اولياء الله حسدا لهم وبغيا
عليهم لم يكن الله ليغفر لهم اي لم يكن الله ليعفو عن ذنوبهم بترك عقابهم عليها ولا ليهديهم طريقا اي لا يهديهم الى طريق الجنة
لان الهداية الى طريق الايمان قد سبقت وعم الله سبحانه جميع المكلفين الا طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر والظلم خالدين
فيها اي مقيمين فيها ابدا وكان ذلك تخليد هؤلاء الذين وصفهم في جهنم على الله يسيرا لانه اذا اراد ذلك لم يقدر على الامتناع منه
النظم واتصال هذه الآيات بما قبلها اتصال النقيض بالنقيض على جهة المقابلة لان ما قبلها يتضمن الشهادة له بالنبوة
تسلية له عما يلحقه من تكذيب الكفار وهذه الايات تتضمن تحسير الكفار بذهابهم عن الوعيد قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ
قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا • آية
الاعراب الباء في قوله بالحق للتعدية كهمزة الفعل تقول جئت الى عمرو وجاءني زيد وجاءني الى عمرو وقوله خيرا لكم قال الزجاج
اختلفوا في نصب خيرا فقال الكسائي انتصب بخروجه من الكلام كقوله لتقومن خيرا لك والله خيرا لك فاذا كان الكلام ناقصا
رفعوا فقالوا ان تنته خير وقال الفراء انتصب هذا وقوله انتهوا خيرا لكم لانه متصل بالامر ولم يقل هو والكسائي من اي المنصوبات
هو ولا شرحاه وقال الخليل وجميع البصريين ان هذا محمول على معناه لانك اذا قلت ايته خيرا لك فانت تدفعه عن امر وتدخله
في غيره كانك قلت ايته وائت خيرا لك وادخل فيما هو خير لك وانشد سيبويه قول عمرو بن ابي ربيعة فواعديه سرحتي مالك
او الربا بينهما اسهلا المعنى ثم عاد سبحانه الى العظة وعم الخلق بذلك فقال يا ايها الناس خطاب لجميع المكلفين وقيل خطاب
للكفار قد جاءكم الرسول يعني محمدا ص بالحق الذي ارتضاه الله لعباده وقيل بولاية من امره الله سبحانه بولايته عن ابي جعفر عليه السلم
من ربكم اي من عند ربكم فآمنوا اي صدقوا بما جاءكم به من عند ربكم خيرا لكم او ائتوا خيرا لكم مما انتم عليه من الجحود والتكذيب وان
تكفروا اي تكذبوه فيما جاء به من عند الله نعم فان لله ما في السموات والارض اي فان ضرر ذلك يعود عليكم دون الله عز اسمه
فانه مالك ما في السموات والارض لا ينقص كفركم فيما كذبتم به شيئا من ملكه وسلطانه وكان الله عليما بما انتم صائرون اليه من
طاعته او معصيته حكيما في امره ونهيه اياكم وتدبيره فيكم وفي غيركم قوله تعالى يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا
ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا • آية
اللغة اصل الغلو مجاوزة الحد يقال غلا في الدين يغلو غلوا وغلا بالجارية لحمها وعظمها اذا اسرعت الشباب وتجاوزت لداتها
تغلو غلوا وغلاء قال الحرث بن حلزة المخزومي خمصانة موشحها رود الشباب غلا بها عظم وغلا بسهمه غلوا اذا رمى به اقصى الغاية

وتعالى

وتغالى الرجلان تفاعلا من ذلك واصل المسيح الممسوح سماه الله بذلك لتطهيره اياه من الذنوب والادناس التي تكون في الادميين
وقيل انه سرياني اصله مشيحا فعرب كما عرب اسماء الانبياء وقيل انه ليس مثل ذلك فان اسحق ويعقوب واسمعيل وغيرهم اسماء
لا صفات والمسيح صفة ولا يجوز ان يخاطب الله خلقه في صفة شيء الا بما يفهم واما الدجال فانما سمي المسيح لانه ممسوح العين اليمنى
واليسرى وعيسى ع ممسوح البدن من الادناس والاثام كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك الاعراب ثلثة خبر مبتداء
محذوف دل عليه ظاهر الكلام وتقديره ولا تقولوا هم ثلثة وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه ففيه اضمار اسم
رافع لذلك الاسم وانما جاز ذلك لان القول حكاية والحكاية تكون لكلام تام انتهوا خيرا لكم قد ذكرنا وجه النصب في خيرا فيما
قبل وان يكون في موضع اي سبحانه من ان يكون فلما حذف حرف الجر وصل اليه الفعل فنصبه وقيل في موضع جر وقد مر
نظيره المعنى ثم عاد سبحانه الى الحجاج اهل الكتاب فقال يا اهل الكتاب قيل انه خطاب لليهود والنصارى عن الحسن قال
لان النصارى غلت في المسيح فقالوا هو ابن الله وقال بعضهم هو الله وبعضهم قال ثالث ثلثة الاب والابن وروح القدس
واليهود غلت فيه حتى قالوا ولد لغير رشده فالغلو لازم للفريقين وقيل للنصارى خاصة عن ابي علي الجبائي وابي مسلم و
جماعة من المفسرين لا تغلوا في دينكم اي لا تفرطوا في دينكم ولا تجاوزوا الحق فيه ولا تقولوا على الله الا الحق اي قولوا انه جل جلاله
واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ولا تقولوا في عيسى انه ابن الله وشبهه فانه قول بغير الحق انما المسيح وقد ذكرنا معناه
وقيل سمي بذلك لانه كان يمسح الارض مشيا عيسى بن مريم هذا بيان لقوله المسيح يعني انه ابن مريم لا ابن الله كما تزعم النصارى
ولا ابن اب كما تزعمه اليهود رسول الله ارسله الى الخلق كما زعمت الفرقتان المبطلتان وكلمته يعني انه حصل بكلمته التي
هي قوله كن عن الحسن وقتادة وقيل معناه انه يهتدى به الخلق كما اهتدوا بكلام الله ووحيه عن ابي علي الجبائي وقيل معناه
بشارة الله التي قد بشرها مريم على لسان الملئكة كما قال واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة وهو المراد بقوله
القاها الى مريم كما يقال القيت اليك كلمة حسنة اي قلت وقيل معنى القاها الى مريم خلقها في رحمها عن الجبائي وروح منه
فيه اقوال احدها انه انما سماه روحا لانه حدث عن نفخة جبرئيل في درع مريم بامر الله تعالى وانما نسبه اليه لانه كان بامره وقيل
انما اضافه الى نفسه تفخيما لشانه كما قال الصوم لي وانا اجزي به وقد يسمى النفخ روحا واستشهد على ذلك ببيت ذي الرمة
يصف نارا فقلت له ارفعها اليك واحيها بروحك واقته لها قيتة قدرا وظاهر لها من يابس الشخت واستعن عليها الصبا
واجعل لديك لها سترا ومعنى احيها بروحك اي بنفخك ويقال اقتت النار اذا اطعمتها حطبا والثاني ان المراد به يحيى به
الناس في دينهم كما يحيون بالارواح عن الجبائي فيكون المعنى انه جعله نبيا يقتدى به ويستن بسنته ويهتدى بهداه والثالث
ان معناه وانسان احياه الله بتكوينه بلا واسطة من جماع او نطفة كما جرت العادة بذلك عن ابي عبيدة والرابع ان معناه
ورحمة منه كما قال في موضع اخر وايدهم بروح منه اي برحمة منه فجعل الله عيسى رحمة على من آمن به واتبعه لانه هداهم الى سبيل
الرشاد والخامس ان معناه روح الله خلقها فصورها ثم ارسلها الى مريم فدخلت فيها فصيرها الله سبحانه عيسى عن ابي بن كعب والسادس
ان معنى الروح ههنا جبرائيل ع فيكون عطفا على ما في القاها من ضمير ذكر الله تعالى تقديره القاها الله تعالى الى مريم وروح منه اي
من الله اي جبرائيل عليه السلام القاها ايضا فآمنوا بالله ورسله اي صدقوا الله سبحانه بتصديقه والاقرار بوحدانيته وتصديق فيما
جاؤا به من عنده وفيما اخبرهم به من ان الله سبحانه لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ولا تقولوا ثلثة هذا خطاب النصارى اي
لا تقولوا الهتنا ثلثة عن الزجاج وقيل هذا لا يصح لان النصارى لم يقولوا بثلثة آلهة ولكنهم يقولون اله واحد ثلثة اقانيم اب وابن
وروح القدس ومعناه ولا تقولوا الله ثلثة اب وابن وروح القدس وقد شبهوا قولهم جوهر واحد ثلثة اقانيم بقولنا سراج واحد ثم
نقول ثلثة اشياء دهن وقطن ونار وشمس واحدة وانما هي جسم وضوء وشعاع وهذا غلط بعيد لانا لا نعني بقولنا سراج انه شيء
واحد بل هو اشياء على الحقيقة وكذلك الشمس كما تقول عشرة واحدة وانسان واحد ودار واحدة وانما هي اشياء متغايرة فان قالوا ان
الله شيء واحد واله واحد حقيقة فقولهم ثلثة متناقضة وان قالوا انه بالحقيقة اشياء مثل ما ذكرناه في الانسان والسراج وغيرهما

فقد تركوا بالتوحيد والتحقق بالمشبهة والاقلا واسطه بين الامرين انتهوا عن هذه المقالة الشنيعة اى امتنعوا عنها خيرا لكم اي
ايتوا بالانتهاء عن قولكم خيرا لكم فما تقولون انما الله اله واحد اى ليس كما تقولون انه ثالث ثلثة لان من كان له ولدا وصاحبة لا
يجوز ان يكون الها ومعبودا لكون الذى له الالهية ويحق له العبادة اله واحد لا ولد له ولا شبيه له ولا صاحبة ولا شريك له ثم
نزه سبحانه نفسه عما يقوله المبطلون فقال سبحانه ان يكون له ولد ولفظه سبحانه تفيد للتنزيه عما لا يليق به اى هو منزه عن ان
يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا وخلقا وهو يملكها وله التصرف فيها وفيما بينهما ومن جملة ذلك عيسى وامه
فكيف يكون المملوك والمخلوق ابناء للمالك الخالق وكفى بالله وكيلا اى حسب ما فى السموات وما فى الارض بالله قيما ومدبرا ورازقا
وقيل معناه وكفى به حافظا لاعمال العباد حتى يجازيهم عليها فهو تسلية للرسول عليه السلم ووعيدا للقائلين فيه سبحانه ما لا يليق به
قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم
اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا آيتان اللغة الاستنكاف الانفة من الشئ واصله
فى اللغة نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك قال الشاعر فباتوا فلولا ما تذكر منهم من الخلف لم ينكف لعينيك مدمع
ودرهم منكوف نهرج ردى لانه يمتنع من اخذه لرداءته ونكفت من الارض بكسر الكاف بمعنى استنكف ايضا حكاها ابو عمرو
قتاده ان يستنكف ان ينقبض ولن يمتنع والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق والتكبر قد يكون باستحقاق فلذلك جاز فى صفة
الله تعالى سبحانه المتكبر ولا يجوز المستكبر النزول روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ نقول فيه قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فنزلت الاية المعنى لما تقدم ذكر النصارى والحكاية
عنهم فى امر عيسى عليه السلم عقبه سبحانه بالرد عليهم فقال لن يستنكف اى لن يانف ولن يمتنع المسيح يعنى عيسى عليه السلام
من ان يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون اى ولا الملئكة المقربون يانفون ويستكبرون من الاقرار بعبودية الله سبحانه والاذعان
له بذلك والمقربون الذين قربهم الله ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر اى يتعظم بترك الاذعان
لطاعته فسيحشرهم اليه اى فسيبعثهم يوم القيامة جميعا لجمعهم لموعدهم عنده ومعنى قوله اليه اى الموضع الذى لا يملك التصرف فيه سواه
كما يقال صار امر فلان الى الامير اى لا يملكه غير الامير ولا يراد بذلك المكان الذي فيه الامير واستدل بهذه الآية من قال ان الملئكة افضل
من الانبياء قالوا ان تأخير ذكر الملئكة فى مثل هذا الخطاب يقتضى تفضيلهم لان العادة لم تجر بان يقال لن يستنكف الامير ان يفعل
كذا ولا الحارس بل يقدم الادون ويؤخر الاعظم فيقال لن يستنكف الوزير ان يفعل كذا ولا السلطان وهذا يقتضى فضل الملئكة على
الانبياء واجاب اصحابنا عن ذلك بان قالوا انما اخر ذكر الملئكة عن ذكر المسيح لان جميع الملئكة افضل واكثر ثوابا من المسيح ع وهذا لا
يقتضى ان يكون كل واحد منهم افضل من المسيح وان الخلاف فى ذلك وايضا فانا وان ذهبنا الى ان الانبياء افضل من الملئكة فانا
نقول انه لا تفاوت فى الفضل بين الانبياء والملئكة ومع التقارب والتدانى يحسن ان يقدم ذكر الافضل الا ترى انه يحسن ان
يقال ما يستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان اذا كانا متساويين فى المنزلة او متقاربين وانما لا يحسن ان يقال لا يستنكف
الامير من كذا ولا الحارس لاجل التفاوت فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم وعد الله سبحانه الذين يقرون بوحدانيته
ويعملون بطاعته انه يوفيهم اجورهم ويؤتيهم جزاء اعمالهم الصالحة وافيا تاما ويزيدهم من فضله اى يزيدهم على ما كان وعدهم
به من الجزاء على اعمالهم الحسنى والثواب عليها من الفضل والزيادة ما لم يعرفهم مبلغه لانه وعد على الحسنة عشر امثالها من الثواب
الى سبعين ضعفا والى سبعمائة والاضعاف الكثيرة والزيادة على المثل تفضل من الله سبحانه عليهم واما الذين استنكفوا اى انفوا عن
الاقرار بوحدانيته واستكبروا اى تعظموا عن الاذعان له بالطاعة والعبودية فيعذبهم عذابا اليما مؤلما موجعا ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا اى ولا يجدون المستنكفون المستكبرون لانفسهم وليا ينجيهم من عذابه وناصرا ينقذهم من عقابه قوله تعالى
يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى

رحمة

رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما ﴿ آيتان الحجة البرهان الشاهد بالحق وقيل البرهان يقال برهن قوله الى
الحجة والاعتصام الامتناع واعتصم فلان بالله اى امتنع من الشر به والعصمة من الله دفع الشر عن عبده واعتصمت فلانا
هيأت له ما يعتصم به والعصمة من الله تعالى على وجهين احدهما بمعنى الحفظ هو ان يمنع عبده كيد الكايدين كما قال سبحانه لنبيه ص
والله يعصمك من الناس والاخر ان يلطف لعبده بشئ يمتنع عنده من المعاصى الاعراب صراطا انتصب على انه مفعول ثان
ليهديهم فانه على معنى يعرفهم صراطا ويجوز ان يكون حالا من الهاء فى اليه بمعنى ويهديهم الى الحق صراطا المعنى لما فصل سبحانه
ذكر الاحكام التى يجب العمل بها ذكر البرهان بعد ذلك ليكون الانسان على ثقة ويقين فقال يا ايها الناس وهو خطاب للمكلفين
من ساير الملك الذى قص قصصهم وهذه السورة قد جاءكم برهان من ربكم اى اتاكم حجة من الله تعالى برهن لكم عن صحة ما امركم
به وهو محمد صلى الله عليه وآله لما معه من المعجزات القاهرة الشاهدة بصدقه وقيل هو القرآن وانزلنا اليكم معه نورا مبينا يبين لكم
المحجة الواضحة ويهديكم الى ما فيه النجاة من عذابه واليم عقابه وذلك النور هو القرآن عن مجاهد وقتادة والسدى وقيل النور ولاية
على ع عن ابى عبد الله ع فاما الذين آمنوا بالله اى صدقوا بوحدانية الله تعالى واعترفوا ببعث محمد صلى الله عليه وآله واعتصموا به
اى تمسكوا بالنور الذى انزله الى نبيه فسيدخلهم فى رحمة منه اى نعمته وهى الجنة عن ابن عباس وفضل يعنى ما يبسط لهم من الكرامة
وتضعيف الحسنات وما يزادهم من النعم على ما يستحقونه ويهديهم اليه صراطا مستقيما اى يوفقهم لاصابة فضله الذى يتفضل به
على اوليائه ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته واقتفاء آثارهم والاهتداء بهداهم والاستنان بسنتهم واتباع دينهم
وهو الصراط المستقيم الذى ارتضاه الله منهجا لعباده قوله تعالى يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ
لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ
كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ آية اللغة
قد ذكر معنى الكلالة فى اول السورة والاستفتاء السؤال عن الحكم وهو استفعال من الفتيا ويقال افتى فى المسئلة اذا بين حكمها
فتوى وفتيا الحجة يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة يسأل عن اى الفعلين اعمل فى الكلالة والجواب ان للعمل الثانى وهو
يفتيكم والتقدير يستفتونك فى الكلالة قل الله يفتيكم فيها اى فى الكلالة واعمال الفعل الثانى هو الاجود عليه جاء القرآن نحو قوله واذا
قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله فاعمل استغفر ولو اعمل تعالى لقال تعالوا يستغفر لكم رسول الله ومنه قول طفيل وكمتاء
مدماة كان بطونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب فلو اعمل جرى لقال واستشعرته لون مذهب ومثل ذلك قول كثير قضى كل
ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها فاعمل وفى ولو اعمل قضى لقال قضى كل ذى دين فوفاه غريمه وهو كثير فى القرآن
والشعر وقوله ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ باضمار فعل يفسره ما بعده وتقديره ان هلك امرؤ هلك ولا يجوز اظهاره لان الثانى
يعبر عنه وقوله فان كانتا اثنتين وان دلت الالف عليهما الاحدا من اما ان يكون تاكيدا للمضمر كما تقول فعلت انا واما ان بين ان
المطلوب فى ذلك العدد دون غيره من الصفات من صغير او كبير او عقل او عدم بل متى ثبت العدد ثبت الميراث وهذا قول ابى على
الفارسى وهو الصحيح وقوله رجالا ونساء بدل من قوله من اخوة وهو خبر كان وقوله يبين الله لكم ان ان تضلوا فى ان ثلثة اقوال
احدها ان المعنى ان لا تضلوا اضمر حرف النفى وتلخيصه لئلا تضلوا عن الكسائى وانشد القطامى رأينا ما يرى البصراء فيها فآلينا عليها
ان تباعا يريد ان لا تباع وثانيها ما قال البصريون ان المعنى كراهة ان تضلوا فهو على هذا فى موضع نصب بانه مفعول له ومثله
قول عمرو بن كلثوم فعجلنا القرى ان تشتمونا اى كراهة ان تشتمونا قالوا ولا يجوز ان يضمر لا لانه حرف جاء لمعنى فلا يجوز حذفه
ولكن يجوز ان تدخل لا فى الكلام مؤكدة وهى لغو كقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اى لا يقدرون المعنى لان يعلم وكقول الشاعر وما
الوم البيض الا تسخرا اذا رأين الشمط القفندرا المعنى ان تسخر وثالثها ما قاله الاخفش وهو ان مع الفعل بتاويل المصدر وموضع
ان نصب بين وتقديره يبين الله لكم الضلال لتجتنبوه النزول اختلف فى سبب نزول الآية فروى عن جابر بن عبد الله انه قال
اشتكيت وعندى تسع اخوات لى فدخل على النبى صلى الله عليه وآله فنفخ فى وجهى فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصى لاخواتى

حزب اجزو ٦

بالثلثين قال احسن قلت الشطر قال احسن ثم خرج وتركني ورجع الى فقال يا جابر انى لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد
قد انزل فى الذى لاخواتك فجعل لهن الثلثين قالوا وكان جابر يقول انزلت هذه الآية فى عن قتادة قال ان الصحابة كان همهم شان
الكلالة فانزل الله فيها هذه الآية وقال البراء بن عازب آخر سورة كاملة نزلت سورة برائة وآخر آية نزلت خاتمة النساء يستفتونك
الآية فى مسير كان فيه رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه وتسمى هذه الآية آية الصيف وذلك ان الله سبحانه انزل فى الكلالة
آيتين احدهما فى الشتاء وهى التى فى اول هذه السورة والاخرى فى الصيف وهى هذه الآية وروى عن عمر بن الخطاب انه قال سالت
رسول الله ص عن الكلالة فقال يجزيك ويكفيك آية الصيف المعنى لما بين سبحانه فى اول السورة بعض سهام الفرائض ختم السورة
ببيان ما بقى من ذلك فقال يستفتونك يا محمد اى يطلبون منك الفتيا فى ميراث الكلالة قل الله يفتيكم اى يبين لكم الحكم فى الكلالة وهو
اسم الوالد والولد عن ابى بكر وجماعة من المفسرين ان امرؤ هلك ليس له ولد قال السدى يعنى ليس له ولد ذكر ولا انثى وهو يوافق
مذهب الامامية فمعناه ان مات رجل ليس له ولد ولا والد وانما اضمر فيه الوالد للاجماع ولان الكلالة يبنى عليه فان الكلالة
اسم للنسب المحيط بالميت دون الصبى والوالد يضيق الوالد والاخوة والاخوات هم المحيطون بالميت وله اخت يعنى وللميت اخت
لابيه وامه او لابيه لان ذكر اولاد الام قد سبق فى اول السورة فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعنى بان الاخت اذا
كانت الميتة ولها اخ من اب وام او من اب فالمال كله له بلا خلاف اذا لم يكن هناك ولد ولا والد فان كانتا اثنتين يعنى ان كانت
الاختان اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الاخ او الاخت من التركة وان كانوا اخوة رجالا ونساء اى اخوة واخوات مجتمعين لاب وام
او لاب فللذكر مثل حظ الانثيين دل فى قوله سبحانه ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد دلالة
على ان الاخ والاخت لا يرثان مع البنت لانه سبحانه شرط فى ميراث الاخ والاخت عدم الولد واسم الولد يقع على الابن والبنت بلا خلاف
بين اهل اللغة وما روى من الخبر فى ان الاخوات مع البنات عصبة خبر واحد يخالف نص القرآن والى هذا الذى ذكرناه ذهب ابن
عباس وهو المروى عن سادة اهل البيت ع يبين الله لكم امور مواريثكم ان تضلوا معناه كراهية ان تضلوا ولئلا تضلوا اى لئلا
تخطؤا فى الحكم فيها وقيل معناه يبين الله لكم جميع الاحكام لتهتدوا فى دينكم عن ابى مسلم والله بكل شئ عليم فايدته هنا بيان كونه سبحانه
عالما بجميع ما يحتاج اليه عباده من امر معاشهم ومعادهم على ما توجبه الحكمة وقد تضمنت الآية انزلها الله سبحانه فى اول هذه السورة
بيان ميراث الولد والوالد والآية التى بعدها بيان ميراث الازواج والزوجات من قبل الام وتضمنت هذه الآية التى ختم بها
السورة بيان ميراث الاخوة والاخوات من الاب والام او الاخوة والاخوات من قبل الام وتضمنت قوله سبحانه واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض فى كتاب الله ان تدانى القربى سبب فى استحقاق الميراث فمن كان اقرب رحما وادنى قرابة كان اولى بالميراث من الابعد
والخلاف بين هذه الفقهاء فى هذه المسائل وفروعها مذكور فى كتب الفقه **سورة المائدة** هى مدنية فى قول ابن عباس ومجاهد
وقال جعفر بن مبشر هى مدنية كلها الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم فانه نزل والنبى صلى الله عليه وآله واقف على راحلته فى حجة الوداع
عدد آيها هى مائة وعشرون آية كوفى وثلث وعشرون بصرى واثنان وعشرون فى الباقين اختلافها ثلث ايات بالعقود ويعفوا عن
كثير عن الكوفى فانكم غالبون بصرى **فضلها** ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر بعدد كل
يهودى ونصرانى يتنفس فى دار الدنيا عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وروى العياشى باسناده عن عيسى بن
عبد الله عن ابيه عن جده عن على عليه السلم قال كان القرآن ينسخ بعضه بعضا وانما يؤخذ من امر رسول الله صلى الله عليه وآله وكان
آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شئ لقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحى حتى وقفت وتدلى
بطنها حتى رايت سرتها تكاد تمس الارض واغمى على رسول الله ص حتى وضع يده على راس شيبة بن وهب الجمحى باسناده عن ابى الجارود
عن ابى جعفر محمد بن على ع قال من قرا سورة المائدة فى كل يوم خميس لم يلبس ايمانه بظلم ولا يشرك ابدا وباسناده عن ابى حمزة الثمالى قال
سمعت ابا عبد الله الصادق ع يقول نزلت المائدة كملا ونزل معها سبعون الف ملك **تفسيرها** لما ختم الله سورة النساء بذكر احكام
الشريعة افتتح سورة المائدة ايضا ببيان الاحكام واجمل ذلك بقوله اوفوا بالعقود ثم اتبعه بذكر التفصيل فقال بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد آيه

القراءة المشهور في القراءة حرم بضمتين وفي الشواذ قراءة الحسن ويحيى بن وثاب حرم ساكنة الراء الحجة هذا كما يقال في رسل وكتب
قال ابن جني في اسكان حرم مزية وذلك ان الراء فيه تكرير فكادت الراء الساكنة لما فيها من التكرير في حكم المتحرك كزيادة الصوت بالتكرير
نحوا من زيادة الحركة اللغة يقال وفى بعهده ووفاء واوفى ايفاء بمعنى واوفى لغة اهل الحجاز هي لغة القرآن والعقود جمع عقد بمعنى
المعقود وهو اوكد المعهود والفرق بين العقود والعهد ان العقد فيه معنى الاستيثاق والشد ولا يكون كل عقد عهدا واصله عقد الشيء
لغيره وهو وصله كما يعقد الحبل ويقال عقدت العسل فهو معقد قال عنترة وكان ربا او كحيلا معقدا حش العقود به جوانب قمقم والبهيمة
اسم لكل ذي اربع من دواب البر والبحر وقال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن ان يميز والحرم جمع حرام يقال
رجل حرام وقوم حرم قال الشاعر فقلت لها فيئي اليك فانني حرام واني بعد ذاك لبيب اي ملب الاعراب موضع ما يتلى عليكم
نصب بالاستثناء وغير محلى الصيد اختلف فيه فقيل انه منصوب على الحال مما في قوله اوفوا بالعقود من ضمير الذين آمنوا عن الاخفش
وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله احلت لكم بهيمة الانعام عن الكسائي وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله ما يتلى عليكم عن الربيع
وانتم حرم جملة في موضع الحال من محلى الصيد والصيد مجرور اللفظ منصوب في المعنى وقال الفراء يجوز ان يكون ما يتلى عليكم في موضع
رفع كما يقال جاء اخوتك الا زيد قال الزجاج هذا عند البصريين باطل لان المعنى عند هذا القائل جاء اخوتك الا زيد كانه يعطف
بالا كما يعطف بلا ويجوز عند البصريين جاء الرجال الا زيد على معنى جاء الرجال غير زيد فيكون الا زيد صفة للنكرة او ما قارب النكرة
من الاجناس المعنى خاطب الله سبحانه المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اي تقديره يا ايها المؤمنون وهو اسم تكريم وتعظيم
اوفوا بالعقود اي بالعهود عن ابن عباس وجماعة من المفسرين ثم اختلف في هذه العهود على اقوال احدها ان المراد بها العهود التي
كان اهل الجاهلية عاهد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة والمظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سوء وذلك هو الحلف عن ابن
عباس ومجاهد والربيع بن انس والضحاك وقتادة والسدي وثانيها ان العهود التي اخذها الله سبحانه على عباده بالايمان وطاعته
فيما احل لهم او حرم عليهم عن ابن عباس ايضا وفي رواية اخرى قال هو ما احل وحرم وما فرض وحد في القرآن كله فلا تتعدوا ولا تنكثوا
ويؤيده قوله والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه الى قوله سوء الدار وثالثها ان المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم
ويعقدها المرء على نفسه كعقد الايمان وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الحلف عن بن زيد وزيد بن اسلم ورابعها
ان ذلك امر من الله لاهل الكتاب بالوفاء بما اخذ به ميثاقهم من العمل بما في التورية والانجيل في تصديق نبينا صلى الله عليه وآله وما جاء به من
عند الله عن ابن جريج وابي صالح واقوى هذه الاقوال قول ابن عباس ان المراد بها عقود الله التي اوجبها على العباد في الحلال والحرام
والفرائض والحدود ويدخل في ذلك جميع الاقوال الاخر فيجب الوفاء بجميع ذلك الا ما كان عقدا في المعاونة على امر قبيح فان ذلك
محظور بلا خلاف ثم ابتدأ سبحانه كلاما آخر فقال احلت لكم بهيمة الانعام واختلف في تأويله على اقوال احدها ان المراد به الانعام
وانما ذكر البهيمة للتأكيد كما يقال نفس الانسان فمعناه احلت لكم الانعام الابل والبقر والغنم عن الحسن وقتادة والسدي والربيع
والضحاك وثانيها ان المراد بذلك اجنة الانعام التي توجد في بطون امهاتها اذا اشعرت وقد ذكيت الامهات وهي ميتة فذكاتها ذكاة
امهاتها عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر عم وابي عبد الله عم وثالثها ان بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر
الوحش عن الكلبي والفراء والاولى حمل الآية على الجميع الا ما يتلى عليكم معناه الا ما يقرأ عليكم تحريمه في القرآن وهو قوله حرمت عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير الآية عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي غير محلى الصيد وانتم حرم من قال انه حال من اوفوا فمعناه
اوفوا بالعقود غير محلى الصيد وانتم محرمون اي في حال الاحرام ومن قال انه حال من احلت لكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام اي الوحشية
من الظباء والبقر والحمر غير مستحلين اصطيادها في حال الاحرام ومن قال انه حال من يتلى عليكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما يتلى عليكم من الصيد
في آخر السورة غير مستحلين اصطيادها في حال احرامكم ان الله يحكم ما يريد معناه ان الله يقضي في الخلق ما يشاء من تحليل وتحريم ما يريد تحريمه وايجاب ما
يريد ايجابه وغير ذلك من احكامه وقضاياه فافعلوا ما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وفي قوله احلت لكم بهيمة الانعام دلالة على تحليل اكلها وذبحها والانتفاع بها

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ● آية القراءة قرا ابن
عامر وابو بكر عن عاصم واسمعيل عن نافع شنأن بسكون الاولى فى الموضعين والباقون شنان بفتحها وقرا ابن كثير وابو عمرو ان صدوكم بكسر
الهمزة والباقون بفتحها الحجة من قرا شنأن بالفتح فحجته انه مصدر والمصدر يكون على الفعلان نحو الضربان والغليان ومن قرا
شنأن فحجته ان المصدر يجيء على فعلان ايضا نحو الليان كقول الشاعر وما العيش الا ما تلذ وتشتهى وان لام فيه ذو الشنان وفندا
يدل على الشنان بالسكون ايضا فخفف الهمزة والقى حركتها على الساكن قبلها وعلى القياس فيكون المعنى فى القرائتين واحدا وقوله
صدوكم من كسر ان جعل الجزاء وقوله صدوكم وان كان ماضيا فان الماضي قد يقع للجزاء وليس المراد على ان الجزاء يكون بالماضى ولكن
المراد ان ما كان مثل هذا الفعل فيكون اللفظ على ما مضى والمعنى على مثله كانه يقول ان وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا وعلى هذا
حمل الخليل وسيبويه قول الفرزدق أتغضب إذ أذنا قتيبة حزتا جهارا ولم تغضب لقتل ابن خازم وعلى ذلك قول الشاعر إذا ما انتسبنا
لم تلدنى لئيمة ولم تجدى من ان تقرى بدا فاسماء الولادة امر ماض وقد جعله جزاء والجزاء انما يكون بالمستقبل فكان المعنى ان تنتسب
لا تجدنى مولود لئيمة وجواب ان قد اغنى عنه ما تقدم من قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم لان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
فان الثانية فى موضع نصب بانه المفعول الثانى وان الاولى منصوبة لانه مفعول له اللغة الشعائر جمع شعيرة وهى اعلام الحج
واعماله واشتقاقها من قولهم شعر فلان بهذا الامر اذا علم به والمشاعر المعلوم من ذلك والاشعار من ذلك لحسن وقيل الشعيرة
العلامة والاية واحدة والحلال والحل المباح وهو ما لا حرج لفعله على تركه والحرام والحرم ضده وحريم البئر ما حولها لانها تحرم
على ما حازها والحرم الاحرام واحرم الرجل صار محرما واحرم فى الشهر الحرام ورجل حرمي منسوب الى الحرم والهدي ما يهدى الى الحرم
من النعم والقلائد جمع قلادة وهى ما يقلد به الهدي والتقليد فى البدن ان يعلق فى عنقها شئ ليعلم انها هدى والقلائد السوار
لانها كالقلادة اليد والام القصد يقال كذا امت اذا قصدته ويممت بمعناه قال الشاعر انى كذلك اذا ما ساءنى بلد يممت صدر
بعيرى غيره بلدا ومنه الامام الذى يقتدى به والامة الدين لانه يقصد والامة بالكسر النعمة لانها تقصد
ويقال حللت من الاحرام تحل والرجل حلال وقالوا احرم الرجل فهو حرام وقيس وتميم يقولون احل من احرامه فهو محل واحرم فهو
محرم والجرم القطع الكسب ولا يجرمنكم ولا يكسبنكم وهو فعل تعدى الى مفعولين وقيل معناه لا يحملنكم عن الكسائى قال بعضهم يقال جرمني
فلان على ان صنعت واستشهدوا بقول الشاعر ولقد طعنت اباعيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا اي حملت وقيل
احقت الطعنة لفزارة الغضب وقيل معناه كسبت فزارة الغضب وشنيت الرجل اشنأه شنأ وشنآ وشنآنا ابغضته وذهب
سيبويه الى انما كان من المصادر على ان فعلان بالفتح لم يتعد فعله الا ان يشذ شئ نحو شنئته اشنأه شنانا وقد قال سيبويه وقد قالوا لويته
حقه ليانا على فعلان فعلى هذا يجوز ان يكون شنآن مصدرا مثله وقال ابو زيد شنآن وامراة شنآنة مصروفان ويقال ايضا رجل
شنآن غير منصرف وامراة شنأى فقد جاء الشنآن مصدرا ووصفا وهما جميعا قليلان النزول قال ابو جعفر الباقر ع نزلت هذه الاية
فى رجل من بنى ربيعة يقال له الحطم وقال السدى اقبل الحطم بن هند البكرى حتى اتى النبى صلى الله عليه وآله وحده وخلف خيله خارج
المدينة فقال الى ما تدعو وقد كان النبى ص قال لاصحابه يدخل عليكم اليوم رجل من بنى ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما اجابه النبي
صلى الله عليه وآله قال انظرني لعلى اسلم ولى من اشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد دخل بوجه كافر
وخرج بعقب غادر فمر بسرح من سروح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعى ابل
ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم
ثم اقبل من عام قابل حاجا قد قلد هديا فاراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يبعث اليه فنزلت هذه الاية ولا آمين البيت الحرام وهو
وهو قول عكرمة وابن جريج وقال ابن زيد نزلت يوم فتح مكة فى فرسان يؤمون البيت من المشركين يهلون بعمرة فقال المسلمون

يا رسول الله هؤلاء المشركون مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم فانزل الله تعالى الاية المعنى ثم ابتدأ سبحانه بتفصيل الاحكام وقال يا ايها
الذين آمنوا اى صدقوا الله ورسوله فيما اوجبه عليهم لا تحلوا شعائر الله اختلف فى معنى شعائر الله على اقوال احدها ان معنى لا تحلوا
حرمات الله ولا تتعدوا حدوده وحملوا الشعائر على المعالم اى معالم حدود الله وامره ونهيه وفرائضه عن عطاء وغيرها وثانيها ان
معناه لا تحلوا الشعائر على معالم حرم الله من البلاد عن السدى وثالثها ان معنى شعائر الله مناسك الحج اى لا تحلوا مناسك الحج
فتضيعوها عن ابن جريج عن ابن عباس ورابعها ما روى عن ابن عباس ان المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة
المشاعر وينحرون فى حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وخامسها ان شعائر الله هم الصفا والمروة والهدي
من البدن وغيرها عن مجاهد وقال الفراء كانت العرب لا ترى الصفا والمروة من شعائر الله ولا يطوفون بينهما فنهاهم الله عن ذلك وقال
خامسها ان شعائر الله هم الصفا والمروة عن ابى جعفر وسادسها ان المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم فى احرامكم عن ابن عباس فى رواية
اخرى وسابعها ان الشعائر هى العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم نهاهم الله سبحانه ان يتجاوزوها الى مكة بغير احرام عن
ابى على الجبائى وثامنها ان المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة اى المعلمة لتهدى الى بيت الله عن الزجاج والحسين بن على المغربى واختاره البلخى
واقوى الاقوال هو القول الاول لانه يدخل فيه جميع الاقوال من مناسك الحج وغيرها وحمل الاية على ما هو الاعم اولى ولا الشهر الحرام
معناه ولا تستحلوا الشهر الحرام بان تقاتلوا فيه اعداءكم من المشركين كما قال سبحانه يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه
كبير عن ابن عباس وقتادة واختلف فى معنى الشهر الحرام هنا فقيل هو رجب وكانت تحرم فيه القتال وقيل هو ذو القعدة عن عكرمة
وقيل هى الاشهر الحرم كلها نهاهم الله عن القتال فيها عن الجبائى والبلخى وهذا اليق بالعموم وقيل اراد به النسئ كقوله انما النسئ زيادة فى
الكفر عن القتيبى ولا الهدى اى ولا تستحلوا الهدي وهو ما يهدي به الانسان من بعير او بقرة او شاة الى بيت الله تعالى تقربا اليه و
طلبا للثواب فيكون المعنى لا تستحلوا ذلك فتغصبوه اهله ولا تحلوا بينهم وبين ان يبلغوه محله من الحرم ولكن خلوهم حتى يبلغوا به
المحل الذى جعله له وقوله ولا القلائد معناه ولا تحلوا القلائد وفيه اقوال احدها انه عنى بالقلائد الهدي المقلد وانما كرره لانه
اراد المنع من حل الهدى الذي لم يقلد والهدى الذى قلد عن ابن عباس واختاره الجبائى وثانيها ان المراد بذلك القلائد التى كان
المشركون يتقلدونها اذا ارادوا الحج مقبلين الى مكة من لحاء السمر واذا خرجوا منها الى منازلهم منصرفين منها الى المشعر عن قتادة قال
كان فى الجاهلية اذا خرج الى الحل من اهله يريد الحج يقلد من السمر فلا يعرض له احد واذا رجع تقلد قلادة شعر فلا يتعرض له احد
وقال عطا انهم كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون به اذا خرجوا من الحرم وقال الفراء اهل الحرم كانوا يتقلدون بلحاء الشجر
واهل غير الحرم كانوا يتقلدون بالصوف والشعر وغيرها وثالثها انه عنى به المؤمنين نهاهم ان ينزعوا شيئا من شجر الحرم يتقلدونه به
كما كان المشركون يفعلونه فى جاهليتهم عن عطا وفى رواية اخرى والربيع بن انس ورابعها ان القلائد ما يقلد به الهدي نهاهم
عن حلها لانه كان يجب ان يتصدق بها عن ابى على الجبائى وقال هو صوف يفتل ويعلق به على عنق الهدي وقال الحسن هو نعل يقلد
بها الابل والبقر ويجب التصدق بها ان كانت لها قيمة والاولى ان يكون نهيا عن استحلال القلائد فيدخل فيه الانسان والبهيمة
ويكون نهيا عن استحلال حرمة المقلد هديا كان ذلك او انسانا ولا آمين البيت اى ولا تحلوا قاصدين البيت الحرام اى لا تقاتلوهم
لانه من قاتل فى الاشهر الحرم فقد احل فقال لا تحلوا قتال الآمين البيت الحرام اى القاصدين والبيت الحرام بيت الله بمكة وهو
الكعبة سمى حراما لحرمته وقيل لانه يحرم فيه ما يحل فى غيره واختلف فى المعنى بذلك فمنهم من حمله على الكفار واستدل بقوله فيما بعد
ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية ومنهم من حمله على من اسلم فكانه نهى ان يؤخذ بعد السلام برجل لجاهليه لان الاسلام يجب ما قبله
يبتغون اي يطلبون يعنى الذين يؤمون البيت فضلا من ربهم ورضوانا اي ارباحا فى تجاراتهم من الله وان يرضى عنهم نبيكم
على زعمكم فلا يرضى الله عنهم وهم مشركون وقيل يلتمسون رضوان الله عنهم بان لا يحل بهم ما حل بغيرهم من الامم من العقوبة فى
عاجل دنياهم عن قتادة ومجاهد وقيل فضلا من الله فى الآخرة ورضوانا منه فيها وقيل فضلا فى الدنيا ورضوانا فى الآخرة وقال ابن
عباس ان ذلك فى كل من توجه حاجا وبه قال الضحاك والربيع واختلف فى هذا فقيل منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

من اكثر المفسرين وقيل لم ينسخ من هذه السورة شيء ولا من هذه الآية لانه لا يجوز ان يبتدئ المشركون في الاشهر الحرم بالقتال الا اذا قاتلوا عن ابن جريج وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وروي نحوه عن الحسن وذكر ابو مسلم ان المراد به الكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وآله فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر ودخلوا في حكم قوله سبحانه فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد عن الشعبي ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وانما نسخ منها قوله ولا الشهر الحرام الى آمين البيت الحرام ذكر ذلك بن ابي عروبة عن قتادة قال نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا في السنة التي نادى علي فيها بالاذان وهو قول ابن عباس وقيل لم ينسخ من هذه الآية الا القلائد عن ابن ابي نجيح عن مجاهد واذا حللتم فاصطادوا معناه اذا حللتم من احرامكم فاصطادوا الصيد الذي نهيتم ان تحلوه فاصطادوا اي ان شئتم حينئذ لان السبب المحرم قد زال عن جميع المفسرين ولا يجرمنكم اي ولا يحملنكم وقيل لا يكسبنكم شنآن قوم اي بغضاء قوم ان صدوكم اي لان صدوكم اي لاجل انهم صدوكم عن المسجد الحرام يعني النبي صلى الله عليه وآله لما صدوه وهم عام الحديبية ان تعتدوا وتعاونوا ومعناه لا تكسبوا المعنى بالنهي المخاطبون كما قالوا لا ارينك ههنا ولا تموتن الا وانتم مسلمون ومن جعل شنآن صفة فكانما اقام الصفة مقام الموصوف ويكون تقديره فلا يحملنكم بغض قوم والمعنى على الاول ومن قرأ ان صدوكم بكسر الالف فقد مر ذكر معناه ان تتجاوزوا حكم الله فيهم اي ما نهاكم عنه نهى الله المسلمين عن الطلب بذحل الجاهلية عن مجاهد وقال هذا غير منسوخ وهو الاولى وقال ابن زيد هو منسوخ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان هو استيناف كلام وليس بعطف على تعتدوا فيكون في موضع نصب امر الله سبحانه عباده بان يعين بعضهم بعضا على الاثم وهو ترك ما امرهم به وارتكاب ما نهاهم الله عنه من العدوان وهو مجاوزة ما حد الله سبحانه لعباده في دينهم وفرض لهم في انفسهم عن ابن عباس وابي العالية وغيرهما من المفسرين واتقوا الله ان الله شديد العقاب هذا امر منه سبحانه بالتقوى ووعيد وتهديد لمن تعدى حدوده وتجاوز امره يقول احذروا معصية الله فيما امركم به ونهاكم عنه فتستوجبوا عقابه وتستحقوا عذابه ثم وصف سبحانه عقابه بالشدة لانه نار لا يطفى حرها ولا يخمد جمرها نعوذ بالله منها **قوله تعالى**

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ آية **القراءة**

روي في الشواذ قراءة ابن عباس واكيل السبع وعن الحسن وما اكل السبع بسكون الباء وقراءة يحيى بن وثاب وابراهيم غير متجنف **الحجة** قال ابن جني الاكيلة اسم للمأكول كالنطيحة والاكل للحسن والعموم يصلح للمذكر والمؤنث تقديره مررت بشاة اكيل اي قد اكلها السبع الاسد ونحوه وتقول ما لنا طعام الا الاكيلة اي الشاة والجزور او المعدة للاكل وان كانت قد اكلت وهي بلا هاء فاكيل السبع ما اكل السبع بعضه والسبع التخفيف للسبع قال حسان بن عتبة بن ابي لهب من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع وقوله متجانف ومتجنف بمعنى وتفعل ابلغ من تفاعل فمتجنف بمعنى متميل ومتجانف مثل متمايل ومساود **اللغة** اصل الاهلال رفع الصوت بالشيء ومنه استهلال الصبي وهو صياحه اذا سقط من بطن امه ومنه اهلال المحرم بالحج والعمرة اذا لبى بر قال ابن احمر يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر وسمي الهلال هلالا لانه يرفع الصوت عنده ويقال خنقه خنقا اذا ضغطه ومنه المخنقة للقلادة والوقذ شدة الضرب يقال وقذتها اقذها وقذا واوقذتها ايقاذا اذا اثخنتها ضربا قال الفرزدق شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الابكار والتردي والهلاك والردى والتهور والنطيحة المنطوحة نقل من مفعول الى فعيل وانما يثبت فيها الهاء مثل ذبيحة ومثل عين كحيل وكف خضيب لانها دخلت في حيز الاسماء وقال بعض الكوفيين انما تحذف الهاء من فعيلة بمعنى مفعولة واجتزوا بفعيل اثبتوا فيه هاء التانيث ليعلم بثبوتها فيه انها صفة لمؤنث فيقال رأينا كحيلة وخضيبة والتذكية فري الاوداج والحلقوم لما كانت فيه حياة ولا يجوز يكون بحكم الميت واصل الذكاة في اللغة تمام الشيء فمن ذلك الذكاء في السن

والفهم

والفهم قال الخليل الذكاء ان يأتى فى السن على القروحة وهى ذات الحافر والبزول فى ذات الخف والصلوع فى ذات الظلف وذلك
تمام استكمال القوة قال زهير تفضله اذا اجتهدا عليها تمام السن منه والذكاء وفى المثل جرى المذكيات غلاب اى جرى المسان التى
قد اسنت مغالبة يريد ان المسان يحتمل ان تؤخذ بالطلبة لفضل قوتها والصغار لا تحمل غير ذلك وتدارى ويروى غلاء وهو جمع
غلوة اى هى تمتد امتدادا كما تريد وليست كالجذع الذى لا علم له فيخرج فى اول شرط اقصى ما عنده من الحضر ثم هو مسبوق ومعنى تمام السن
النهاية فى الشباب فاذا نقص عن ذلك او زاد فلا يقال ذا الذكاء فى الفهم ان يكون تاما سريع القبول وذكيت النار من هذا اى
اتممت اشعالها والنصب الحجارة التى كانوا يعبدونها واحدها نصب وجاز ان يكون واحدا وجمعه انصاب والازلام جمع
زلم وزلم وهو القدح والاستقسام طلب القسمة والقسم المصدر والقسم بالكسر والمخمصة شدة ضمور البطون وهو مفعلة
مثل المحسبة والمجبنة من خمص البطون وهو طيه اضطاره من الجوع وشدة السغب دون ان يكون مخلوقا كذلك قال النابغة اضطاره
والبطن ذو عكن خميص لين والنحر تنفجه بثدى مقعد لم يصفها بالجوع وانما وصفها بلطافة طى البطن واما قول الاعشى تبيتون
فى المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا فمن الاضطرار من الجوع والمتجانف المتمايل للاثم المنحرف اليه من جنف القدم
اذا مال وكل اعوج فهو احنف المعنى ثم بين سبحانه ما استثناه فى الاية المتقدم بقوله الا ما يتلى عليكم فقال مخاطبا للمكلفين حرمت
عليكم الميتة اى حرم عليكم اكل الميتة والانتفاع بها وهو كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره مما اباح الله اكله اهليهما
ووحشيهما فارقه روحه من غير تذكيه وقيل الميته كل ما فارقته الحيوة من دواب البر وطيره بغير تذكية فقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله
انه سمى الجراد والسمك ميتا فقال ميتتان مباحتان الجراد والسمك والدم اى وحرم عليكم الدم وكانوا يجعلونه فى المباعر
ويشوونه ويأكلونه فاعلم الله سبحانه ان الدم المسفوح اى المصبوب حرام عليكم فاما المتلطخ بالدم فانه كاللحم وما كان كاللحم
مثل الكبد فهو مباح واما الطحال فقد رووا الكراهية فيه عن على وابن مسعود واصحابهما واجمعت الامامية على انه حرام وذهب
سائر الفقهاء الى انه مباح ولحم الخنزير وانما ذكر لحم الخنزير ليبين انه حرام بعينه لا لكونه ميتة حتى انه لا يحل تناوله وان حصل
فيه ما يكون ذكاة لغيره وفائدة تخصيصه بالتحريم مع مشاركة الكلب اياه فى التحريم حالة وجود الحيوة وعدمها وكذلك السباع
والمسوخ وما لا يحل اكله من الحيوانات ان كثيرا من الكفار اعتادوا اكله والفوه اكثر ما اعتادوه فى غيره وما اهل لغير الله به موضع
ما رفع وقد ذكرنا معناه فى سورة البقرة وفيه دلالة على ان ذبايح من خالف الاسلام لا يجوز اكلها لانهم يذكرون عليه اسم غير الله
لانهم يعنون به من ابد شرع موسى ام اتخذ بعيسى او اتخذه ابناء وذلك غير الله فاما من اظهر الاسلام ودان بالتجسيم والتشبيه
والجبر او خالف الحق فعندنا لا يجوز اكل ذبيحته وفيه خلاف بين الفقهاء والمنخنقة وهى التى تدخل راسها بين شعبتين من شجرة
فتختنق او تموت عن السدى وقيل هى التى تختنق بحبل الصايد فتموت عن الضحاك وقتادة وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية
يخنقونها فيأكلونها والموقوذة وهى التى تضرب حتى تموت عن ابن عباس وقتادة والسدى والمتردية وهى التى تقع من جبل
او مكان عال او تقع فى بئر ولا على تذكية جاز ان يطعن ويضرب بالسكين فى غير المذبح حتى يبرد ثم يؤكل والنطيحة وهى التى
ينطحها غيرها فتموت وما اكل السبع اى وحرم عليكم ما اكل السبع يعنى قتله السبع وهى فريسة السبع عن ابن عباس وقتادة
والضحاك الا ما ذكيتم يعنى الا ما ادركتم ذكاته فذكيتموه من هذه الاشياء وموضع ما نصب بالاستثناء وروى عن السيدين
الصادق والباقر عم ان ادنى ما يدرك به الذكاة ان تدركه يتحرك اذنه او ذنبه او تطرف عينه وبه قال الحسن وقتادة وابرهيم
وطاوس والضحاك وابن زيد واختلف فى الاستثناء الى ماذا يرجع فقيل يرجع الى جميع ما تقدم ذكره من المحرمات سوى ما لا
يقبل الذكاة من الخنزير والدم عن ابن عباس وعلى عم وقيل هو استثناء من التحريم لا من المحرمات لان الميتة لا ذكاة لها ولا الخنزير
فمعناه حرمت عليكم ساير ما ذكر الا ما ذكيتم مما احله الله لكم بالتذكية فانه حلال لكم عن مالك وجماعة من اهل المدينة واختاره الجبائى
ومتى ما قيل ما وجه التكرار فى قوله والمنخنقة والموقوذة الى اخر ما عدد تحريمه مع انه افتتح الاية بقوله حرمت عليكم الميتة والميتة
تعم جميع ذلك واختلف اسباب الموت من خنق او وقذ او نطح او ما اهلك لغير الله به او اكل سبع فالجواب ان الفائدة فى ذلك انهم

كانوا لا يعدون الميت الا ما مات حتف انفه من دون شيء من هذه الاسباب فاعلمهم الله سبحانه ان حكم الجميع واحد وان وجه
الاستباحة هو التذكية المشروعة فقط قال السدي ان اناسا من العرب كانوا ياكلون جميع ذلك ولا يعدونه ميتا انما يعدون
الميت الذي يموت من الوجع وما ذبح على النصب يعني الحجارة التي كانوا يعبدونها من الاوثان عن مجاهد وقتادة وابن جريج
يعني وحرم عليكم ما ذبح على النصب اي على اسم الاوثان وقيل معناه وما ذبح للاوثان تقربا اليها واللام وعلى يتعاقبان الا ترا
الى قوله سبحانه فسلام لك من اصحاب اليمين بمعنى عليك وكانوا يقربون ويلطخون الاوثان بدمائهم قال ابن جريج ليست النصب
اصناما انما الاصنام ما يصور وينقش بل كانت احجارا منصوبة حول الكعبة وكانت ثلثمائة وستين حجرا وقيل كانت ثلثمائة منها
لخزاعة فكانوا اذا ذبحوا انضحوا الدم على ما اقبل البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة فقال المسلمون يا رسول الله كان اهل
الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن احق بتعظيمه فانزل الله سبحانه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الاية وان تستقسموا بالازلام
موضعه رفع اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام ومعناه طلب قسمة الارزاق بالقداح التي كانوا يتفاءلون بها في اسفارهم
وابتداء امورهم وهي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل لم يكتب عليه شيء فاذا
ارادوا سفرا او امرا يهتمون به ضربوا تلك القداح فان خرج السهم الذي عليه امرني ربي مضى الرجل لحاجته وان خرج الذي عليه
نهاني ربي لم يمض وان خرج الذي ليس عليه شيء اعادوها فبين الله تعالى ان العمل بذلك حرام عن الحسن وجماعة من المفسرين
وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن الصادقين ع ان الازلام عشرة سبعة لها انصباء وثلثة لا انصباء لها فالتي لها انصباء الفذ
والتوام والمسبل والنافس والحلس والرقيب والمعلى فالفذ له سهم والتوام له سهمان والمسبل له ثلثة اسهم والنافس له
اربعة اسهم والحلس له خمسة اسهم والرقيب له ستة اسهم والمعلى سبعة اسهم والتي لا انصباء لها السفيح والمنيح والوغد
وكانوا يعمدون الى الجزور فيجزئونه اجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها الى رجل وثمن الجزور على من تخرج له التي
لا انصباء لها وهو القمار فحرمه الله عز وجل وقيل هي كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها عن مجاهد وقيل هو الشطرنج
عن ابي سفيان ابن وكيع ذلكم فسق معناه جميع ما سبق ذكره فسق اي ذنب عظيم وخروج من طاعة الله الى معصيته عن ابن عباس
وقيل ان ذلك اشارة الى الاستقسام فسق وهو الاظهر اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ليس يريد يوما بعينه بل معناه الان يئس الكافرون
من دينكم كما يقول القائل اليوم قد كبرت يريد ان الله تعالى حول الخوف الذي كان يلحقهم من الكافرين اليهم ويئسوا من
بطلان الاسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به في قوله ليظهره على الدين كله والدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالقيام
به ومعنى يئسوا انقطع طمعهم من دينكم ان تتركوه وترجعوا منه الى الشرك عن ابن عباس والسدي وعطاء وقيل ان المراد باليوم
يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها في الاسلام عن مجاهد وابن جريج وابن زيد وكان يوم جمعة ونظر النبي صلعم
فلم ير الا مسلما موحدا ولم ير مشركا فلا تخشوهم خطاب للمؤمنين نهاهم الله ان يخشوا ويخافوا من الكفار ان يظهروا على دين
الاسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم واخشون اي ولكن اخشوني اي خافوني ان خالفتم امري وارتكبتم معصيتي ان احل
بكم عقابي عن ابن جريج وغيره اليوم اكملت لكم دينكم قيل فيه اقوال احدها ان معناه اكملت لكم فرايضي وحدودي وحلالي و
حرامي بتنزيل ما انزلت وبيان ما سنت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم وكان ذلك يوم عرفة عام
حجة الوداع عن ابن عباس والسدي واختاره الجبائي والبلخي قالوا ولم ينزل بعد هذا على النبي صلى الله عليه وآله شيء من الفرايض
في تحليل ولا تحريم وانه عم   بعد ذلك باحد وثمانين ليلة فان اعترض فقال اكان دين الله ناقصا وقتا من الاوقات
حتى اتمه في ذلك اليوم فجوابه ان دين الله لم يكن الا في كل حال ولكن لما كان معرضا للنسخ والزيادة فيه ونزول الوحي بتحليل شيء
وتحريمه لم يمتنع ان يوصف بالكمال اذا امن جميع ذلك فيه كما توصف العشرة بانها كاملة ولا يلزم ان توصف بالنقصان لما كانت المائة اكثر منها
واكمل وثانيها ان معناه اليوم اكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجونه دون المشركين فلا يخالطكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة و
اختاره الطبري قال لان الله سبحانه انزل بعده يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال الفراء وهي آخر آية نزلت وهذا الذي ذكره لو صح

لكان لهذا القول ترجيح لكن فيه خلاف وثالثها ان معناه اليوم كفيتكم الاعداء واظهرتكم عليهم كما تقول الان كمل لنا الملك وكمل لنا
ما نريد بان كفينا ما كنا نخافه عن الزجاج والمروي عن الامامين ابي جعفر وابي عبد الله ع انه انما انزل بعد ان نصب النبي صلى الله
عليه وآله عليا ع علما للانام يوم غدير خم عند منصرفه عن حجة الوداع قالا وهو آخر فريضة انزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة
وقد حدثنا السيد العالم ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال حدثنا ابو القسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازي
قال اخبرنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثنا احمد بن عمار بن خالد قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال حدثنا قيس
بن الربيع عن ابي هرون العبدي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال الله اكبر على اكمال
الدين واتمام النعمة ورضاء الرب برسالتي وولاية علي بن ابي طالب ع من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه
وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ورواه علي بن ابرهيم في تفسيره حدثني ابي عن صفوان عن العلا ومحمد بن مسلم عن
ابي جعفر ع قال كان نزولها بكراع الغميم فاقامها رسول الله ص بالجحفة وقال الربيع بن انس نزلت في المسير في حجة الوداع واتممت عليكم
نعمتي خاطب سبحانه المؤمنين بانه اتم النعمة عليهم باظهارهم على المشركين ونفيهم عن بلادهم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه واتممت
عليكم نعمتي بان اعطيتكم من العلم والحكمة ما لم يعط احد قبلكم نبي ولا امة وقيل ان تمام النعمة دخول الجنة ورضيت لكم الاسلام اي
ورضيت لكم الاستسلام لامري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده وفرايضه ومعالمه دينا اي طاعة منكم لي والفايدة
في هذا ان الله سبحانه لم يزل يصرف نبيه محمدا واصحابه في درجات الاسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة حتى اكمل لهم
شرايعه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم قال رضيت لكم الحال التي انتم عليها اليوم فالزموها ولا تفارقوها ثم عاد الكلام الى القصة
المتقدمة في التحريم والتحليل وانما ذكر قوله اليوم يئس الذين كفروا الى ورضيت لكم الاسلام دينا اعتراضا فمن اضطر في مخمصة معناه
فمن دعته الضرورة في مجاعة حتى لا يمكنه الامتناع من اكله عن ابن عباس وقتادة والسدي غير متجانف لاثم اي غير مايل الى اثم
وهو نصب على الحال يعني فمن اضطر الى اكل الميتة وما عدد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد لذلك ولا مختار له ولا مستحل
فان الله سبحانه اباح تناول ذلك له قدر ما يمسك به رمقه بلا زيادة عليه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وبه قال اهل العراق
وقال اهل المدينة يجوز ان يشبع منه عند الضرورة وقيل ان معناه قوله غير متجانف لاثم غير عاص بان يكون باغيا او عاديا او
خارجا في معصيته عن قتادة فان الله غفور في الكلام محذوف دل ما ذكر عليه والمعنى فمن اضطر الى ما حرمت عليه غير متجانف
لاثم فاكله فان الله غفور لذنوبه ساتر عليه لا يؤاخذه وليس يريد ان يغفر له عقاب ذلك الاكل لانه اباحه له ولا يستحق العقاب
على فعل المباح وهو رحيم اي رفيق بعباده ومن رحمته اباح لهم ما حرم عليهم في حال الخوف قوله تعالى يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ
قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ
عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ • آية القراءة المشهور في القراءة مكلبين بالتشديد وروي عن ابن مسعود
والحسن الحجة اكلاب الكلب هو اغراؤه بالصيد وايساده يقال كلبا كلبته كما يقال اسد واسدته ويحتمل ان يكون من اكلب
الرجل اذا كثرت كلابه كما يقال امشى اذا كثرت ماشيته والكلب بالتشديد صاحب الكلاب يقال رجل مكلب وكلاب اذا كان
صاحب صيد بالكلاب وقيل هو الذي يعلم الكلاب اخذ الصيد اللغة الطيب هو الحلال وقيل هو المستلذ والجوارح الكواسب
من الطير والسباع الواحدة جارحة وسميت جوارح لانها تكسب اربابها الطعام بصيدها يقال جرح فلان اهله خيرا اذا اكسبهم
خيرا وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ولا جارحة لفلان اي لا كاسبة له قال الاعشى بن ثعلبة ذات خد منضج ميسمها تذكر الجارح ما
كان اجترح اي اكتسب الاعراب ماذا احل لهم يحتمل ان يكون ما وحدها اسما وخبره قوله ذا واحل من صلة ذا وتقديره اي الذي
احل لهم ويحتمل ان يكون ما وذا اسما واحدا مرفوعا بالابتداء واحل خبره تقديره اي شيء احل لهم ومكلبين نصب على الحال اي وما علمتم
من الجوارح في حال مصيركم اصحاب كلاب تعلمونهن في موضع نصب ايضا بانه حال من مكلبين وقوله مما امسكن عليكم قيل ان
من هنا زايدة لان جميع ما يمسكه مباح كقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد وتقديره وينزل من السماء جبالا لانها برد وذكر في هذه

الآية غير ذا من الوجوه سنذكرها اذا انتهينا الى موضعه انشاء الله تعالى وقيل ان للتبعيض لانه لا يجوز ان يوكل جميع ما يمسكه

الكلب فان في جملته ما هو حرام من الدم والفرث والعدد وغير ذلك مما لا يجوز اكله نمعناه فكلوا ما اباح الله لكم مما امسكن عليكم النزول

عن ابى رافع قال جبرائيل عم الى النبى صلى الله عليه وآله يستاذن عليه فاذن له وقال اذنالك يا رسول الله فقال اجل ولكنا لا ندخل

بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرنى رسول الله صم ان اقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهينا الى امراة عندها كلب سح فتركته

رحمة لها وجئت الى رسول الله صم فاخبرته فامرنى فتوجهت وقتلت الكلب فجاءوا فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة

التى امرت بقتلها فسكت رسول الله صم فانزل الله هذه الآية فاذن رسول الله صم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن امساك

ما لا نفع فيها وامر بقتل العقور وما يضر ويؤذى وعن ابى حمزة الثمالى والحكم بن ظهير ان زيد الخيل وعدى بن حاتم الطائيين اتيا

رسول الله صلى الله عليه وآله فقالا ان فينا رجلين لهما ستة اكلب تاخذ البقر الوحش والظبا فمنها ما يدرك ذكاته ومنها ما يموت

وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا من هذا فانزل الله فكلوا مما امسكن عليكم وسماه رسول الله صم زيد الحسين المعنى لما قدم

سبحانه ذكر المحرمات عقبه بذكر ما احل فقال يسألونك يا محمد ماذا احل لهم اى يستخبرك المؤمنون ما الذى احل لهم من المطاعم

والمآكل وقيل من الصيد والذبائح قل يا محمد احل لكم الطيبات منها وهى الحلال الذى اذن لكم ربكم فى اكله من المأكولات والذبائح

والصيد عن ابى على الجبائى وابى مسلم وقيل ما لم يرد بتحريمه كتاب ولا سنة وهذا اولى لما ورد ان الاشياء كلها على الاطلاق و

الاباحة حتى يرد الشرع بالتحريم وقال البلخى الطيبات ما يستلذ وما علمتم من الجوارح اى واحل لكم ايضا مع ذلك صيد ما علمتم

من الجوارح اى الكواسب من سباع الطير او البهائم فحذف المضاف لدلالة قوله مما امسكن عليكم عليه ولانه جواب عن سؤال

السائل عن الصيد وقيل الجوارح هى الكلاب فقط عن ابن عمر والضحاك والسدى وهو المروى عن ائمتنا عم فانهم قالوا هى الكلاب

المعلمة خاصة احله الله اذا ادركه صاحبه وقد قتله لقوله فكلوا مما امسكن عليكم وروى على بن ابرهيم فى تفسيره باسناده عن ابى بكر

الحضرمى عن ابى عبد الله عم قال سألته عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب فقال لا تاكل الا ما ذكيت الا الكلاب فقلت

فان قتله قال كل فان الله يقول وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه

ثم قال عم كل الشئ من السباع تمسك الصيد على نفسها الا الكلاب المعلمة فانها تمسك على صاحبها وقال اذا ارسلت الكلب

المعلم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو ان يقول بسم الله والله اكبر ويؤيد هذا المذهب ما يأتى من بعد قوله مكلبين اى اصحاب

الصيد بالكلاب وقيل اصحاب التعليم للكلاب تعلمونهن مما علمكم الله اى تؤدبونهن حتى يصير معلمه مما الهمكم الله بعقولكم حتى

ميزتم بين المعلم وغير المعلم وفى هذا دلالة ايضا على ان صيد الكلب غير المعلم حرام اذا لم يدرك ذكاته وقيل معناه تعلمونهن كما علمكم

الله وهذا بعيد لان من بمعنى الكاف لا يعرف فى اللغة ولا تقارب بينهما لان الكاف للتشبيه ومن للتبعيض واختلف فى صفة

الكلب المعلم فقيل هو ان يستشلى لطلب الصيد اذا ارسله صاحبه ويمسك عليه اذا اخذه ويستجيب له اذا دعاه ولا يفر منه

فاذا توالى منه ذلك كان معلما عن سعد بن ابى وقاص وسلمان وابن عمر وقيل هو ما ذكرناه كله وان لا ياكل منه عن ابن عباس وعدى

بن حاتم وعطا والشعبى وطاووس والسدى وروى عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وآله قال اذا اكل الكلب من الصيد فلا

تاكل منه فانما امسك على نفسه وقيل حد التعليم ان يفعل ذلك ثلث مرات عن ابى يوسف ومحمد وقيل لا حد لتعلم الكلاب واذا

فعل ما قلناه فهو معلم ويدل على ذلك ما رواه اصحابنا انه اذا اخذ كلب المجوسى فعلمه فى الحال فاصطاد به جاز اكل ما يقتله وقد

تقدم ان عند اهل البيت عم لا يحل اكل الصيد غير الكلب الا ما ادرك ذكاته ومن اجاز ذلك قال ان تعلم البازى هو ان يرجع

الى صاحبه وتعلم كل جارحة من البهائم والطير هو ان يتلى على الصيد فيستشلى ويأخذ الصيد ويدعوه صاحبه فيجيب فاذا كان كذلك

كان معلما اكل منه او لم ياكل روى ذلك عن سلمان وسعد بن ابى وقاص وابن عمر وقال آخرون ما اكل منه فلا ياكل رووه عن على عليه السلام

والشعبى وعكرمه وقوله فكلوا مما امسكن عليكم اى مما امسك الجوارح عليكم وهذا يقوى قول من قال ما اكل منه الكلب لا يجوز اكله لانه

امسك على نفسه ومن شرط فى استباحة ما يقتله الكلب ان يكون صاحبه قد سمى عند ارساله فاذا لم يسم لم يجز له اكله الا اذا ادركه

ذكاته

ذكاته وادنى ما يدرك به ذكاته ان يجده تتحرك عينه او اذنه او ذنبه فيذكيه حينئذ بفري الحلقوم والاوداج واذكروا اسم الله عليه
اى قبل الارسال عن ابن عباس والحسن والسدى وقيل معناه اذكروا اسم الله على ما ذبح مما تذبحونه وهذا صريح فى وجوب التسمية
والقول الاول اصح واتقوا الله اى اجتنبوا ما نهاكم عنه فلا تقربوا واحذروا معاصيه التى منها اكل صيد الكلب غير المعلم او ما لم يمسك
او ما لم يذكر اسم الله عليه من الصيد والذبايح ان الله سريع الحساب قد تقدم تفسيره قوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو
فى الآخرة من الخاسرين آية المعنى ثم بين سبحانه فى هذه الآية ما يحل من الاطعمة والانكحة اتماما لما تقدم فقال اليوم احل
لكم الطيبات وقد مر معناه وهذا يقتضى تحليل كل مستطاب من الاطعمة الا ما قام الدليل على تحريمه وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم اختلف فى الطعام المذكور فى الآية فقيل المراد به ذبايح اهل الكتاب عن اكثر المفسرين واكثر الفقهاء وبه قال
جماعة من اصحابنا ثم اختلفوا فمنهم من قال اراد به ذباحة كل كتابى ممن انزل عليه التورية والانجيل ومن دخل فى ملتهم ودان بدينهم
عن ابن عباس والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى وعطاء وقتادة واجازوا ذبايح نصارى بنى تغلب ومنهم من قال عنى به
من انزلت التورية والانجيل عليهم او كان من ابنائهم فاما من كان دخيلا فيهم من ساير الامم ودان بدينهم فلا تحل ذبايحهم
حكى ذلك الربيع عن الشافعى وحرم ذبايح بنى تغلب من النصارى ورووا ذلك عن على ع وسعيد بن جبير وقيل المراد بطعام
الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم وغيرها من الاطعمة عن ابى الدرداء وابن عباس وابراهيم وقتادة والسدى والضحاك ومجاهد
وبه قال الطبرى والجبائى والبلخى وغيرهم وقيل انه مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه الى التذكية وهو المروى عن ابى عبد الله ع
وبه قال جماعة من الزيدية فاما ذبايحهم فلا تحل وطعامكم حل لهم معناه وطعامكم يحل لكم ان تطعموهم والمحصنات من المؤمنات
معناه واحل لكم العقد على المحصنات اى العفايف من المؤمنات عن الحسن والشعبى وابراهيم وقيل اراد الحراير عن مجاهد واختاره
ابو على فعلى هذا القول لا تدخل الاماء فى الاباحة مع القدرة على طول الحرة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
وهم اليهود والنصارى واختلف فى معناه فقيل هن العفايف حراير كن او اماء حربيات كن او ذميات عن مجاهد والحسن
والشعبى وغيرهم وقيل هن الحراير ذميات كن او حربيات وقال اصحابنا لا يجوز عقد نكاح الدوام على الكتابية لقوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن ولقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر واولوا هذه الآية بان المراد بالمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اللاتى اسلمن
منهن والمراد بالمحصنات من المؤمنات اللاتى كن فى الاصل مؤمنات بان ولدن على الاسلام وذلك ان قوما كانوا يتحرجون من
العقد على من اسلمت عن كفر فبين سبحانه انه لا حرج فى ذلك فلهذا افردهن بالذكر حكى ذلك ابو القسم البلخى قالوا ويجوز ان يكون
مخصوصا اى بنكاح المتعة وملك اليمين فان عندنا يجوز وطيهن بكلى الوجهين على انه قد روى ابو الجارود عن ابى جعفر ع انه
منسوخ بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وبقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقوله اذا آتيتموهن اجورهن اى مهورهن وهو عوض
الاستمتاع بهن عن ابن عباس وغيره محصنين غير مسافحين يعنى اعفاء غير زانين بكل فاجرة وهو منصوب على الحال ولا متخذى
اخدان ولا متفردين ببغية واحدة خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وقد تقدم معنى الاحصان والسفاح والاخدان فى سورة
النساء ومن يكفر بالايمان اى من يجحد بما امر الله بالاقرار به والتصديق من توحيد الله وعدله ونبوة نبيه فقد حبط عمله الذى عمله و
اعتقده قربة الى الله تعالى فانما تحبط الاعمال بان لا يستحق عليها ثواب وهو فى الآخرة من الخاسرين اى الهالكين وقيل المعنى بقوله ومن
يكفر بالايمان اهل الكتاب ويكون معناه ومن يمتنع عن الايمان ولم يؤمن وفى قوله فقد حبط عمله هنا دلالة على ان حبوط الاعمال لا يترتب
على ثبوت الثواب فان الكافر لا يكون له عمل يستحق عليه ثواب وانما يكون له عمل فى الظاهر لولا كفره لكان يستحق الثواب عليه فعبر
سبحانه عن هذا العمل بانه حبط فهو حقيقة معناه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد

منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ❁ آية القراءة قرا نافع وابن عامر ويعقوب والكسائى وحفص والاعشى عن ابى بكر عن عاصم وارجلكم بالنصب والباقون وارجلكم بالجر وقد ذكرنا اختلافهم فى لامستم النساء وسنذكر ما قيل فى ارجلكم على القراءتين فى المعنى لان الكلام فيه يتعلق بما اختلف فيه الامة من القول بوجوب غسل الرجلين او مسحهما او التخيير بين الغسل والمسح او وجوب الامرين كليهما على ما سنبينه انشاء الله تعالى الاعراب الجنب يقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث كما يقال رجل عدل ورجل رضى وقوم رضى ويقال رجل جنب وقوم جنب وامراة جنب وانما هو على تأويل ذو واجنب لانه مصدر والمصدر يقوم مقام ما اضيف اليه ومن العرب من يثنى ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل واجنب الرجل وجنب واصل الجنابة البعد قال علقمة فلا تحرمنى نائلا عن جنابة فانى امرئ وسط القباب غريب فاطهروا معناه فتطهروا الا ان التاء ادغم فى الطاء فسكن الاول الكلمة فزيد فيها الف الوصل وقيل اطهروا المعنى لما تقدم الامر بالوفاء بالعقود ومن جملتها اقامة الصلوة ومن شرايطها الطهارة بين سبحانه ذلك بقوله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم على غير طهر وحذف الارادة لان فى الكلام دلالة على ذلك ومثله قوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة والمعنى اذا اردت قراءة القرآن واذا كنت فاذا اردت ان تقيم لهم الصلوة وهو قول ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة تعليم الوضوء عن عكرمة واليه ذهب داوود قال وكان على عم يتوضأ لكل صلوة ويقرء هذه الآية وكان الخلفاء يتوضؤن لكل صلوة والقول الاول هو الصحيح واليه ذهب الفقهاء كلهم وما رووه من تجديد الوضوء فمحمول على الندب والاستحباب وقيل ان الفرض كان فى بدء الاسلام التوضؤ عند كل صلوة ثم نسخ بالتخفيف وبه قال ابن عمر قال حدثتنى اسماء بنت زيد بن الخطاب ان عبد الله بن حنظلة بن ابى عامر الغسيل حدثنا ان النبى صلى الله عليه وآله امر بالوضوء عند كل صلوة فشق ذلك عليه فامر بالسواك ورفع عنه الوضوء الا من حدث فكان عبد الله يرى ان فرضه على ما كان عليه وكان يتوضأ وروى سليمن بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضأ لكل صلوة فلما كان عام الفتح صلى الصلوات كلها بوضوء واحد فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله صنعت شيئا ما كنت تصنعه قال عمدا فعلته يا عمر وقيل ان هذا اعلام بان الوضوء لا يجب الا للصلوة لانه روى ان النبى صلى الله عليه وآله كان اذا احدث امتنع من الاعمال كلها حتى انه لا يرد جواب السلام حتى يتطهر للصلوة ثم يجب حتى نزلت هذه الآية فاغسلوا وجوهكم هذا امر منه سبحانه بغسل الوجه والغسل هو امرار الماء على المحل حتى يسيل والمسح هو ان يبل المحل بالماء من غير ان يسيل واختلف فى حد الوجه والمروى عن ائمتنا عم انه من قصاص شعر الراس الى محادر شعر الذقن طولا وما دخل بين الابهام والوسطى عرضا وقيل حده ما ظهر من بشرة الانسان من قصاص شعر راسه منحدرا الى منقطع دقنه طولا وما بين الاذنين عرضا دون ما غطاه الشعر من الذقن وغيره او كان داخل الفم والانف والعين فان الوجه عندهم ما ظهر بعين الناظر ويواجهه دون غيره كما قلناه وهو المروى عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهرى والشعبى وغيرهم واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه وقيل الوجه كلها دون منابت الشعر من الراس الى منقطع الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا ما ظهر من ذلك لعين الناظر من منابت شعر اللحية والعارض وما بطن وما كان منه داخل الفم والانف وما اقبل من الاذنين على الوجه عن انس بن مالك وام سلمة وعمار ومجاهد وسعيد بن جبير وجماعة واليه ذهب الشافعى وايديكم الى المرافق اى واغسلوا ذلك ايضا والمرافق جمع المرفق وهو المكان الذى يرتفق به اى يتكا عليه من اليد قال الواقدى كثير من النحويين يجعلون الى ههنا بمعنى مع ويوجبون غسل المرفق وهو مذهب اكثر الفقهاء وقال الزجاج لو كان معناه مع المرفق لم يكن فى المرافق فايدة وكانت اليد كلها يجب ان تغسل ولكنه لما قيل الى المرافق اقتطعت فى الغسل الى حد المرفق فالمرافق حد ما ينتهى اليه فى الغسل منها والظاهر على ما ذكره لكن الامة اجمعت على ان من بدا من المرفقين فى غسل اليدين صح وضوءه واختلفوا فيمن بدا من الاصابع الى المرفق واجمعت الامة ايضا على ان من غسل المرفقين صح وضوءه واختلفوا فيمن لم يغسلهما هل يصح وضوءه قال الشافعى لا اعلم خلافا فى ان

المرافق يجب غسلها وما جاء في القرآن الى بمعنى مع قوله تعالى من انصاري الى الله اي مع الله وقوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم
ونحوه قول امرئ القيس له كفل كالدعص لبده الثرى الى حارك مثل الرتاج المضبب وفي امثال ذلك كثيرة وامسحوا برؤسكم
وهذا امر بمسح الراس والمسح ان يمسح شيئا بدلك كمسح العرق عن جبينك والظاهر لا يوجب التعميم في مسح الراس لان من مسح البعض
يسمى ماسحا والى هذا ذهب اصحابنا قالوا يجب ان يمسح ما يقع عليه اسم المسح وبه قال عمر وابراهيم والشعبي وهو مذهب الشافعي
وقيل يجب مسح جميع الراس وهو مذهب مالك وقيل يجب مسح ربع الراس هذا عند ابي حنيفة وروى عنه روايات في ذلك لا نطول
بذكرها وارجلكم الى الكعبين اختلف في ذلك فقال جمهور الفقهاء ان فرضهما الغسل وقالت الامامية فرضهما المسح دون غيره وبه قال
عكرمه وقد روى القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس وانس وابي العاليه والشعبي وقال الحسن البصري
بالتخيير بين المسح والغسل واليه ذهب الطبري والكسائي والجبائي الا انهما قالا يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار
على مسح ظاهر القدم قال ناصر الحق من جملة ائمة الزيدية يجب الجمع بين الغسل والمسح وروى عن ابن عباس انه وصف وضوء
رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح على رجليه وروى عنه انه قال ان كتاب الله المسح ويأبى الناس الا الغسل وقال الوضوء غسلتان ومسحتان وقال
قتاده افترض الله غسلتين ومسحتين وروى ابن عليه عن حميد عن موسى بن انس انه قال انس ونحن عنده ان الحجاج خطبنا بالاهواز
فذكر الطهور فقال اغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤسكم وانه ليس شيء من ابن آدم اقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما
وظهورهما وعراقيبهما فقال انس صدق الله وكذب الحجاج قال الله سبحانه وامسحوا برؤسكم وارجلكم قال فكان انس اذا مسح قدميه
بلهما وقال الشعبي نزل جبرائيل عليه السلم بالمسح الا ترى ان في التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحا وقال يونس حدثني من صحب عكرمة
الى واسط قال فما رأيته غسل رجليه انما كان يمسح عليهما واما ما روى عن سادة اهل البيت عليهم السلم في ذلك اكثر من ان يحصى
فمن ذلك ما رواه الحسين بن سعيد الاهوازي عن فضالة عن حماد بن عثمان عن غالب بن هذيل قال سألت ابا جعفر عليه السلم
عن المسح عن الرجلين فقال هو الذي نزل به جبرائيل عليه السلم وعنه عن احمد بن محمد قال سألت ابا الحسن موسى بن جعفر عليه السلم
عن المسح عن القدمين كيف فوضع كفه على الاصابع ثم مسحهما فقلت له لو ان رجلا قال باصبعين من اصابعه هكذا الى الكعبين
قال لا الا بكفه كلها واما وجه القرائتين في ارجلكم فمن قال الغسل حمل الجر فيه على انه عطف على رؤسكم فان المراد المسح هو الغسل
وروى عن ابي زيد انه قال المسح خفيف الغسل فقد قالوا تمسحت للصلوة وقوى ذلك بان له التحديد والتوقيف انما جاء في المغسول
ولم يجئ في الممسوح فلما جاء وقع التحديد في المسح علم انه في حكم الغسل لموافقته للغسل في التحديد وهذا قول ابي
علي الفارسي وقال بعضهم هو خفض على الجوار كما قالوا جحر ضب خرب وخرب من صفات الجحر لا الضب كما قال امرؤ القيس كان
ثبيرا في عرانين وبله كبير اناس في بجاد مزمل وقال الزجاج اذا قرئ بالجر يكون عطفا على الرؤس فيقتضي كونه ممسوحا وذكر عن بعض
المسلمين انه قال نزل جبرائيل عليه السلم بالمسح والسنة الغسل قال والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله تعالى ولكن المسح على هذا
التحديد في القرآن كالغسل وقال الاخفش هو معطوف على الرؤس في اللفظ مقطوع عنه في المعنى كقول الشاعر علفتها تبنا
وماء باردا المعنى وسقيتها ماء باردا واما القراءة بالنصب فقالوا فيه انه معطوف على ايديكم لانا رأينا فقهاء الامصار عملوا على
الغسل دون المسح ولما روى ان النبي صلى الله عليه وآله رأى قوما توضأوا واقدامهم تلوح فقال ويل للعراقيب من النار ذكره
ابو علي الفارسي واما من قال بوجوب مسح الرجلين حمل الجر والنصب في وارجلكم على ظاهره من غير تعسف فالجر للعطف على الرؤس
والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور وامثال ذلك في كلام العرب اكثر من ان يحصى قالوا ليس فلان بقائم ولا ذاهبا وانشد
معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا وقال تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
فعطف بعبد على موضع دينار فانه منصوب في المعنى وابعد من ذلك قول الشاعر جئني ببني بدر لقومهم او مثل اخوة منظور بن سيار
فلما كان معنى جئني هات او احضر لي مثلهم عطف بالنصب على المعنى واجابوا للاولين عما ذكروا في وجه الجر والنصب من وجوه
احدها ان فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة وقد فرق الله سبحانه بين الاعضاء المغسولة وبين الاعضاء الممسوحة فكيف

يكون معنى الغسل والمسح واحدا وثانيها ان الارجل كذلك لان حقيقة العطف تقتضي ذلك وثالثها ان المسح لو كان بمعنى الغسل
لسقط استدلالهم بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه توضأ وغسل رجليه لان هذا لا ينكر ان يكون مسحهما فسموا المسح غسلا وفي
هذا ما فيه فاما استشهادابى زيد بقولهم تمسحت للصلوة فالمعنى فيه انهم لما ارادوا ان يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجز ان
يقولوا تغسلت للصلوة لان ذلك تشبيه بالغسل قالوا بدلا من ذلك تمسحت لان المغسول من الاعضاء ممسوح ايضا فتجوزوا بذلك
تعويلا على ان المراد مفهوم وهذا لا يقتضي ان يكونوا جعلوا المسح من اسماء الغسل واما ما قالوه فى تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر
المرتضى قدس الله روحه فى الجواب عنه ان ذلك لا يدل على الغسل وذلك لان المسح فرض جنسه الشريعة كالغسل فلا ينكر تحديده
كتحديد الغسل ولو صرح سبحانه فقال وامسحوا ارجلكم وانتهوا بالمسح الى الكعبين لم يكن منكرا فان قالوا ان تحديد اليدين لما اقتضى
الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضي الغسل قلنا انا لم نوجب الغسل فى اليدين بالتحديد بل التصريح بغسلهما وليس كذلك فى
الرجلين وان قالوا عطف المحدود على المحدود اولى واشبه بترتيب الكلام قلنا هذا لا يصح لان الايدي معطوفة وهي محدودة على
الوجوه التي ليست فى الاية محدودة فاذا جاز عطف الارجل وهي محدودة على الرؤس التي ليست محدودة وهذا اشبه مما ذكروه
لان الآية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه وعطف عضو محدود مغسول عليه ثم استونف ذكر عضو ممسوح غير
محدود فيجب ان تكون الارجل ممسوحة غير محدودة واما من قال انه عطف على الجوار فقد ذكرنا عن الزجاج انه لم يجوز ذلك
فى القرآن ومن اجاز ذلك فى الكلام فانما يجوز مع فقد حرف العطف وكل ما استشهد به على الاعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حائل بين
هذا وذاك وايضا فان المجاورة انما ورد فى كلامهم عند ارتفاع اللبس والامن من الاشتباه فان احدا لا يشتبه عليه ان يكون خرب من
صفة الضب ولفظه من مل لا يكون من صفة النجاد وليس كذلك الارجل فانها يجوز ان تكون ممسوحة كالرؤس وايضا فان
المحققين من النحويين نفوا ان يكون الاعراب بالمجاورة جايزا فى كلام العرب وقالوا فى جحر ضب خرب انهم ارادوا جحر خرب فحذف
المضاف الذي هو جحر واقيم المضاف اليه وهو الضمير المجرور مقامه واذا ارتفع الضمير استكن فى خرب وكذلك القول فى كبير اناس
فى بجاد مزمل فتقديره من مل كبيره فبطل الاعراب بالمجاورة جملة وهذا واضح لمن تدبره واما من جعله مثل قول الشاعر علفتها تبنا وماء
باردا كانه قدر فى الاية واغسلوا ارجلكم فقولها بعد من الجميع لان مثل ذلك لو جاز فى كتاب الله تعالى على ضعفه وبعده فى ساير
الكلام فانما يجوز اذا استحال حمله على ظاهره فاما اذا كان الكلام مستقيما ومعناه ظاهرا فكيف يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد
واما ما قاله ابو على فى القرآن بالنصب على انه معطوف على الايدي فقد اجاب عنه المرتضى قدس الله روحه بان قال جعل التاثير
فى الكلام القريب اولى من جعله للبعيد فنصب الارجل عطفا على الموضع اولى من عطفها على الايدى والوجوه على ان الجملة الاولى
المأمور فيها بالغسل فقد نقضت وبطل حكمها باستيناف الجملة الثانيه ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الاولى ان تعطف على ما
فيها فان ذلك يجري مجرى قولهم ضربت زيدا وعمروا واكرمت خالدا وبكرا فان رد بكر الى خالد فى الاكرام هو الكلام الذى لا يسوغ
سواه ولا يجوز رده الى الضرب الذي قد انقطع حكمه ولو جاز ذلك ايضا لترجح ما ذكرناه ليتطابق معنى القرائتين ولا يتنافيان فاما
ما روى فى الحديث انه عليه السلم قال ويل للعراقيب من النار وغير ذلك من الاخبار التي رووها عن النبي صلى الله عليه وآله انه
توضأ وغسل رجليه فالكلام فى ذلك انه لا يجوز ان يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الاخبار الذي لا يوجب علما وانما يقتضي
الظن على ان هذه الاخبار معارضة باخبار كثيرة وردت من طرقهم ووجدت فى كتبهم ونقلت عن شيوخهم مثل ما روى عن اوس
بن ابى اوس انه قال رايت النبي صلى الله عليه وآله توضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى وعن حذيفة قال ان رسول الله ص اتى سباطة
قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوضأ ثم مسح على قدميه ذكره ابو عبيدة فى غريب الحديث الى غير ذلك مما يطول ذكره وقوله ويل
للعراقيب من النار فقد روى فيه ان قوما من اجلاف العرب كانوا يبولون وهم قيام فيترشش البول على اعقابهم وارجلهم فلا
يغسلونها ويدخلون المسجد للصلوة وكان ذلك سببا لهذا الوعيد واما الكعبان فقد اختلف فى معناهما فعند الامامية هما العظمان
الناتيان فى ظهر القدم عند معقد الشراك ووافقهم فى ذلك محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة وان كان اوجب غسل الرجلين الى

هذا

هذا الموضع وقال جمهور المفسرين والفقهاء هما عظمان الناتيان قالوا ولو كان كما قالوه لقال سبحانه وارجلكم الى الكعبين لان على ذلك
القول يكون فى كل رجل كعبان وان كنتم جنبا فاطهروا معناه وان كنتم جنبا عند القيام الى الصلوة فتطهروا بالاغتسال وهو ان تغسلوا
جميع البدن والجنابة انما تكون بانزال الماء الدافق على كل حال وبالتقاء الختانين وحده غيبوبة الحشفة فى الفرج سواء كان معه
انزال او لم يكن وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه قد تقدم تفسيره فى سورة النساء فلا معنى لاعادته ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج معناه ما يريد الله بما فرض عليكم
من الوضوء اذا قمتم الى الصلوة والغسل من الجنابة والتيمم عند عدم الماء او تعذر استعماله ليلزمكم فى دينكم من ضيق ولا ليعنتكم فيه عن
مجاهد وجميع المفسرين ولكن يريد ليطهركم بما فرض عليكم من الوضوء والغسل من الاحداث والجنابة اى ينظف اجسادكم بذلك
من الذنوب واللام دخلت فيه لتبيين الارادة اى يريد ذلك لتطهيركم كما قال الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لى ليلى بكل سبيل
ويؤيد ما قلناه ما روى عن قتادة عن شهر بن حوشب عن ابى امامة ان النبى صلى الله عليه وآله قال ان الوضوء يكفر ما قبله وليتم
نعمته عليكم اى ويريد الله تعالى مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم اياه فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل اذا قمتم الى الصلوة مع
وجود الماء والتيمم عند عدمه ان يتم نعمته باباحته لكم التيمم وتصييره لكم الصعيد طهورا رخصة لكم منه مع سوابغ نعمه التى انعم
بها عليكم لعلكم تشكرون اى لتشكروا الله على نعمته بطاعتكم اياه فيما امركم به ونهاكم عنه وتضمنت هذه الاية احكام الوضوء
وصفته واحكام الغسل والتيمم ومسائلها المتفرعة منها كثيرة موضعها الكتب المؤلفة فى الفقه قوله تعالى وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ● آية الحجة
انما قال ذات الصدور على لفظ التانيث لان المراد بذلك المعانى التى تحل القلوب ولم يقل ذوات لينبئ عن التفصيل فى كل ذات
المعنى لما تقدم سبحانه ذكر بيان الشرايع عقبه بتذكير نعمه فقال واذكروا نعمة الله عليكم ولم يقل نعم الله للاشعار بعظم النعمة لا من
جهة التضعيف اذ كل نعمة الله فانه يستحق عليها اعظم الشكر لكونها اعظم النعم اذ هي مثل خلق الحيوة والعقل والحواس والقدر والآيات
وقيل بل لانه ذهب مذهب الجنس فى ذلك وجملة النعم تسمى نعمة كما ان قطاعات الارض تسمى ارضا وميثاقه الذي واثقكم به قيل
فيه اقوال احدها ان معناه ما اخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله عند اسلامهم وبيعتهم بان يطيعوا الله فى كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم
او سرهم عن ابن عباس والسدى وثانيها ان المراد بالميثاق ما بين لهم فى حجة الوداع من تحريم المحرمات وكيفية الطهارة وفرض الولاية
وغير ذلك عن ابى الجارود عن جعفر ع وهذا داخل فى القول الاول اذ هو بعض ما فرض الله تعالى وثالثها ان المراد به متابعتهم للنبى
صلى الله عليه وآله يوم بيعته العقبة وبيعة الرضوان عن ابى على الجبائى ورابعها ان معناه ما اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن مجاهد وهذا اضعف الاقوال اذ قلتم سمعنا واطعنا يعنى سمعنا ما تقول واطعناك
فيما سمعنا واتقوا الله معنى بيانه ان الله عليم بذات الصدور اى بما تضمرونه فى صدوركم من المعانى والمراد بالصدور ههنا القلوب
وانما جاز ذلك لان موضع القلب الصدر قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ● وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ● وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ● ثلث آيات اللغة
جرمت واجرمت بمعنى وقيل لا يجرمنكم لا يدخلنكم فى الجرم كما يقال اثمته اى ادخلته فى الاثم وتقول وعدت الرجل تريد الخير فاذا
ذكرت الموعود قلت فيهما وعدته او عدته فقوله سبحانه وعد الله الذين امنوا يدل على الخير ثم بين ذلك الخير فقال لهم مغفرة الاعراب
قوامين نصب بانه خبر كان شهداء نصب على الحال وقوله لهم مغفرة جملة وقعت موقع المفرد كقول الشاعر وجدنا الصالحين لهم جزاء
وجنات وعينا سلسبيلا وتكون الجملة التى هى لهم مغفرة فى موضع نصب ولذلك عطف فى البيت وعينا سلسبيلا ونصب على الموضع
ويحتمل ان يكون موضع لهم مغفرة رفعا ويكون الموعود به محذوفا المعنى لما ذكر الله سبحانه الوفاء بالعهود بين سبحانه ان ما يلزم
الوفاء به ما ذكر فى الآية فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله اى ليكن من عادتكم القيام لله بالحق فى انفسكم بالعمل الصالح

وفى عيركم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويعنى بقوله لله اجعلوا ذلك ابتغاء مرضات الله شهداء بالقسط اى بالعدل وقيل معناه كونوا
دعاة لله مبينين عن دين الله بالعدل والحق والحجج لان الشاهد مبين ما شهد عليه وقيل معناه كونوا من اهل العدالة الذين حكم الله تعالى
بان مثلهم يكونون شهداء على الناس يوم القيمة ولا يجرمنكم شنان قوم قد ذكرنا معناه فى اول السورة قال الزجاج من حرك النون من
شنان اراد بغض قوم ومن سكن اراد بغيض قوم ذهب الى الشنان مصدر والشنان بالسكون صفة على انه لا تعدلوا اى لا يحملنكم
بغضهم اى بغضكم اياهم وعلى القول الاخر فتقديره لا يحملنكم بغيض قوم بعدو قوم على ان لا تعدلوا فى حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم
اعدلوا اى اعملوا بالعدل ايها المومنون فى اوليائكم واعدائكم هو اقرب للتقوى اى بالعدل اقرب الى التقوى واتقوا الله اى خافوا عقابه
بفعل الطاعات واجتناب السيآت ان الله خبير اى عالم بما تعملون اى باعمالكم يجازيكم عليها وعد الله الذين امنوا اى صدقوا بوحدانيته
الله تعالى واقروا بنبوة محمدا صلى الله عليه واله وعملوا الصالحات اى الحسنات من الواجبات المندوبات لهم مغفرة اى مغفرة لذنوبهم
وتكفير لسياتهم والمراد به التغطيه والستر واجر عظيم يريد ثوابا عظيما والفرق بين الثواب والاجر ان الثواب يكون جزاء على الطاعات
والاجر قد يكون على سبيل المعاوضات بمعنى الاجرة والوعد وهو الخبر الذى يتضمن النفع من المخبر والوعيد هو الخبر الذى يتضمن
الضرر من والذين كفروا اي جحدوا توحيد الله وصفاته وانكروا نبوة نبيه وكذبوا بايات الله اى بدلايله وبراهينه اولئك اصحاب الجحيم
معناه انهم خيلدون فى النار ان المصاحبة يقتضى الملازمة قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ آية اللغة
الذكر هو حضور المعنى للنفس وقد يستعمل الذكر بمعنى القول لان من شانه ان يذكر به المعنى والتذكر طلب المعنى لا طلب القول
والهم بالامر هو حديث النفس بفعله يقال هم بالامر يهم هما ومنه الهم وهو الفكر الذى يغم وجمعه هموم واهمه الامر اذا الهى به
فحدث نفسه والفرق بين الهم بالشئ والقصد اليها انه قديم بالشئ قيل انه يريده بان يحدث نفسه به وهو مع ذلك مقبل على فعله
المعنى انه خاطب الله سبحانه المومنين وذكرهم نعمته عليهم بما دفع عنهم من كيد الاعداء فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم اى قصدوا ان يبسطوا اليكم ايديهم واختلف فيمن بسط اليهم الايدى على اقوال احدها انهم اليهود
هموا بان يفتكوا بالنبى صلى الله عليه وآله وهم بنوا النضير دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مع جماعة من اصحابه عليهم كانوا عاهدوه
على ترك القتال وعلى ان يعينوه فى الديات فقال عليه رجل من اصحابى اصاب رجلين معهما امان منى فلزمنى ديتهما فاريد ان تعينونى
فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذى تسالنا وهموا بالفتك بهم فاذن الله به رسوله فاطلع النبى صلى الله عليه وآله من اصحابه على ذلك
وانصرفوا وكان ذلك احدى معجزاته عن مجاهد وقتادة واكثر المفسرين وثانيها ان قريشا بعثوا رجلا ليقتل النبى صلى الله عليه
وآله فدخل عليه وفى يده سيف مسلول فقال لها رينه فاعطاه فلما حصل فى يده قال ما الذي يمنعنى من قتلك قال الله يمنعك
فرمى السيف واسلم والرجل عمرو بن وهب الجمحى بعثه صفوان بن اميه ليقتله بغدة وكان ذلك سبب اسلام عمرو بن وهب عن
الحسن وثالثها ان المعنى بذلك ما لطف الله بالمسلمين من كف اعدائهم عنهم حين هموا باستيصالهم باشياء شغلهم بها من القحط
والامراض وموت الاكابر وهلاك المواشى وغير ذلك من الاشياء التى انصرفوا عندها عن قتل المومنين عن ابى على الجبائى ورابعها
ما قال الواقدي ان رسول الله صلى الله عليه وآله غزا جميعا بنى ذبيان ومحارب بذى امر فتحصنوا برؤس الجبال ونزل رسول
الله صلى الله عليه وآله بحيث يراهم فذهب لحاجة فاصابه مطر فبل ثوبه فنشره على شجرة واضطجع تحته والاعراب ينظرون اليه فجاء سيدهم دعثور
بن الحرث حتى وقف على راسه بالسيف مشهورا فقال يا محمد من يمنعك منى اليوم فقال الله ودفع جبرائل عليه السلام فى صدره
ووقع السيف من يده فاخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وقام على راسه وقال من يمنعك منى اليوم فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله فنزلت الآية وعلى هذا فيكون تخلص النبى صلى الله عليه وآله مما هموا به نعمة على المؤمنين من حيث ان
مقامه بينهم فلذلك اعتد به عليهم وقوله فكف ايديهم عنكم اى منعهم عن القتل بكم واتقوا الله ظاهر المعنى وعلى الله فليتوكل
المؤمنون بنصر الله وليتوكلوا عليه فان الله سبحانه كافيهم وناصرهم قوله تعالى وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا

نصف الحزب

منهم

منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله
قرضا حسنا لاكفرن عنكم سياتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل آية
اللغة الميثاق اليمين المؤكدة لانها يستوثق بها من الامر واصل النقيب في اللغة من النقب وهو النقب الواسع ونقيب القوم
كالكفيل والضمين ينقب عن الاسرار ومكنون الاضمار ومنه نقاب المراة ومنه المناقب الفضائل لانها يظهر التنقيب عليها والنقب
الطريق في الجبل ويقال نقب الرجل على القوم اذا صار نقيبا وصار عند النقابة ولقد نقب ذلك وكذلك عرف عليهم اذا صار عريفا
ونكب عليهم ينكب نكابة اذا صار منكبا وهو عمود العريف والنقاب الرجل العالم بالاشياء الذكي القلب الكثير البحث عن الامور
والنقيب اول الجرب وجمعها النقب والنقب قال سد للابتذ واحاسنه يضع الهناء مواضع النقب واصل الباب كله ومعناه
التاثير الذي له عمق ودخول من ذلك نقبت الحائط اي بلغت في النقب اخره ومن ذلك النقبة في الجرب لانه داء شديد الدخول
والنقبة السراويل لا رجلي لها وقد يولع في فتحها وانما قيل نقيب لانه يعلم دخيل امور القوم يعرف مناقبهم وهو الطريق الى معرفة امورهم
قال ابو عبيدة التعزير التوقير وانشد وكم من ماجد لهم كريم ومن ليث يعزر في الندى اي يعزر والعزر الرد والمنع في قول الفراء يقول
عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح ومنه التعزير في النصرة والتعظيم لان ذلك يمنع صاحبه ممن اراده بسوء الضلال
الركوب على غير هدى وسواء كل شيء وسطه الحجة انما قال قرضا ولم يقل اقراضا لانه رده الى قرض قرضا فان في اقرضتم معنى القرض
وهذا كقوله والله انبتكم نباتا ولم يقل انباتا وقال امرء القيس رضيت فذلت صعبة اي اذلال لان في رضيت معنى اذللت
المعنى لما بين سبحانه خيانة اليهود وهمهم بقتله وانه دفع عنهم شرهم عقبه بذكر احوال اليهود وخبث سرائرهم ونقض عادتهم في
خيانة الرسل تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله فيما هموا به فقال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل اي عهدهم المؤكد باليمين
باخلاص العبادة له والايمان برسله وياتون به من الشرايع وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اي امرنا موسى بان يبعث من الاسباط
الاثني عشر رجلا كالطلايع يتجسسون ويأتون بني اسرائيل باخبار ارض الشام واهلها الجبارين فاختار من كل سبط رجلا
يكون لهم نقيبا اي امينا كفيلا فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما راوا من شدة باسهم وعظم خلقهم الا رجلين منهم كالب ويوشع بن نون عن مجاهد والسدي وقيل معناه اخذ ناس كل سبط منهم يمينا بما عقد عليهم من الميثاق في امر دينهم عن الحسن والجبائي
وقيل معناه اثني عشر رئيسا وقيل شهيدا على قومه عن قتادة وقال البلخي يجوز ان يكونوا رسلا ويجوز ان يكونوا قادة وقال ابو مسلم
بعثوا انبياء ليقيموا الدين ويعلموا الاسباط التورية ويامرهم بما فرض الله عليهم وامرهم به وقال الله اني معكم قيل انه خطاب
للنقباء عن الربيع وقيل خطاب لبني اسرائيل الذين اخذ منهم الميثاق ويجوز ان يدخل فيهم النقباء عن اكثر المفسرين اي قال الله
لهم فحذف لدلالة الكلام عليه معكم بالنصر والحفظ انصركم على عدوي وعدوكم الذين امرتكم بقتالهم ان قاتلتموهم ووفيتم
بعهدي وميثاقي الذي اخذته عليكم ثم ابتدا سبحانه فقال لئن اقمتم الصلوة معشر بني اسرائيل واتيتم الزكوة اي اعطيتموها وآمنتم
برسلي اي صدقتم بما اتاكم به رسلي من شرايع ديني وقيل انه خطاب للنقباء وعزرتموهم اي نصرتموهم عن الحسن ومجاهد والزجاج
وقيل عظمتموهم ووقرتموهم واطعتموهم عن بن زيد وابي عبيدة واقرضتم الله قرضا حسنا اي انفقتم في سبيل الله واعمال البر نفقة
حسنة يجازيكم بها فكانه قرض هذا الوجه وقيل معنى قوله حسنا عفوا عن طيبة نفس وان لا يتبعه من ولا اذى وقيل يعني حلالا
لاكفرن عنكم سياتكم اي لاغطين على ما مضى من اجرامكم بعفوي واسقاطي عنكم وبال ذلك ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
ظاهر المعنى فمن كفر بعد ذلك اي بعد بعث النقباء واخذ الميثاق فقد ضل سواء السبيل اي اخطا قصد الطريق الواضح وزال
عن منهاج الحق وفي هذا دلالة واشارة الى ان الحق بين الغلو والتفريط كما روي عن امير المؤمنين عليه السلم اليمين والشمال مضلة
والطريق الوسطى هي الجادة الى اخر كلامه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه
ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين آية القراءة
قرا حمزة والكسائي قسية بغير الف وقرا الباقون قاسية بالالف الحجة حجة من قرا قسية ان فعيلا قد يجيء بمعنى فاعل مثل شاهد

وشهيد وعالم وعليم وعارف وعريف ومن قرا قاسية فلانه الاعرف والاكثر فى مجرى العادة اللغة القسوة خلاف اللين والرقة
انشده ابو عبيدة وقد قسوت وقسا لذا اتى اى فارقنى لين الشباب ولذته فالقاسى الشديد الصلابة قال ابو العباس الدرهم
انما سمى قسيا اذا كان فاسدا لان فيه الشدة صوته بالقسو الذى فيه قال ابو زبيد يصف وقع المساحى فى الحجارة لها صواهل فى صم
السلاح كما صاح القسيات فى ايدى الصياريف قال ابو على احسب قسيا فى الدرهم معربا واذا كان معربا لم يكن من القسى العربى
فى شئ الا ترى ان قابوس وابليس وجالوت وطالوت ونحو ذلك من الاسماء الاعجمية التى من الفاظها عربى لا تكون مشتقة من
باب القبس والابلاس يدلك على ذلك منعهم الصرف والخائنة الخيانة وفاعلة فى اسماء المصادر كثير نحو عافاه الله عافية
واهلكوا بالطاغية وليس لو تعتها كاذبة ويقال سمعت ثاغية الغنم وراغية الابل وقد يقال رجل خائنة على المبالغة قال الشاعر
حدثت بالوفاء ولم تكن للعدو خائنة مغل الاصبع قوله مغل بدل من خائنة الاعراب ما فى قوله فبما نقضهم زيادة مؤكدة
اى فبنقضهم ومثله قول الشاعر لشئ ما يسود من يسود يحرفون فى موضع نصب على الحال من قوله فبما نقضهم ميثاقهم اي
محرفين الكلم فيها ويجوز ان يكون كلاما مستانفا ويكون التمام عند قوله قاسية وقليلا منهم نصب على الاستثناء من الهاء والميم
فى قوله على خائنة منهم المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وآله
يقول لا تعجبن يا محمد من هؤلاء اليهود الذين هموا ان يبسطوا ايديهم اليك والى اصحابك ونكثوا العهد الذى بينك وبينهم وبعذرها
بك فان ذلك دابهم وعادة اسلافهم الذين اخذت ميثاقهم على طاعتى فى زمن موسى وبعثت منهم اثنى عشر نقيبا فنقضوا ميثاقى
وعهدى فلعنتهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد وفى الكلام محذوف اكتفى بدلالة الظاهر وتقديره فنقضوا ميثاقهم فلعناهم
بنقضهم ذلك الميثاق والعهد المؤكد اى طردناهم وابعدناهم من رحمتنا على وجه العقوبة عن عطاء وجماعة وقيل معناه مسخناهم قردة
وخنازير عن الحسن ومقاتل وقيل عذبناهم بالجزية عن ابن عباس وكان نقضهم الميثاق من وجوه فمنها انهم كذبوا الرسل وقتلوا
الانبياء ونبذوا الكتاب وضيعوا حدوده وفرايضه عن قتادة ومنها انهم كتموا صفة النبى صلى الله عليه وآله عن ابن عباس وجعلنا
قلوبهم قاسية اى غليظة يشتد عليها قبول الحق فلا تلين عن ابن عباس ومعناه سلبناهم التوفيق واللطف الذى تنشرح به
صدورهم حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وهذا كما يقول الانسان لغيره افسدت سيفك اذا ترك تعاهده حتى صدى
وجعلت اظافيرك سلاحك اذا لم يقصها وقيل معناه بينا عن حال قلوبهم وما هى عليها من القساوة وحكمنا بانهم لا يؤمنون ولا
ينجع فيهم موعظة عن الجبائى وقيل معنى قاسية ردية فاسدة من الدراهم القسية اذا كانت زائفة وهذا راجع الى معنى اليبس
ايضا لانها تكون يابسة الصوت لما فيها من الغش والفساد ويقال للرحيم لين القلب ولغير الرحيم يابس القلب يحرفون
الكلم عن مواضعه اى يفسرونه على غير ما انزل ويغيرون صفة النبى صلى الله عليه وآله فيكون التحريف بامرين احدهما سوء التأويل
والآخر التغيير والتبديل كقوله سبحانه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ونسوا حظا مما ذكروا به وتركوا نصيبا مما وعظوا به
ومما امروا فى كتابهم من اتباع النبى صلى الله عليه وآله فصار كالمنسى عندهم ولو آمنوا به واتبعوه لكان لهم حظا وقيل معناه ضيعوا
ما ذكرهم الله فى كتابه مما فيه رشدهم وتركوا تلاوته فنسوه على مر الايام ولا تزال تطلع على خائنة منهم يعنى على خيانة اى معصية عن
ابن عباس وقيل كذب وزور ونقض عهد ومظاهرة للمشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وغير ذلك مما كان يظهر من اليهود
من انواع الخيانات وقيل ان معناه تطلع على فرقة خائنة اى جماعة خائنة منهم اذا قالوا قولا خالفوه واذا عاهدوا عهدا نقضوه الا قليلا
منهم لم يخونوا فاعف عنهم واصفح ما داموا على عهدك ولم يخونوا عنى بهم القليل الذين استثناهم عن ابى مسلم وقيل معناه فاعف عنهم اذا
تابوا وبذلوا الجزية عن الحسن وجعفر بن مبشر واختاره الطبرى وقيل انه منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية عن قتادة وقيل
منسوخ بقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء عن الجبائى ان الله يحب المحسنين ظاهر المعنى قوله تعالى
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى
يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون آية اللغة معنى الاغراء تسليط بعضهم على بعض وقيل معناه التحريش واصله اللصوق

يقال

يقال غريت بالرجل غرى اذا الصقت به عن الاصمعى وقال غيره غريت به غراء ممدود واغريت زيدا حتى غرى به ومنه الغراء الذي
تلصق به الاشياء المعنى ثم بين سبحانه النصارى فى نقضهم ميثاق عيسى ع كما بين حال اليهود فى نقضهم ميثاق موسى ع فقال
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم بالتوحيد والاقرار بنبوة المسيح ع وجميع انبياء الله وانهم كلهم عبيد الله فنقضوا هذا
الميثاق واعرضوا عنه وهذا اشارة الى انهم ابتدعوا النصرانية التى هم عليها اليوم وتسموا بها ولهذا لم يقل من النصارى الا انه سبحانه
اطلق هذا الاسم فى مواضع عليهم لانه صار سمة لهم وعلامة عن الحسن فنسوا حظا مما ذكروا به من بيانه فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء
اختلف فيه فقيل المراد بين اليهود والنصارى عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل المراد بين اصناف النصارى خاصة من اليعقوبية
والملكانيه والنسطورية من الخلاف والعداوة عن الربيع واختاره الزجاج والطبرى وانما اغرى بينهم العداوة بالاهواء المختلفة
فى الدين وذلك ان النسطورية قالت ان عيسى بن الله واليعقوبية قالت ان الله هو المسيح بن مريم والملكانية وهم الروم قالوا
ان الله ثالث ثلاثة الله وعيسى ومريم وقيل بامر بعضهم ان يعادى بعضا عن الجبائى فكانه يذهب الى الامر بمعاداة الكفار وان هؤلاء
يكفر بعضهم بعضا وقوله الى يوم القيمة عنى به المعاداة تبقى بينهم الى يوم القيمة اما بين اليهود والنصارى واما بين فرق النصارى وقيل
الوجه فى قوله سبحانه فاغرينا بينهم العداوة انه اخبرانهم اختلفوا فيما بينهم وكلهم على خطاء وضلال وقد جعل الله سبحانه على كل مقالة
من مقالاتهم التى اخطأوا فيها دلايل عرف بها بعضهم خطأ بعض فتعادوا على ذلك وتباغضوا ولم يعرف كل فرقة منهم خطأ انفسهم
فلما لم يصل كل منهم الى المعرفة بخطاء صاحبه الامن جهة كتاب الله ودلايله والتعادى بينهم كان من اجل ذلك جاز ان يقول فاغرينا
بينهم على هذا الوجه عن جعفر بن حرب وقيل الوجه فى ذلك انا اخطأنا على بال كل منهم ما يوجب الوحشة والنفرة عن صاحبه وما
هيج البغضة والعداوة عقوبة لهم على تركهم الميثاق وسوف ينبئهم الله عن المحاسبة بما كانوا يصنعون فى الدنيا من نقض الميثاق
ويعاتبهم على ذلك بحسب استحقاقهم فكانه لما قال سبحانه فاعف عنهم واصفح بين بعد ذلك انه من وراء الانتقام منهم سيجازيهم
على صنيعهم وقبيح فعلهم قوله تعالى يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ آيتان كوفى وثلث عند غيرهم اللغة
الرضوان والرضاء من الله ضد السخط وهو ارادة الثواب لمستحقه وقال قوم هو المدح على الطاعة والثناء وقال على بن عيسى
هو جنس من الفعل يقتضى وقوع الطاعة الخالصة مما يبطلها ويضاد الغضب قال لان الرضاء بما مضى وارادة ما مضى لا يصح
اذ قد يصح ان يرضى بما كان ولا يصح ان يريد ما كان وهذا الذى ذكره غير صحيح لان الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشئ من الغير
غير انها لا تسمى بذلك الا اذا وقع من اداتها ولم يتعلقها كراهية فيقف تسميتها بالرضا على وقوع المراد لا ان بعد وقوع المراد يفعل
ارادة تسمى رضاء بما كان فسقط ما قاله المعنى لما ذكر سبحانه ان اليهود والنصارى نقضوا العهد وتركوا ما امروا به عقب ذلك
بدعائهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وذكرهم ما اتيهم به من اسرار كتبهم حجة عليهم فقال يا اهل الكتاب يخاطب اليهود والنصارى
قد جاءكم رسولنا محمد يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعنى ما بينه ع من رجم الزانين واشياء كانوا يحرفونها من كتبهم
بسوء التاويل وانما لم يقل يا اهل الكتابين لان الكتاب اسم جنس وفيه معنى العهد فسلك طريقة الايجاز فى اللفظ حيث
كانوا كانهم اهل كتاب واحد ويعفوا عن كثير معناه يترك كثيرا لا يذكره ولا ياخذكم به لانه لا يؤمر به عن ابى على الجبائى وقيل معناه
يصفح عن كثير منهم بالتوبة عن الحسن والوجه فى تبيين بعضه وترك بعضه يبين ما فيه دلالة على نبوته من صفاته ونعته والبشارة به
وما يحتاج الى علمه من غير ذلك مما يتفق له الاسباب التى يحتاج معها الى استعلامه كما اتفق ذلك فى الرجم وما عداها نحو مما ليس
فى تفصيله فايدة ما كفى ذكره فى الجملة قد جاءكم من الله نور يعنى بالنور محمدا صلى الله عليه وآله لانه يهتدى به الخلق كما يهتدى بالنور
عن قتادة واختاره الزجاج وقيل عنى به القرآن لانه يبين الحق من الباطل عن ابى على الجبائى والاول اولى لقوله وكتاب مبين فيكون
فى اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين يهدى به الله اى بالكتاب المبين وهو القرآن وقيل بالنبى من اتبع رضوانه اى من اتبع

ميثاقهم اى من الذين ذكروا انهم اخذنا

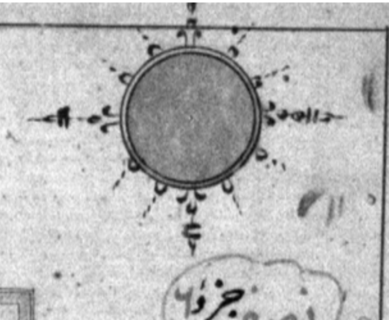
رضاء الله في قبول القران والايمان وتصديق النبي صلى الله عليه وآله واتباع الشرايع سبل السلام قيل السلام هو الله سبحانه عن الحسن
والسدي ومعناه سبل الله وهو شرايعه التي شرعها لعباده وهو الاسلام وقيل انه السلامة كل مخافة ومضرة الا ما يقتدى به لانه يؤدي
الى نفع في العاقبة عن الزجاج اي يهدي الى طرق السلامة من اتبع ما فيه رضاء الله فالسلام والسلامة كالظلال والضلالة والمراد
بقوله يهدي انه يفعل اللطف المؤدي الى سلوك طريق الحق ويخرجهم من الظلمات الى النور معناه من الكفر الى الايمان والنجاة كما يهتدى
بالنور باذنه اي بلطفه ويهديهم الى صراط مستقيم اي يرشدهم الى طريق الحق وهو دين الاسلام عن الحسن وقيل الى طريق الجنة
قوله تعالى لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ
ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ اللغة الاحباء جمع الحبيب والحب المحبة وقد يكون بمعنى الارادة وقد يكون بمعنى الشهوة و
يستعمل في كل واحد منهما يقال احب استقامة امورك واحب جاريتي الاعراب اللام في قوله لقد كفر جواب القسم وتقديره اقسم لقد كفر
الذين قالوا وانما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن مع انه ذكر السموات على الجمع لانه اراد به النوعين والصنفين كما قال الشاعر طرقا فتلك
هماهمي امريها فلصا الواقع كالقسي ومحولا فقال طرقا ثم قال فتلك هماهمي المعنى ثم حكى سبحانه عن النصارى ما قالوا في المسيح فقال لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم كفرهم الله سبحانه بهذا القول لانهم قالوه على وجه التدين والاعتقاد لا على وجه الحكاية
والانكار وانما كفروا بذلك لوجهين احدهما انهم كفروا بالنعمة من حيث اضافوها الى غير الله مما ادعوا الالهية والآخر انهم كفروا بانهم وصفوا
المسيح وهو محدث بصفات الله سبحانه فقال هؤلاء وكلهم جاهل بالله كافر لانه لما صنيع نعمة الله تعالى بمنزلة من اضافها الى غيره قل يا محمد فمن
يملك من الله شيئا اي من يقدر ان يدفع من امر الله شيئا من قولهم ملكت على فلان امره اذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه انفاذ شيء من امره
الا بك وتقديره من يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا عنى بذلك انه لو كان المسيح الها
لقدر على دفع الله تعالى اذا اراد اهلاكه واهلاك غيره وليس بقادر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم اي فكيف يجوز اعتقاد الربوبية
فيه مع انه مسخر مربوب مقهور وقيل معناه من قدر على هذا لم يجز ان يكون معه اله ولا ان يشبهه شيء ولله ملك السموات والارض
وما بينهما ومن كان بهذه الصفة فلا ثاني له وذلك يدل على ان المسيح ملك له واذا كان ملكا لم يكن الها وابنا له لان المملوك لا يجوز
ان يكون مالكا فكيف يكون الها وقوله يخلق ما يشاء اي ما يشاء ان يخلقه فان شاء خلق من ذكر وانثى وان شاء خلق من انثى غير ذكر
فدل بهذا على انه ليس في كون المسيح من انثى بغير ذكر دلالة على كونه الها وقوله والله على كل شيء قدير اي يقدر على كل شيء يريد ان يخلقه وفي
هذه الآية رد على النصارى القائلين بان الله جل جلاله اتحد بالمسيح فصار الناسوت لاهوتا بعينه او يتخذ الها فاحتج عليهم بان من
جاز عليه الهلاك لا يجوز ان يكون الها وكذلك من كان مولودا مربوبا لا يكون ربا ثم حكى عن الفريقين من اهل الكتاب وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه قيل ان اليهود قالوا للمسيح ابن الله وجعلوا نفوسهم ابناء الله واحباءه لانهم تاولوا ما في الانجيل من قول المسيح
اذهب الى ابي وابيكم عن الحسن وقيل ان جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وزيد بن التابوه وغيرهم قالوا لنبي الله
حين حذرهم نقمات الله وعقوباته لا تخوفنا فانا ابناء الله واحباؤه فان غضب علينا فانما يغضب كغضب الرجل على ولده يعني انه
يزول عن قريب عن ابن عباس وقيل انه لما قال قوم ان المسيح ابن الله اجرى ذلك على جميعهم كما تقول العرب هذيل شعراء اي فيهم شعراء
وكما قالوا في رهط مسيلمة قالوا نحن انبياء اي قال قائلهم وكما قال جرير ندسنا ابا مندوسة القين بالقنا فقال ندسنا وانما النادس
رجل من قوم جرير ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله قل هو لهؤلاء المفترين على ربهم فلم يعذبكم بذنوبكم اي فلاي شيء يعذبكم بذنوبكم
ان كان الامر على ما زعمتم فان الاب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه فلا يعذبه وهم يقرون بانهم يعذبون لانهم لو لم يقولوا به لكذبوا
بكتبهم وقد اقرت اليهود بانهم يعذبون اربعين يوما عدد الايام التي عبدوا فيها العجل وقيل ان معناه الماضي وان كان لفظه المستقبل
اي فلم عذبكم وقد اقررتم بانه عذبكم عند عبادتكم العجل وعذبكم بان جعل منكم القردة والخنازير وخلى بينكم وبين بخت نصر حتى فعل بكم ما فعل

والحبيب

والحبيب لا يعذب حبيبه فلو كنتم احبائه لما عذبكم بل انتم بشر ممن خلق اى ليس الامر على ما قلتم انكم ابناء الله واحبائه بل انتم خلق من بنى
آدم ان احسنتم جوزيتم على احسانكم وان اسأتم جوزيتم على اسائتكم كما يجازى غيركم وليس لكم عند الله الا ما لغيركم من خلقه يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء انما علق بالمشية مع انه سبحانه لا يشاء العقوبة الا لمن كان عاصيا لما فى ذلك من البلاغة والايجاز برد الامور الى العالم
الحكيم الذى يجريها على وجه الحكمة ولله ملك السموات والارض يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه وما بينهما اى ما بين الصنفين ودل
بذلك على انه لا ولد له لان الولد يكون من جنس الوالد فلا يكون مملوكا واليه المصير معناه ويؤل اليه امر العباد فلا يملك ضرهم ونفعهم
غيره لانه يبطل تمليكه لغيره ذلك اليوم كما يقال صار امرنا الى القاضى وانما يراد بذلك انه المتصرف فينا والامر لنا الا على معنى قرب المكان
قوله تعالى يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ
جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آية اللغة الفترة فعلة من فتر عن عمله يفتر فتورا اذا اسكن فيه وفتر عنه والفترة انقطاع
ما بين النبيين عند جميع المفسرين والاصل فيها الانقطاع عما كان الامر عليه من الجد فى العمل وفتر الماء اذا انقطع عما كان عليه من البرد
الى السخونة وامراة فاترة الطرف اى منقطعة عن حد النظر الاعراب موضع ان تقولوا نصب عند البصريين وتقديره كراهة ان تقولوا
فحذف المضاف الذى هو مفعول له واقيم المضاف اليه مقامه وقال الكسائى والفراء تقديره لئلا تقولوا ومن فى قوله من بشير مزيدة وفائدتها
نفى الجنس وموضع الجار والمجرور رفع تقديره ما جاءنا بشير ولا نذير المعنى ثم عاد سبحانه الى خطاب اهل الكتاب ومحاجتهم باستعطافهم
والزامهم الحجة برسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعنى محمدا صلى الله عليه وآله يبين لكم اى يوضح لكم
اعلام الدين وفيه دلالة على انه سبحانه اختصه من العلم بما ليس مع غيره على فترة من الرسل اى على انقطاع من الرسل ودروس من
الدين والكتب وفيه دلالة على ان زمان الفترة لم يكن فيه نبى وكان الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وآله وكانت النبوة
متصلة قبل ذلك فى بنى اسرائيل وروى عن ابن عباس انه لم يكن بينهما الا اربعة من الرسل واختلفوا فى مدة الفترة بينهما فقيل
ستمائة سنة عن الحسن وقتادة وقيل خمسمائة وستون سنة عن قتادة وفى رواية اخرى وقيل اربعمائة وبضع وستون سنة
عن الضحاك وقيل خمسمائة وشئ عن ابن عباس وقيل كان بين ميلاد عيسى ومحمد عليهما السلم خمسمائة وتسعة وستون
سنة وكان بعد عيسى عم اربعة من الرسل وهو قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ولا ادرى من الرابع
فكان من تلك المدة مائة واربع وثلثون سنة نبوة وسايرها فترة عن الكلبى ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير معناه قد
جاءكم رسولنا كراهة ان تقولوا ولان لا تقولوا محتجين يوم القيمة ما جاءنا بشير بالثواب على الطاعة ولا نذير بالعقاب
على المعصية ثم بين سبحانه انه قطع عنهم عذرهم وازاح عللهم بارسال رسوله فقال فقد جاءكم بشير ونذير هو محمد صلى الله عليه
وآله يبشر كل مطيع بالثواب ويخوف كل عاص بالعقاب والله على كل شئ قدير ظاهر وفى هذه الآية دلالة على بطلان مذهب
المجبرة لان الحجة تمنع القدرة اوكد من الحجة تمنع اللطف وتكون الحجة فى ذلك لمن يعلم الله تعالى ان بعثه الانبياء مصلحة لهم
فاذا لم تبعث تكون الحجة لهم فاما من لا يعلم ذلك منهم فلا حجة لهم وان لم يبعث اليهم الرسل قوله تعالى وَإِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ
ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ آيتان
اللغة اصل التقديس التطهير ومنه قيل الطل الذي يتطهر به القدس ومنه تسبيح الله وتقديسه وهو تنزيهه عما لا يجوز عليه
من الصاحبة والولد وفعل الظلم والكذب الاعراب انبياء لا ينصرف معرفة ولا نكرة لعلامة التأنيث ولزومها بخلاف
علامة التانيث فى حمزة وقائمة فانها لا تلزم فلذلك انصرف فى النكرة وقوله خاسرين منصوب على الحال من الواو فى تنقلبوا
المعنى ثم ذكر سبحانه صنع اليهود فى المخالفة لنبيهم صلى الله عليه وآله تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله ومخالفتهم اياه فقال واذ
قال موسى لقومه اى واذكر يا محمد اذ قال موسى لهم يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم واياديه لديكم وآلاءه فيكم اذ جعل فيكم انبياء يخبرونكم
بانباء الغيب وتنصرون بهم على الاعداء ويبينون لكم الشرايع وقيل هم الانبياء الذين كانوا بعد موسى مقيمين فيهم الى

زمن عيسى عليه السلم يبينون لهم امر دينهم وجعلكم ملوكا بان سخر لكم من غيركم خدما يخدمونكم عن قتادة وقيل انما خاطبهم موسى
بذلك لانهم كانوا يملكون الدور والخدم ولهم نساء وازواج وكل من ملك ذلك ولا يدخل عليه الا بامره فهو ملك كائنا من كان عن
عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن اسلم والحسن ويؤيد ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من اصبح امنا في سربه معافى
في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقيل الملك هو الذي ما يستغني به عن تكلف الاعمال والتحمل للميثاق
والتسكع في المعاش عن ابي علي الجبائي وقيل انهم جعلوا ملوكا بالمن والسلوى والحجر والغمام عن ابن عباس ومجاهد وقيل لا يمتنع
ان يكون الله سبحانه جعل لهما الملك والسلطان ووسع التوسعة التي بها يكون الانسان ملكا عن ابي القسم البلخي واتاكم مالم
يؤت احدا من العالمين اي اعطاكم مالم يؤت احدا من عالمي زمانهم عن الحسن والبلخي وقيل معناه اعطاكم من اجتماع هذه الامور
وكثرة الانبياء والايات التي جاءتهم وانزال المن والسلوى عن الزجاج والجبائي واختلفوا في المخاطب بقوله واتاكم فقيل هم امة
موسى عليه السلم عن ابن عباس ومجاهد وغيره وهو الاظهر وقيل امة النبي صلى الله عليه وآله عن سعيد بن جبير وابي مالك ثم كلفهم
سبحانه دخول الارض المقدسة بعد ذكر النعم فقال يا قوم حكاية عن خطاب موسى عليه السلم لقومه ادخلوا الارض المقدسة وهي
بيت المقدس عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن عن الزجاج والفراء وقيل هي الشام
عن قتادة وقيل هي ارض الطور وما حوله عن مجاهد والمقدسة المطهرة طهرت من الشرك وجعلت مكانا وقرارا للانبياء والمؤمنين
التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح المحفوظ انها لكم وقيل معناه وهب الله لكم عن ابن عباس وقيل معناه امركم الله بدخولها عن
قتادة والسدي فان اعترض معترض فقال كيف كتب الله لهم مع قوله فانها محرمة عليهم فجوابه انها كانت هبة من الله لهم ثم حرمها
عليهم عن ابن اسحق وقيل ان المراد به المخصوص وان كان الكلام على العموم فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على البعض والذين
كتب الله لهم دخولها هم الذين كانوا مع يوشع بن نون بعد موت موسى عليه السلم بشهرين ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا عن
الارض التي امرتم بدخولها عن اكثر المفسرين وقيل لا ترجعوا عن طاعة الله الى معصيته عن الجبائي فتنقلبوا خاسرين حظكم في دخولها
كما يقال خسر في البيع فلان القصة قال المفسرون لما عبر موسى وبنو اسرائيل البحر وهلك فرعون امرهم الله تعالى بدخول الارض
المقدسة فلما نزلوا على نهر الاردن خافوا من الدخول فبعث موسى عليه السلم من كل سبط رجلا وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا فعاينوا من عظم شانهم وقوتهم شيئا عجيبا فرجعوا الى بني اسرائيل فاخبروا موسى عليه بذلك فامرهم
ان يكتموا ذلك فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط بن يامين وقيل انه كان من سبط يوسف وكالب بن يوفنا من سبط
يهوذا وعصى العشرة واخبروا بذلك وقيل كتم خمسة منهم واظهر الباقون وفشا الخبر في الناس فقالوا ان دخلنا عليهم تكون
نساؤنا واهالينا غنيمة لهم وهموا بالانصراف الى مصر وهموا بيوشع وكالب وهموا ان يرجموهما بالحجارة فاغتاض لذلك موسى عليه السلم
وقال رب اني لا املك الا نفسي واخي فاوحى الله اليه انهم يتيهون في الارض اربعين سنة وانما يخرج منهم من لم يعص الله في
ذلك فبقوا في التيه اربعين سنة في ستة عشر فرسخا وقيل تسعة فراسخ وهم ستمائة الف مقاتل لا تنخرق ثيابهم وتنبت معهم
وينزل عليهم المن والسلوى ومات النقباء غير يوشع وكالب ومات اكثرهم ونشا ذراريهم فخرجوا الى حرب اريحا وفتحوها واختلفوا
فيمن فتحها فقيل فتحها موسى ويوشع على مقدمته وقيل فتحها يوشع بعد موت موسى وكان قد توفي موسى وبعث الله يوشع نبيا وروى
انهم كانوا في المحاربة اذ غابت الشمس فدعا يوشع فرد الله تعالى عليهم الشمس حتى فتحوا اريحا وقيل كانت وفاة موسى عليه السلم
وهرون ع في التيه وتوفي هرون عليه السلم قبل موسى بسنة وكان عمر موسى ع مائة وعشرون سنة في ملك افريدون ومنوجهر
وكان عمر يوشع عليه السلم مائة وستة وعشرين سنة وبقي بعد وفاته مدبرا لامر بني اسرائيل سبعا وعشرين سنة قوله تعالى قالوا
يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين
يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون

اربع آيات بصري ثلث عند الباقين عد البصري غالبون وقوله جبارين حما يشكل ولا بعده الجميع اللغة الجبار هو الذي
لا يبالي في القهر واصله في النخل وهو ما فات اليد طولا والجبار من الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد والجبر جبر العظم وهو كالاكراه على
الصلاح قال العجاج قد جبر الدين الاله فجبر وعور الرحمن من ولى العوره والجبار في صفة الله تعالى تعظيم لانه يفيد الاقتدار وهو
سبحانه لم يزل جبارا بمعنى ان ذاته تدعو العوارف بها الى تعظيمها والفرق بين الجبار والقهار ان القهار هو الغالب لمن ناواه او كان
في حكم المنادى بمعصيته اياه ولا يوصف سبحانه فيما لم يزل بانه قهار والجبار في صفة المخلوقين صفة ذم لانه يتعظم بما ليس له فان
العظمة لله سبحانه الاعراب فاذهب انت وربك انما اتى بالضمير المرفوع المنفصل تاكيدا للضمير المستكن في اذهب ليصح العطف
عليه فانه يقبح العطف بالاسم الظاهر على الضمير المستكن والمتصل من غير ان يوكد لانه يصير كانه معطوف على الفعل اذا عطف على ما
هو متصل بالفعل غير مفارق له ولا يجوز ان يقال انه ابرز الضمير فان الضمير اذا ابرز يصير الفعل خاليا منه وقوله اذهب غير فارغ
من الضمير فانما حسن العطف على الضمير المتصل في قوله فاجمعوا امركم وشركاءكم لان ذكر المفعول صار عوضا من الضمير المنفصل
كما كان لا في قوله لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا عوضا منه المعنى ثم ذكر جواب القوم فقال سبحانه قالوا يعني بني اسرائيل يا موسى
ان فيها اي في الارض المقدسة قوما اي جماعة جبارين شديدي البطش والباس والخلق قال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء
القوم انه لما بعث موسى عليه السلم من قومه اثني عشر نقيبا ليخبروه خبرهم رآهم رجل من الجبارين يقال له عوج فاخذهم في كمه
مع فاكهة كان حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه فقال الملك تعجبا منهم هؤلاء يريدون قتالنا ارجعوا الى صاحبكم
فاخبروه خبرنا قال مجاهد وكان فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال
وان موسى عم كان طوله عشرة اذرع وله عصى طولها عشرة اذرع ونزا من الارض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله وقيل
كان طول سريره ثمانمائة ذراع وانا لن ندخلها يعني لقتالهم حتى يخرجوا منها فان يخرجوا يعني الجبارين منها فانا داخلون قال
رجلان من جملة النقباء الذين بعثهم موسى ليعرف خبر القوم وقيل هما يوشع بن نون وكالب وقيل كلاب بن يوفنا عن ابن عباس و
مجاهد والسدي وقتادة والربيع وقيل رجلان كانا من مدينة الجبارين وكانا على دين موسى جاءاه فاتبعاه عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس من الذين يخافون الله تعالى انعم الله عليهما بالاسلام عن قتادة والحسن وقيل يخافون الجبارين اي لم يمنعهم الخوف من
الجبارين ان قالوا الحق انعم الله عليهما بالتوفيق للطاعة عن الجبائي وكان سعيد بن جبير يقرا يخافون بضم الياء وروى تاويل ذلك
عن ابن عباس انهما كانا من الجبارين انعم الله عليهما بالاسلام ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اخبر عن الرجلين
انهما قالا ادخلوا يا بني اسرائيل على الجبارين باب مدينتهم وانما علما انهم يظفرون بهم ويغلبونهم اذا دخلوا باب مدينتهم لما اخبر
به موسى عليه السلم من وعد الله تعالى بالنصرة وقيل لما رأوه من القاء الله الرعب في قلوب الجبارين فعلما انهم ان دخلوا الباب
غلبوا وعلى الله فتوكلوا في نصرة الله على الجبارين ان كنتم مؤمنين بالله وبما اتاكم به رسوله من عنده ثم اخبر عن قومه بانهم قالوا
يا موسى انا لن ندخلها اي هذه المدينة ابدا ما داموا اي ما دام الجبارون فيها وانما قالوا ذلك لانهم جبنوا وخافوا من قتالهم لعظم
اجسامهم وشدة بطشهم ولم يثقوا بوعد الله سبحانه بالنصر لهم عليهم فاذهب يا موسى انت وربك فقاتلا الجبارين انا ههنا قاعدون
الى ان تظفر بهم وترجع الينا فحينئذ ندخل وانما لم ينكر موسى عليه السلم قولهم اذهب انت وربك لامرين احدهما ان الكلام كله
يدل على الانكار عليهم والتعجيب من جهلهم في تلقيهم امر نبيهم بالرد له والمخالفة عليه والاخر انهم لما قالوا ذلك مجازا بمعنى وربك
معين لك على ما قاله ابو القسم البلخي والاول اليق بجهل اولئك القوم قال الحسن هذا القول منهم يدل على انهم مشبهة ولذلك
عبدوا العجل ولو عرفوا الله تعالى حق معرفته لما عبدوا العجل وقال الجبائي ان كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب من مكان الى مكان
فانه كفر وان قالوه على وجه الخلاف فانه فسق واما قوله سبحانه قاتلهم الله انى يوفكون فانه مجاز والمعنى انه يعاديهم عداوة
القتال ويحل بهم ما يحله المقاتل المستعلي بالاقتدار وعظم السلطان بمن يقاتله قوله تعالى قال رب اني لا املك
الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ۝ قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في



نصف جزو ٦

الارض فلا تاس على القوم الفاسقين ۔ آيتان اللغة اصل التيه التحير لا يهتدى لاجله للخروج عن الطريق الى الغرض
المقصود يقال تاه يتيه تيها وتوها اذا تحير وتوهته وتيهته والياء اكثر والتيهاء من الارض هى التى لا يهتدى فيها ارض تيهاء والاسى
الحزن يقال اسى يأسى اسى اذا حزن قال امرء القيس وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل الاعراب اخى يجوز ان
يكون فى موضع رفع ويجوز ان يكون فى موضع نصب ورفعه من جهتين احدهما ان يكون عطفا على موضع انى ومثله ان الله برئ
من المشركين ورسوله والاخر ان يكون معطوفا على ما فى املك اى لا املك انا واخى الا انفسنا ونصبه ايضا من وجهين احدهما
ان يكون عطفا على الياء فى انى اى انى واخى لا نملك الا انفسنا والاخر ان يكون عطفا فى نفسى اى لا املك الا نفسى ولا املك الا
اخى واربعين نصب على الظرف والعامل فيه قوله يتيهون وقيل هو منصوب بقوله محرمة قال الزجاج هذا خطأ لانه جاء فى التفسير
انها محرمة عليهم ابدا المعنى ثم ذكر سبحانه دعاء موسى على قومه عند مخالفتهم اياه فقال تعالى قال اى قال موسى اذ غضب على قومه
رب انى لا املك الا نفسى اى لا املك الا نفسى فى طاعتك لانها التى تجيبنى اذا دعوت واخى اي واخى كذلك لا يملك الا نفسه او يكون
معناه ولا املك ايضا الا اخى لانه يجيبنى اذا دعوت فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اى فافصل بيننا وبينهم بحكمك فسماهم
فساقا وان كانوا قد كفروا بالرد على نبيهم لخروجهم من الايمان الى الكفر والفسق الخروج من الطاعة الى المعصية والكفر من اعظم
المعاصى قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وقيل فى سؤال موسى عليه السلم الفرق بينه وبينهم قولان احدهما انه
سال الله تعالى ان يحكم ويقضى بما يدل على بعدهم عن الحق والصواب فيما ارتكبوا من العصيان ولذلك القوا فى التيه عن ابن عباس
والضحاك والاخر انه سال ان يفرق بينه وبينهم فى الآخرة بان يكون هؤلاء فى النار وهو فى الجنة ولو دعى بالهلاك لاهلكوا عن
الجبائى قال اى قال الله سبحانه لموسى عم فانها محرمة عليهم اى ان الارض المقدسة حرمت عليهم وفى كيفية التحريم قولان احدهما انه
تحريم منع كقول امرء القيس جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى انى امرء صرعى عليك حرام يعنى دابته التى هو راكبها ويريد بذلك
انى فارس لا تملكين ان تصرعينى وقيل يجوز ان يكون تحريم تعبد عن ابى على الجبائى والاول اظهر وقال البلخى يجوز ان يكونوا امروا
بان يكونوا فيه اربعين سنة يتيهون فى الارض يعنى يتحيرون فى المسافة التى بينهم وبينها لا يهتدون الى الخروج منها وكان مقدارها
ستة فراسخ عن الربيع وكانوا يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث اصبحوا عن الحسن ومجاهد وقال اكثر المفسرين ان موسى و
هرون كانا معهم فى التيه وقيل ايضا انهما لم يكونا فى التيه لان التيه عذاب وعذبوا عن كل يوم عبدوا فيه العجل سنة والانبياء
لا يعذبون قال الزجاج ان كانا فى التيه فجايز ان يكون الله تعالى سهل عليهما ذلك كما سهل على ابراهيم عليه السلم النار فجعلها عليه
بردا وسلاما وشانها الاحراق ومات موسى عم فى التيه وفتح المدينة يوشع وصى موسى بعده وكان يوشع بن اخت موسى عليه السلم
ووصيه والنبى فى قومه بعده عن ابن عباس وقيل لم يمت فى التيه عن الحسن ومجاهد قالا وفتح المدينة موسى عليه السلم ومتى
سئل فقيل كيف يجوز على عقلاء كثيرين ان يسيروا فى فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها فالجواب عنه من وجهين احدهما ان يكون
ذلك بان تحول الارض التى هم عليها اذا ناموا فيردوا الى المكان الذى ابتدؤا منه عن ابى على والآخر ان يكون ذلك بالاسباب
المانعة من الخروج عنها اما بان تمحى العلامات التى يستدل بها او بان يلقى شبه بعضها على بعض ويكون ذلك معجزا خارقا للعادة
وقال قتادة لم يدخل بلد الجبارين احد من القوم الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا بعد موت موسى عليه السلم بشهرين وانما دخلها
اولادهم معهما فلا تاس على القوم الكافرين خطاب لموسى عليه السلم امره الله تعالى ان لا يحزن على هلاكهم لفسقهم وقال الزجاج
هو خطاب للنبى صلى الله عليه وآله قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل
من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين ۔ آية القراءة القربان ما يقصد به القرب من رحمة
الله من اعمال البر وهو على وزن فعلان من القرب كالفرقان من الفرق والشكران والكفران وقرابين الملك جلساؤه لقربهم اليه
الاعراب اذ قربا متعلق بقوله نبأ والتقدير خبر ابنى آدم وما جرى منهما حين قربا قربانا اى قرب كل واحد منهما قربانا فجمعهما فى الفعل
وافرد الاسم لانه يستدل بفعلهما على ان لكل واحد منهما قربانا وقيل ان القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد وللعدد على انه من قرب

الرجل قربانا المعنى واتل اى واقرأ عليهم يا محمد نبأ ابني آدم اى خبرهما بالحق اى بالصدق اجمعوا على انهما كانا ابني آدم لصلبه الا
الحسن فانه قال كانا رجلين من بني اسرائيل اذ قربا قربانا اى فعلا فعلاً يتقرب به الى الله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر
تقبيل الطاعة ايجاب الثواب عليها قالوا وكانت علامة القبول فى ذلك الزمان نارا تاتى فتاكل المتقبل ولا تاكل المردود وقيل كانت النار
تاكل المردود عن مجاهد والاول اظهر قال لاقتلنك فى الكلام حذف التقدير قال الذى لم يتقبل منه للذى تقبل منه لاقتلنك فقال له
لم تقتلنى قال لانه تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى فقال وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين للمعاصى فاطلق للعلم بان المراد انما احق
ما يجب ان يخاف منه قال ابن عباس اراد يتقبل الله ممن كان زاكي القلب ورد عليك لانك لست بزاكى واستدل بهذا على ان طاعة
الفاسق غير مقبولة لانها تسقط عقاب تركها وهذا لا يصح لان المعنى ان الثواب انما يستحقه من يوقع الطاعة لكونها طاعة فاما اذا
فعلها لغير ذلك فلا يستحق عليها ثوابا ولا يمتنع على هذا ان يقع من الفاسق طاعة يوقعها على الوجه الذي يستحق عليه الثواب فيستحقه
النظم ووجه اتصال الاية بما قبلها ان الله تعالى اراد ان يبين حال اليهود فى نقض العهد وارتكاب الفواحش كارتكاب ابن
آدم فى قتله اخاه وما عاد عليه من الوبال بتعديه فامر نبيه صلى الله عليه وآله ان يتلوا عليهم اخبارهما تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله
فيما نال من جهلهم وتكذيبهم وتبكيتا لليهود القصة قالوا ان حواء امراة آدم كانت تلد فى كل بطن غلاما وجارية فولدت اول بطن
قابيل بن آدم وقيل قابين وتوامته اقليما بنت آدم والبطن الثانى هابيل وتوامته لبوذا فلما ادركوا جميعا امر الله تعالى آدم ان ينكح
قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فرضى هابيل وابى قابيل لان اخته كانت احسنهما وقال ما امر الله بهذا ولكن هذا من رايك
فامرهما آدم ان يقربا قربانا فرضيا بذلك فغدا هابيل وكان صاحب ماشية فاخذ من خير غنمه زبدا ولبنا وكان قابيل صاحب
زرع فاخذ من شر زرعه ثم صعدا فوضعا القربانين على الجبل فاتت النار فاكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان آدم
غائبا عنهما بمكة خرج اليها ليزور البيت بامر ربه فقال قابيل لا عشت يا هابيل فى الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى وتريد ان
تاخذ اختى الحسناء واخذ اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى فشدخه بحجر فقتله وروى ذلك عن ابي جعفر الباقر عليه السلم وغيره
من المفسرين وكان سبب قبول قربان احدهما دون الآخر ان قابيل لم يكن زاكي القلب فقرب بشر ماله واخبثه وقرب هابيل بخير ماله
واشرفه واضمر الرضا بحكم الله تعالى وقيل ان سبب اكل النار للقربان انه لم يكن هناك فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى
فكان تنزل نار من السماء فتاكله وعن اسمعيل بن رافع ان قربان هابيل كان يرتع فى الجنة حتى فدى به ابراهيم عليه السلم قوله تعالى
لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ
أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ
قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * ثلث ايات اللغة البسط المد وهو ضد القبض تبوء ترجع
يقال باء اذا رجع الى المباءة وهى المنزل وباؤا بغضب من الله اى رجعوا والبوء الرجوع بالقول وهم فى هذا الامر بواء اى سواء طوعت له
فعلت من الطوع والعرب تقول طاع لهذه الظبية اصول هذه الشجرة وطاع لفلان كذا اى اتاه طوعا ولا يقال اطاعته نفسه لان
اطاع يدل على قصد لموافقة معنى الامر وليس كذلك طوع لانه بمنزلة ان اطاع له اصول الشجرة وفى الفعل ما يتعدى الى نفس الفاعل
نحو حرك نفسه ومنه ما لا يتعدى الى ذلك نحو امر ونهى لان الامر والنهى لا يكونان الا ممن هو اعلى الى من هو دونه الاعراب
لئن بسطت اللام للقسم وجوابه ما انا بباسط ولا يقع ما جوابا للشرط لان ما يكون لها صدر الكلام والقسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز
ان يكون جواب القسم بان ولام الابتداء ولم يجز بالفاء لان المقسم عليه ليس يجب بوجوب القسم وانما القسم يوكده وجواب الشرط
يجب لوجوب الشرط فاذا اجتمع جواب القسم والجزاء كان جواب القسم اولى من الجزاء لانه لما تقدم القسم وصار الجزاء فى حشو الكلام
عليه على الجواب فصار له واكتفى به من جواب الشرط لدلالته عليه المعنى ثم اخبر سبحانه عن هابيل انه قال لاخيه حين هدده بالقتل
لما تقبل قربانه ولم يتقبل قربان اخيه لئن بسطت الى يدك معناه لئن مددت الى يدك لتقتلنى اى لئن تقتلنى ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك اى لا ان اقتلك قال اهل التفسير ان القتل على سبيل المدافعة لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وكان الصبر عليه هو المامور به

عشر

ليكون الله تعالى هو المتولي للانتصاف عن الحسن ومجاهد واختاره الجبائي وقيل ان معنى الآية لئن بسطت الي يدك على سبيل الظلم
والابتداء عن ابن عباس وجماعة قالوا انه قتله غيلة بان القى عليه وهو نائم صخرة شدخه بها قال المرتضى قدس الله روحه العزيز
الظاهر بغير الوجهين اشبه لانه تعالى اخبر عنه وان بسط اليه اخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله لان اللام بمعنى كي وهي مبنية
عن الارادة والغرض ولا شبهة في قبح ذلك لان المدافع انما يحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير ان يقصد الى قتله
فكانه قال له لئن ظلمتني لم اظلمك اني اخاف الله رب العالمين معناه اني اخاف الله في مد يدي اليك لتقتلك اني اريد ان تبوء
باثمي واثمك الذي كان منك قبل قتلي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وقال الجبائي والزجاج
واثمك الذي كان منك قيل قتلي عن ابن عباس هو قتل جميع الناس حيث سننت القتل ومعنى تبوء باثمي تبوء بعقاب اثمي لانه
لا يجوز لاحد ان يريد معصية الله تعالى من غيره ولكن يجوز ان يريد عقابه بالمعصية ومتى قيل كيف ارادة عقاب لم يقع سببه
فان القتل هذا لم يكن واقعا فجوابه ان ذلك يحسن بشرط وقوع ما يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من اخيه العزم على قتله وغلب
على ظنه ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما عزم عليه فتكون من اصحاب النار اي فتصير بذلك من الملازمين للنار وذلك
جزاء الظالمين اي عقاب العاصين ويحتمل ان يكون ابتداء حكم من الله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه قيل فيه اقوال احدها ان معناه
شجعته نفسه على قتل اخيه اي على ان يقتل اخاه عن مجاهد وثانيها ان المراد زينت له نفسه قتل اخيه وثالثها ان المراد ساعدته
نفسه وطاوعته نفسه على قتله اخاه فلما حذف حرف الجر نصب قتل اخيه ومن قال ان معناه زينت له فيكون قتل اخيه مفعولا به فقتله
قال مجاهد لم يدر قابيل كيف يقتله حتى ظهر له ابليس في صورة طير واخذ طيرا آخر وترك راسه بين حجرين فشدخه ففعل قابيل مثله
وقيل هو اول قتيل كان في الناس فاصبح من الخاسرين اي صار ممن خسر الدنيا والآخرة ذهب عنه خيرهما واستدل بعضهم بقوله فاصبح
على ان قتله ليلا وهذا ليس بشيء لان من عادة العرب ان يقول اصبح فلان خاسر الصفقة اذا فعل امرا كان ثمرته الخسران يعنون حصول
كذلك لانه تعلق بوقت دون وقت قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف
يواري سوأة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين ۞ آية
اللغة اصل البحث طلب الشيء في التراب ثم يقال بحث عن الامر بحثا واصل السوأة التكرمة يقال ساءه يسوءه سوءا اذا اتاه بما يكرهه
قال سيبويه الويل كلمة تقال عند الهلكة وعجزت عن الامر اعجز عجزا ومعجزة الاعراب يا ويلتا قال الزجاج الوقف في غير القرآن يا ويلتا
والنداء لغير الآدميين نحو حسرتا ويا ويلتا وانما يقع في كلام العرب على تنبيه المخاطبين وان الوقت الذي تدعى له هذه الاشياء
هو وقتها فالمعنى يا ويلتا تعالى فانه من اوانك اي قد لزمني الويل وكذلك يا عجباه المعنى يا ايها العجب هذا وقتك على هذا كلام
العرب وقرا الحسن يا ويلتا مضافا وذكر الازهري انهما بمعنى المعنى فبعث الله غرابا يبحث في الارض قالوا كان هابيل اول
ميت من الناس فلذلك لم يدر قابيل كيف يواريه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرابين احدهما حي والآخر ميت وقيل كانا حيين فقتل
احدهما صاحبه ثم بحث الارض ودفنه فيه ففعل قابيل به مثل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة وفي ذلك دلالة على فساد
قول الحسن والجبائي وابي مسلم ان ابني آدم كانا من بني اسرائيل وقيل معناه بعث الله غرابا يبحث التراب على القتيل فلما رأى قابيل ما
اكرم الله به هابيل وانه بعث طيرا ليواريه وتقبل قربانه قال يا ويلتا عن الاصم وقيل كان ملكا في صورة الغراب وفي هذا دلالة على ان
الفعل من الغراب وان كان المعنى به الطير كان مقصودا والى هذا اضاف سبحانه بعثه الى نفسه ولم يقع اتفاقا كما قاله ابو مسلم ولكنه
تعالى الهمه وقال الجبائي كان ذلك معجزا مثل حديث الهدهد وحمل الكتاب ورده الجواب الى سليمان ويجوز ان يزيد الله تعالى في فهم
الغراب حتى يعرف هذا القدر كما نامر صبياننا فيفهمون عنا ليريه اي ليري الغراب قابيل كيف يواري ان يغطي ويستر سوأة اخيه لانه
كان تركه حتى نتن فقيل لجيفته سوءة قال يا ويلتا ههنا حذف فان التقدير ليريه كيف يواري سوأة اخيه فواراه فقال القاتل اخاه يا
ويلتا اعجزت ان اكون في العلم مثل هذا الغراب فاواري اي استر سوأة اخي والسوءة عبارة عما يكره وعما ينكر فاصبح من النادمين على
قتله ولم يندم على الوجه الذي يكون توبة كمن يندم على الشرب لانه يصدعه فلذلك لم يقبل ندمه عن الجبائي وقيل من النادمين على

جلم

جملة لا على قتله وقيل من النادمين على موت اخيه لا على ارتكاب الذنب القصة روت العامة عن جعفر الصادق عليه السلم
قال قتل قابيل هابيل وتركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فقصده السباع فحمله في جراب على ظهره حتى اروح وعكفت عليه الطير
والسباع تنظر متى يرمي فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله ثم القاه في الحفيرة وواراه
وقابيل ينظر اليه فدفن اخاه وعن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل اشاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وامرّ الماء واغبرت
الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشا يقول تغيرت البلاد ومن عليها فوجه
الارض مغبر قبيح تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه الصبيح وقال سالم بن ابي الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم سنة حزينا
لا يضحك ثم اتى فقيل له حياك الله وبياك الله اي اضحكك قالوا ولما مضى من عمر آدم سنه وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له
حوا شاث وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وكان وصي آدم وولي عهده فاما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مذعورا
لا يأمن من يراه وذهب الى عدن من اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت ايضا
نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار وهو اول من نصب النار وعبدها واتخذ اولاده آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير
والعيدان وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله ايام نوح عليه السلم بالطوفان وبقي نسل
شيث عليه السلم قوله تعالى مِنْ اَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلٰى بَنِيْ اِسْرَائِيْلَ اَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ اَوْ فَسَادٍ فِي
الْاَرْضِ فَكَاَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيْعًا وَمَنْ اَحْيَاهَا فَكَاَنَّمَا اَحْيَا النَّاسَ جَمِيْعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ
ثُمَّ اِنَّ كَثِيْرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي الْاَرْضِ لَمُسْرِفُوْنَ آية القراءة قرا ابو جعفر يزيد وحده من اجل ذلك مكسورة النون موصولة
والباقون من اجل ذلك مقطوعة الهمزة مفتوحة الحجة قال ابن جني فعلت ذلك من اجلك همزة اجل بحذفها والقاء حركتها
على نون من كقولك وتخفيفا بلك بلك اللغة الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا ياجله اجلا اذا جنى عليهم جناية قال
خوات بن جبير واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل اناء احله اي انا جانيه وفي هذا المعنى يقال جر عليهم جريرة ثم يقال
فعلت ذلك من جراك ومن اجلك اي ومن جريتك كانه يقول انت جررتني وانت جنيت على هذا ومنه الاجل الوقت لانه يجر
عليه العقد الاول واجل بمعنى نعم لان انقياد الى ما جر اليه والاجل القطيع من بقر الوحش واحد الاجال لان بعضها يجر الى بعض
وقال عدي بن زيد اجل ان الله قد فضلكم فوق من احكى حكيا بازار اراد من اجل فحذف لجار فوصل الفعل فنصبه والاسراف
الخروج عن التقصير والاقتصار هو التعديل بلا اسراف ولا اقتار الاعراب اختلف في قوله من اجل ذلك فقيل انه من صلة النادمين
اي من اجل انه حين قتل اخاه ولم يواره ندم وروي عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله من تمام الكلام وعامة
المفسرين على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس بمتصل بما قبله واحتج ابن الانباري بانها راس اية وراس الاية فصل قال ولان
من جعله من صلة الندم اسقط الحلة للكناية ومن جعله من صلة الكناية يسقط معنى الندم اذ قد تقدم ما كشف عنه فكان هذا اولى
المعنى ثم بين سبحانه التكليف في باب القتل فقال من اجل ذلك قال الزجاج معناه من جناية ذلك وذلك اشارة الى قتل
احد ابني آدم اخاه ظلما كتبنا على بني اسرائيل اي حكمنا عليهم وفرضنا انه من قتل نفسا اي من قتل منهم نفسا ظلما بغير نفس اي بغير
قود عن ابن عباس او فساد في الارض او قتل منهم نفسا بغير فساد كان منها في الارض فاستحقت بذلك قتلها وفسادها في الارض
انما يكون بالحرب لله ولرسوله واخافة السبيل على ما ذكر الله في قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية فكانما قتل الناس
جميعا قيل في تاويله اقوال احدها ان معناه هو ان الناس كلهم خصماؤه في قتل ذلك الانسان وقد وترهم ومن قصد لقتلهم
ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
جميعا فاوصل اليهم من المكروه ما يشبه القتل الذي اوصله الى المقتول فكانه قتلهم كلهم ومن استنقذها من حرق او غرق او
هدم او ما يميت لا محالة او يستنقذها من الضلال فكانما احيا الناس جميعا اي اجره على الله اجر من احياهم اجمعين لانه في
ابتدائه المعروف اليهم باحيائه اخاهم المؤمن بمنزلة من احيا كل واحد منهم عن مجاهد والزجاج واختاره ابن الانباري وهذا المعنى
مروي عن ابي عبد الله عليه السلم ثم قال وافضل ذلك ان يخرجها من ضلال الى هدى وثانيها ان معناه ان من قتل نبيا او امام عدل

فكانما قتل الناس جميعا يعذب عليه كما لو قتل الناس كلهم ومن شد على عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا في استحقاق الثواب
عن ابن عباس وثالثها ان معناه من قتل نفسا بغير حق فعليه مثل مأثم كل قاتل من الناس سن القتل وسهله لغيره فكان بمنزلة المشارك
فيه ومن زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيه بان يعظم تحريم قتلها كما حرمه الله تعالى فلم يقدر على قتلها
لذلك فقد احيا الناس بسلامتهم عنه فذلك احياؤه اياها عن ابي علي الجبائي وهو اختيار الطبري ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله
من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ورابعها ان
المراد فكانما قتل الناس جميعا عند المقتول ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا عند المستنقذ عن ابن عباس وغيره من الصحابة و
خامسها ان معناه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن عفى عن دمها وقد وجب القود
عليها كان كما لو عفى عن الناس جميعا عن الحسن وابن زيد والله سبحانه هو المحيي للخلق لا يقدر على خلق الخلق غيره وانما قال احياها
على سبيل المجاز كما حكى عن نمرود انه قال انا احيي واميت فاستبقى واحدا وقتل الاخر وقوله ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات معناه
ولقد اتت بني اسرائيل الذي ذكرنا قصصهم واخبارهم رسلنا بالآيات الواضحة والمعجزات الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم ثم ان
كثيرا منهم يعني من بني اسرائيل بعد ذلك في الارض لمسرفون اي مجاوزون حد الحق بالشرك عن الكلبي بالقتل عن غيره والاولى ان
يكون عاما في كل مجاوز عن الحق ويؤيده ما روي عن ابي جعفر عليه السلم المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء
قوله تعالى إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ آيتان اللغة
اصل النفي الاهلاك بالاعدام ومنه النفاية لردي المتاع ومنه النفي وهو ما تطاير من الماء عن الدلو وقال الراجز كان متنيه من
النفي مواقع الطير من الصفي والنفي الطرد قال اوس بن حجر ينفون عن طرق الكرام كما ينفي المطارد ما يلي القرد والخزي الفضيحة يقال
خزي يخزى خزيا اذا افتضح وخزي يخزى خزاية فهو خزيان اذا استحيا وخزونه اخزوه اذا سسته ومنه قول لبيد واخزها بالبر لله الاجل
الاعراب فسادا مصدر وضع موضع الحال اي يسعون في الارض مفسدين وان يقتلوا في موضع رفع بانه خبر المبتداء الذي
هو جزاء الذين تابوا يحتمل ان يكون في موضع رفع بالابتداء وخبره فاعلموا ان الله غفور رحيم ويجوز ان يكون في موضع نصب
بالاستثناء من قوله لا تقتلوا الى ما بعده من الحد النزول اختلف في سبب نزول الآية فقيل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي
صلى الله عليه وآله موادعة فنقضوا العهد وافسدوا في الارض عن ابن عباس والضحاك وقيل نزلت في اهل الشرك عن الحسن و
عكرمة وقيل نزلت في العرنيين لما نزلوا المدينة مظهرين الاسلام فاستوخموها فاصفرت الوانهم فامرهم النبي صلى الله عليه وآله
ان يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها ففعلوا ذلك فصحوا ثم مالوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وارتدوا عن
الاسلام فاخذهم النبي صلى الله عليه وآله وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم عن قتادة وسعيد بن جبير والسدي
وقيل نزلت في قطاع الطريق عن اكثر المفسرين وعليه جملة الفقهاء المعنى لما تقدم سبحانه ذكر القتل وحكمه عقبه بذكر قطاع الطريق
وحكمهم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله اي اولياء الله كقوله سبحانه الذين يؤذون الله ورسوله ويحاربون رسوله ويسعون
في الارض فسادا المروي عن اهل البيت عليهم السلم ان المحارب هو كل من شهر السلاح واخاف الطريق سواء كان في المصر او خارج
المصر فان اللص المجاهر في المصر وخارج المصر سواء وهو مذهب الشافعي والاوزاعي ومالك وذهب ابو حنيفة واصحابه الى ان
المحارب هو قاطع الطريق في غير المصر وهو المروي عن عطاء الخراساني والمعنى في قوله انما جزاؤهم الا هذا عن الزجاج قال لان القائل
اذا قال جزاؤك دينار يجايز ان يكون معه غيره واذا قال جزاؤك دينار كان المعنى ما جزاؤك الا دينار ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع
ايديهم وارجلهم قال ابو جعفر وابو عبد الله عليهما السلم ان جزاء المحارب على قدر استحقاقه فان قتل فجزاؤه ان يقتل وان قتل واخذ
المال فجزاؤه ان يقتل ويصلب وان اخذ المال ولم يقتل فجزاؤه ان تقطع يده ورجله من خلاف وان اخاف السبيل فقط فانما عليه النفي

لاغير

لا غير به قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والربيع وعلى هذا فان او ليست للاباحة ههنا وانما هي مرتبة الحكم باختلاف
الجناية وقال الشافعي ان اخذ المال جهرا كان للامام صلبه حيا ولم يقتل قال وعندكل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل
والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه فيصلب ثلثا ثم ينزل قال ابو عبيد سالت محمد بن الحسن عن قوله او يصلبوا فقال هو ان يصلب
حيا ثم يطعن بالرماح حتى يقتل وهو راى ابي حنيفه فقيل له هذا مثله قال المثلة تراد به وقيل ان ههنا الاباحة والتخيير اى ان شاء الامام
قتل وان شاء صلب وان شاء نفى عن الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقد روى ذلك ايضا عن ابي عبد الله عليه السلم وقوله من
خلاف معناه اليد اليمنى والرجل اليسرى او ينفوا من الارض قيل فيه اقوال فالذى يذهب اليه اصحابنا الاماميه ينفى من بلد الى بلد
الى ان يتوب ويرجع وبه قال ابن عباس والحسن والسدي وسعيد بن جبير وغيرهم واليه ذهب الشافعي قال اصحابنا ولا يمكن من
الدخول الى بلاد الشرك ويقاتل المشركين على تمكينهم من الدخول الى بلادهم حتى يتوبوا وقيل ان ينفى من بلده الى بلد غيره عن عمر بن عبد
العزيز وعن سعيد بن جبير في رواية اخرى قال ابو حنيفه واصحابه ان النفى هو الحبس والسجن واحتجوا بان المسجون يكون بمنزلة المخرج
من الدنيا اذا كان ممنوعا من التصرف محولا بينه وبين اهله مع معاناته الشدايد في الحبس وانشد قول بعض المسجونين خرجنا من
الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى اذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ذلك اي
فعل ما ذكرناه لهم خزي اي فضيحه وهوان في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم زيادة على ذلك وفي هذا دلالة على بطلان قول من
ذهب الى ان اقامة الحدود تكفير للمعاصي لانه سبحانه بين ان لهم في الاخرة عذابا عظيما مع انه اقيمت عليهم الحدود والمعنى انهم
يستحقون العذاب العظيم وليس في الاية انه يفعل بهم ذلك لا محاله لانه يجوز ان يعفو الله عنهم ويتفضل عليهم باسقاط ما يستحقونه من
العذاب الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم لما بين سبحانه حكم المحارب استثنى من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل ان يوخذ ويقدر
عليه لان توبته بعد قيام البينه عليه ووقوعه في يد الامام لا تنفعه بل يجب اقامة الحد عليه فاعلموا ان الله غفور رحيم يقبل توبته
ويدخله الجنة وفي هذه الاية دلالة على من قال لا تصح التوبة من معصية بعد الاقامة على معصية اخرى يعلم صاحبها انها معصية
لانه تعالى علق بالتوبة حكما لا يحل به الاقامة على معصية هي السكر وغيره **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ آية **اللغة** واصل الاتقاء في اللغة الحجز من الشيئين يقال
اتقى السيف بالترس ويقال اتقوا الغريم بحقه والوسيلة فعليه من قولهم توسلت اليه اى تقربت قال عنترة بن شداد ان الرجال
لهم اليك وسيلة ان ياخذوك تكحلي وتخضبي ويقال وسل اليه اى تقرب قال لبيد بلى كل ذى راى الى الله واسل فمعنى الوسيلة
القربة والوصلة **المعنى** لما تقدم ذكر القتل والمحاربين عقب ذلك بالموعظة والامر بالتقوى فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
اى اتقوا معاصيه واجتنبوها وابتغوا اليه الوسيلة اي اطلبوا اليه القربة بالطاعات عن الحسن ومجاهد وعطا والسدي وغيرهم فكانه
قال تقربوا اليه بما يرضيه من الطاعات وقيل الوسيلة افضل درجات الجنة عن عطاء ايضا وروى عن النبي صلى الله عليه وآله سلوا الله
لى الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينالها الا عبد واحد ارجوا ان اكون انا هو وروى سعيد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة عن علي بن ابي
طالب عليه السلم قال في الجنة لؤلؤتان الى بطنان العرش احديهما بيضاء والاخرى صفراء في كل واحدة منهما سبعون الف غرفة ابوابها
واكوابها عرق واحد فالبيضاء الوسيلة لمحمد صلى الله عليه وآله والصفراء لابرهيم واهل بيته وجاهدوا في سبيله اى في طريق دينه مع اعدائه
امره سبحانه بالجهاد في دين الله لانه وصله الى ثوابه والدليل على الشيء طريق الى العلم والتعرض للشيء طريق الى الوقوع فيه واللطف
طريق الى الطاعة الله والجهاد في سبيل الله قد يكون باليد واللسان والقلب وبالسيف والقول والكتاب لعلكم تفلحون اى لكى تظفروا
بنعيم الابد بمعنى اعملوا على رجاء الفلاح والفوز وقيل لعل وعسى من الله واجب فكانه قال اعملوا لتفلحوا **قوله تعالى** إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ۝ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۝ آيتان **الاعراب** خبر ان في لو وجوابها وقوله لهم
عذاب اليم يحتمل ان يكون في موضع الحال وان يكون عطفا على خبر ان ولا يجوز ان يكون الخبر يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين

منها ولو فى موضع الحال كما تقول مررت بزيد لو داه عدوه لرحمه لانه فى موضع معتمد الفايدة مع ان الثانى فى استيناف آية وانما اجيبت
لو بما ولم يجز ان يجاب ان بما لان ما لها صدر الكلام وجواب لو لا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم لانه غير عامل وان عامله
فلذلك صح ان يجاب ان بلا ولم يصلح ان يجاب بما تقول ان تاتنى لا يطعك سوء ولا يجوز ما لان لا يبقى عما بعدها ما وجب لما قبلها
فى اصل موضوعها كقولك قام زيد لا عمرو وما يبقى عما بعدها ما لم يجب لغيرها فلذلك كان لها صدر الكلام المعنى ثم اخبر سبحانه
عن وعيد الكفار فقال ان الذين كفروا لو ان لهم لكل واحد منهم ما فى الارض جميعا من المال والولاية والملك ومثله معه اى ومثل
ذلك معه ليفتدوا به اى ليجعلوا ذلك فداء هم وبدلهم من عذاب يوم القيمة الذي يستحقونه على كفرهم فافتدوا بذلك ما تقبل
منهم ذلك الفداء ولهم عذاب اليم اى وجع يريدون ان يخرجوا من النار اى يتمنون ان يخرجوا من النار عن ابى على الجبائى قال ان
الارادة هنا بمعنى التمنى وقيل معناه الارادة على الحقيقة اى كلما زعمتهم النار بلهبها رجوا ان يخرجوا منها وهو كقوله كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اعيدوا فيها عن الحسن وقيل معناه يكادون يخرجون منها اذا دفعتهم بلهبها كما قال سبحانه جدارا يريد ان ينقض اى يكاد
ويقارب فان قال قايل كيف يجوز ان يريد الخروج من النار مع علمهم بانهم لا يخرجون منها فالجواب ان العلم بالشئ لا يكون يصرف
عن ارادته كما ان العلم بانه يكون لا يصرف عن ارادته وانما الداعى الى الارادة حسنها او الحاجة اليها وما هم بخارجين منها يعنى من جهنم
ولهم عذاب مقيم اى دائم ثابت لا يزول ولا يحول كما قال الشاعر فان لكم بيوم الشعب منى عذابا دايما لكم مقيما قوله تعالى
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ
وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ثلث آيات الاعراب قال سيبويه وكثير من النحويين
ارتفع السارق والسارقة على معنى وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اى حكم السارق والسارقة ومثله قوله جل وعز الزانية والزانى
فاجلدوا واللذان ياتيانها منكم فاذوهما قال سيبويه والاختيار فى هذا النصب فى العربية كما تقول زيدا اضربه وابت العامة القراءة الا
بالرفع يعنى بالعامة الجماعة وقرا عيسى بن عمر والسارق والسارقة وكذلك الزانية والزانى وقال ابو العباس المبرد الاختيار فيه الرفع
بالابتداء لان القصد ليس الى واحد بعينه فليس هو مثل قولك زيدا فاضربه كقولك من سرق فاقطع يده ومن زنى فاجلده وقال
الزجاج وهذا القول هو المختار وانما دخلت الفاء فى الخبر لشرط المنوى وذكر فى قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا
ايمانهم وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذه يمينا من هذه فجمع اذ ليس فى الجسد الا يمين واحدة قال الفراء وكل شئ موحد من
خلق الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع فقيل قد هشمت رؤسهما وبليت بطونهما وظهورهما ومثله قوله ان تتوبا الى الله فقد
صغت قلوبكما قال وانما اختير الجمع على التثنيه لان اكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان فى الانسان كاليدين والرجلين واثنان
من اثنين جمع لذلك يقال قطعت ارجلهما وفقئت اعينهما فلما جرى الاكثر على هذا ذهب الواحد اذا اضيف الى اثنين مذهب الاثنين
قال ويجوز التثنية كقول الهذلى فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التى لا ترقع لانه الاصل ويجوز هذا ايضا فيما ليس من
خلق الانسان كقولك للاثنين خليتما نساءكما وانت تريد امراتين قال ويجوز التوحيد ايضا لو قلت فى الكلام السارق والسارقة
فاقطعوا يمينهما جاز لان المعنى اليمين من كل واحد منهما قال الشاعر كلوا فى بعض بطنكم تعيشوا ويجوز فى الكلام ان تقول ائتنى برأس
من شاتين وبرأسى شاة فمن قال برأس شاتين اراد الرأس من كل شاة منهما ومن قال برأسى شاة اراد رأسى هذا الجنس قال الزجاج انما جمع
ما كان فى الشئ منه واحد عند الاضافة الى الاثنين لان الاضافة تبين ان المراد بذلك الجمع لا التثنية لان الجمع وذلك انك اذا قلت
اشبعت بطونهما علم ان للاثنين بطنين فقط واصل التثنية الجمع لانك اذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدا الى واحد وربما كان لفظ
الجمع احق من لفظ الاثنين فيختار لفظ الجمع ولا يشبه ذلك بالتثنية عند الاضافة الى اثنين لانك اذا قلت قلوبهما فى التثنية فى هما
قد اغنتك عن تثنية قلت قال وان ثنى ما كان فى الشئ منه واحد فذلك جائز عند جميع النحويين وانشد ظهراهما مثل ظهور الترسين
فجاز بالتعيين وهذا كما حكيناه عن الفراء فى قول الهذلى فتخالسا نفسيهما البيت وقوله جزاء بما كسبا قال الزجاج انتصب جزاء بانه مفعول له

عشر نصف الحزب